

مفاكهة
ذوي النبل والإجادة
حضرة مدير جريدة السعادة

تأليف
حافظ المغرب الشريف عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني



صفحات منسية من تاريخ المغرب وحياة الشيخ عبد الحي الكتاني
على عهد السلطانين عبد العزيز وعبد الحفيظ
من 1312هـ/1894م إلى 1330هـ/1912م

دراسة وتحقيق: د. محمد العلمي والي



مفاكهة

ذوي النبل والإجادة
حضرة مدير جريدة السعادة

مفاكهة

ذوي النبل والإجادة

حضرة مدير جريدة السعادة



تأليف

حافظ المغرب الشريف

عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني

صفحات منسية من تاريخ المغرب وحياة الشيخ عبد الحي الكتاني

على عهد السلطانين عبد العزيز وعبد الحفيظ

من 1311هـ 1894 م إلى 1331 هـ 1912 م

دراسة وتحقيق

محمد العلمي والي



الكتاب : مفاكهة

ذوي النبل والإجادة حضرة مدير جريدة السعادة

عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني

دراسة وتحقيق : محمد العلمي والي

الطبعة الأولى 2013

الإيداع القانوني : 2013 MO 1240

ردمك: 978-9954-1-9531-4

الإخراج الفني والطباعة:

دار أبي رقراق للطباعة والنشر

الهاتف: 05 37 20 75 83 - الفاكس: 05 37 20 75 89

البريد الإلكتروني: editionbouregreg@gmail.com

في مستهل هذا الكتاب

أشكر كل من أفادني في إنجاز هذا العمل أو قدم لي المساعدة العلمية من قريب أو بعيد منهم السادة الأساتذة الكرام:

محمد منصور وجامع بيضا ومصطفى الشابي وعبد السلام البكاري وأحمد بوجندار وعبد العزيز الساوري وعزيز الغزاوي.

ولا يمكن أن ننسى ما قدمه لي الدكتور الفاضل سيدي حمزة الكتاني من مساعدات جمة لإخراج هذا العمل الجليل للشيخ عبد الحي الكتاني.

وأذكر العربي الذي يعمل معي في مكتبة عالم الفكر وقد كنت أملي عليه بعض المواضيع المتعلقة بالمفاكهة كذا بنقل نصها إلى المطبعة.

وفي الأخير إلى هؤلاء جميعا أجزي جميل الشكر والجميل الذي لا ينسى.

محمد العلمي والي

الرباط

بسم الله الرحمن الرحيم

مدخل تاريخي تمهيدي

لمحة عن السياق التاريخي لشاهد على عصره الشيخ عبد الحي الكتاني الشاب من خلال رسالة «مفاكهة ذوي النبل والإجادة في الرد على مدير جريدة السعادة»

يبدو لمقاربة ومقارنة العهدين العزيزي والحفيظي أن الأمر يتطلب ويحتاج إلى تكثيف الجهود والطاقات من الباحثين المختصين في التاريخ والاقتصاد والاجتماع وشتى العلوم التي ستجعل أبحاثهم وأعمالهم مصدراً ومرجعاً معينا على فهم القضايا الشائكة التي مرت بها الدولة المغربية خاصة في فترة مؤتمر عقد الجزيرة الخضراء التي تقرر فيه مصير المغرب، وأدى إلى ضياع سيادته واستقلاله.

ومن الملاحظ أن هاته الفترة لم تدرس بعناية، ولا انعقدت لها ندوات، ولم يتناول هذا الحدث الخطير بالدرس والتحليل، رغم مرور أكثر من قرن على هذه الذكرى الحزينة الخطيرة، وفترة حكم المولى عبد الحفيظ مازالت لم تدرس بكيفية لائقة... وقلة العناية بها، إذ يصفها المؤرخ محمد المنوني بقوله: «إنها فترة مضطربة مازال يكتنفها غموض وبلبلة وتهديد أجنبي»[1]

لقد أشار الأستاذ علال الخديمي إلى أنه قام بوضع مسرد لجميع مؤلفات العصر الحفيظي في مقدمة كتابه «الحركة الحفيظية». رغم أهمية هذا العمل هناك قضايا وأسرار تاريخية كثيرة لا تزال مستورة، لو انكشفت لتغير الحكم على أمور جمة وعلى أشخاص عديدين[2].

(1) انظر حديثا شاملا مع المؤرخ محمد المنوني عن عصر السلطان المولى عبد الحفيظ الملحق الثقافي لجريدة العلم اكتوبر 1987م.

(2) انظر علال الخديمي في مقدمة كتاب «الحركة الحفيظية»، نشر دار أبي رقراق عام 2009.

ورغم كل هذه الصعوبات المنهجية والمعرفية والوثائقية في الحصول على معلومات يجب أن لا تثني عزمنا عن الخوض في هذه الفترة الصعبة من تاريخ المغرب.

والشيخ عبد الحي الكتاني الفتى الشاب[1]، نطلق كلمة شاب على الفترة التي عاشها في ظل السلطانين المولى عبد العزيز والمولى عبد الحفيظ إلى فترة تصفية أخيه سنة 1327هـ/ 1909م.

والشاب عبد الحي هو العلامة الموسوعي الذي جمع بين جميع العلوم الدينية الشرعية والسياسية التطبيقية، وقد ندد بالممارسات والكتابات التي تشوه بيعة فاس المشروطة للمولى عبد الحفيظ وقد ساهم فيها مساهمة فعالة في مسألة خلع أخيه المولى عبد العزيز سنة 1326هـ/ 1908م. ومن أعماله الهامة في هذا الصدد رده ونقده المتميز على جريدة السعادة ذات الاتجاه الاستعماري الفرنسي في رسالته المتميزة «مفاكهة ذوي النبل والإجادة في الرد على مدير جريدة السعادة» صدر سنة 1908م بفاس طبعة حجرية ولدينا نسخة مخطوطة مسودة منها بخط المؤلف ونسختان حجريتان طبعتا بفاس في نفس السنة سنتناولها في إطارها الزمني بعد هذا المدخل التاريخي الموجز إذ لا يمكن فهم رسالة المفاكهة إلا من خلال قراءة السياق التاريخي بدءاً من نشأة الزاوية الكتانية التي تربى وترعرع فيها والعصر الذي نشأ فيه وقدرته العقلية والفكرية ونشاطه الفكري الإصلاحي الإعلامي الصحفي المتميز في ظل السلطانين المولى عبد العزيز والمولى عبد الحفيظ من 1894 إلى 1912 وعاش في ظل الحماية تحت حكم السلطانين المولى يوسف ومحمد الخامس وتوفي بعد الاستقلال سنة 1962 في ظل حكم الحسن الثاني طيب الله ثراه وأكبر أزمة نفسية عاشها الشيخ

(1) وكذا جاءت مقدمة جامعة مانعة في كتابه الفريد من نوعه «فهرس الفهارس» تصفه أنه بلغ إلى مرتبة علمية فريدة وهو في سن الشباب إذ منح إجازة لمجموعة من العلماء شيوخ كبار السن في دمشق والمدينة المنورة والقاهرة مع صغر سنه وهو شاب في مقتبل العمر، انظر عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني «فهرس الفهارس والإثبات» مقدمة الجزء الأول، نشر دار الغرب الإسلامي، الطبعة الثانية 1982 باعتناء د. إحسان عباس.

عبد الحي الشاب بعد تصفية أخيه الشيخ محمد الكتاني وسجنه ومحنته وتعذيبه الذي عقد شخصيته وبقي أسيرا لها تتضح معالمها في نص أورده المؤرخ الأديب المختار السوسي في المعسول نشير إلى هذا النص فيما بعد.

النشأة والمحن التي أثرت في نفسية الشاب عبد الحي وأربكته في طور شبابه

ومنهجيا سيكون من التقصير في البحث عدم الرجوع إلى الوراء للوقوف على حياة الشيخ عبد الحي الكتاني وموروثه الثقافي، ونضاله المتميز بجانب أخيه الشيخ محمد الذي كان حي الفكر والضمير وهو الصوفي النوراني المجاهد ابن الشيخ عبد الكبير الكتاني الإدريسي.

والشيخ عبد الحي وهو في عنفوان شبابه ناضل ضد المناورات والدسائس والتدخل الأجنبي، نشير إلى ذلك باقتضاب، ولسنا هنا بصدد سرد سيرته وتاريخ حياته العامة لأن ذلك تركناه لغيرنا من المختصين، وما يهمنا ذكره هو فترة وجيزة من شباب الشيخ الشاب عبد الحي والتعرف عليها، ونرى أنه لابد من التذكير لفهم كثير من الوقائع وذكر صفحات مطوية من حياته، علينا أن نشير بإيجاز إلى نشأة مؤسسة الزاوية الكتانية التي عاش وتربي وترعرع الفتى الشاب الشيخ عبد الحي الكتاني في أحضانها وتراثها العلمي الموسوعي والصوفي. وقد تميزت حياته السياسية المليئة بالتقلبات والإحباطات، وكيف واجه الشيخان محمد وأخوه عبد الحي الشاب وزاويتهما الظروف السياسية الصعبة التي أدت إلى محاكمة أخيه الشيخ محمد الكتاني المحاكمة الأولى بمراكش وانتصر على خصومه فقهاء المخزن.

وتطور دور الزاوية الكتانية من دور الصلاح الذاتي إلى دور الإصلاح طِبْقَ مقاصد الشريعة الإسلامية المبنية على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في عهد السلطانين الأخوين وعهدهما امتد من (1312هـ/ 1894م إلى 1331هـ/ 1912م). وتقوى هذا الدور بعد مجيء الشيخين من حجمها (الشيخ محمد 1322 هـ/ 1904م والشيخ عبد الحي 1323هـ/ 1905 م).

ونتيجة لما مرّ به الشيخ عبد الحي الشاب من محن وتجربته في المعتقل. هل أثرت على نفسيته خاصة منها تصفية أخيه الشيخ محمد الكتاني ورفيقه الذي قتل في سجنه، كان ذلك ثمنا باهظا للدور الذي أداه في سبيل تحرير بلاده وإنقاذها من الأجنبي الدخيل وإصلاحها.

وإن السؤال الكبير الذي يطرح نفسه هل أثر هذا الحدث الخطير (محنة اعتقاله وقتل شقيقه الشيخ محمد) خلق لدى الشيخ عبد الحي الشاب عقدة نفسية أصبح أسيراً لها مدى حياته؟ شبه عقدة الوسواس القهري أو حالة اكتئابية الذي يصعب التخلص منها كما يؤكد ذلك علماء الطب والتحليل النفسي.

إن الشعور العميق بالإحباط الذي استمر على مخيلة الشيخ عبد الحي الذي كان يساهم بنضاله وجهاده المستمر هو وأخوه الشيخ محمد على مستوى المجتمع والدولة ومناهضة تدخل العدو الأجنبي قد لقي الفشل الذريع، وقد استمر الشيخ عبد الحي يتجرع مرارة الماضي تبدو عليه هذه الآثار الحزينة يتجلى ذلك من خلال حوار له مع أحد كبار علماء مصر الأستاذ محمود محمد شاكر سنة 1352 هـ/ 1933م بمصر سنشير إلى هذه الشهادة لاحقا.

بعد هذا التمهيد نقسم هذا العمل إلى أربعة فصول:

الفصل الأول: الزاوية الكتانية وظروف تأسيسها في المرحلة الأولى.

الفصل الثاني: الوضع العام في مغرب عصر الحاجب با احماد وبيعة المولى عبد العزيز وهو في الرابعة عشرة من عمره وانتقال الزاوية من المحمدية إلى الأحمدية ومحاكمة الشيخ محمد الكتاني المحاكمة الأولى وانتصاره على فقهاء المخزن.

الفصل الثالث: بعد وفاة با احماد تحرر المولى عبد العزيز من وصايته وحكمه.

الفصل الرابع: ما قام به المولى عبد الحفيظ للوصول إلى السلطنة ونتائج سياسته التي أدت إلى إبرام عقد الحماية في آخر المطاف .



الفصل الأول:

بوادر ظهور الزاوية الكتانية سنة 1267هـ-1850م ومراحل تطورها من1272 هـ- 1855م إلى مرحلة تصفية الشيخ محمد الكتاني سنة 1327هـ/1909م

من هو رائد تأسيس الزاوية الكتانية؟

مؤسس الزاوية الكتانية هو الشيخ الصوفي لقبه أبو المفاخر محمد بن عبد الواحد الكتاني ت (1289هـ/ 1872م)، أسس زاويته عام 1272هـ/ 1855م بمدينة فاس العاصمة العلمية والروحية والسياسية، ومدينة العلم والعلماء آنذاك بسبب المهاجرين إليها من جميع قرى ومدن المغرب والزاوية بنيت في حومة القطانين من عدوة القرويين سماها مؤسسها بالطريقة المحمدية الكتانية، وقد تأثر بالحركات الصوفية الدرقاوية والخلواتية والقادرية والشاذلية وغيرها[1].

ومؤلفات الشيخ محمد بن عبد الواحد بلغت حوالي أربعين مؤلفا نثراً وشعراً في الملحون ذات طابع ديني صوفي وغيرها من الكتب والرسائل يؤكد الشيخ عبد الحي الكتاني أن الشيخ جعفر بن ادريس الكتاني[2] هو أمين سر الشيخ محمد بن عبد الواحد كان كاتب سيدنا الجد وجامع ورد شيخه وخليفته في غيابه.

تنظيم الزاوية الكتانية المحمدية

كانت تؤطر مريديها وفقرائها على السلوك الصلاحي الديني عمدتها في ذلك الكتاب والسنة، تربي أتباعها ومريديها على الصلوات والدعاء بالتقوى والهدى دون الخوض في الشأن السياسي، أخذ الشيخ المؤسس للزاوية الكتانية بمبدأ الاستشارة والخضوع للسلطة في عهدي السلطانين محمد الرابع (1276هـ/ 1859م) والحسن الأول حكم 1290هـ/ 1873م-1312هـ-1894م) تميزت سياسة الحسن

---

(1) انظر عبد الحي الكتاني المظاهر السامية في النسبة والطريقة الكتانية مخطوط، ج 1، ص.ص 37-40.

(2) نفس المصدر، ص 21. سيدي جعفر بن ادريس الكتاني عالم الزاوية الكتانية كبير المفتين في عهد المولى محمد ابن عبد الرحمن وكان رئيس مجلس الشورى في عهد الحسن الأول. انظر الشرب المحتضر نشر دار الكتب العلمية 2004. ص 136-137.

- انظر الرهوني عمدة الراوي المخطوط ج 10، حققه مؤخرا الأستاذ جعفر بلحاج السلامي.
- أورد له ترجمة صاحب اللؤلؤ المكنون العلامة محمد بن المختار التاشفيني، انظر معلمة المغرب ج 20، ص 6766.
- انظر عبد الإله جريد الزاوية الكتانية، ج 1، ص 60 وما يليها، رسالة جامعة مرقونة بفاس من 1855-1912.

الأول بالصرامة في المجال العسكري وقد كان ينتقل عبر التراب المغربي لفرض طاعته وهيبة المخزن الحسني على الزوايا المغربية دينيا وسياسيا.

وفاة الشيخ محمد بن عبد الواحد وانتقال إدارة الزاوية الكتانية لابنه الشيخ عبد الكبير الكتاني

وقد عُرفت الزاوية الكتانية بولائها للمخزن بامتياز كذا مع ابن الشيخ عبد الكبير بن محمد بن عبد الواحد (ت 1333هـ-1915م) المتميز باتباع سياسة أبيه بالطاعة والصمت السياسي الذي فرضه المخزن على الزاوية الكتانية أكثر من أربعين عاما[1].

المرحلة الأولى بيعة المولى عبد العزيز الشاب ووصاية أحمد بن موسى الحاجب عليه 1894م-1900م.

بعد رحيل الحسن الأول عرف المغرب أزمة إمارة المؤمنين، إذ الصدر الأعظم هو الرجل الثاني بعد السلطان، لعب دوراً مهد به السبيل للمولى عبد العزيز ليصل إلى الولاية الكبرى أي إلى السلطانة بعد وفاة أبيه الحسن الأول، ففرض وصايته على السلطان الذي لم يسمح له سنه تحمل المسؤولية مما زاد في استفحال أزمة المغرب داخليا وخارجيا رغم تطبيق الصدر الأعظم استراتيجية سياسية للحفاظ على الوضع القائم الذي اعتمده الحسن الأول طول حياته.

عطل وأوقف أحمد بن موسى مشاريع النهضة التي شرع في إقامتها الحسن الأول مثل إرسال البعثات العسكرية والإدارية والتقنية وغيرها. ويخبرنا عن ذلك الموقف السلبي الذي تعرض له أحد الطلبة المبعوثين في عصر الحسن الأول إلى

---

(1) انظر الكتاني عبد الحي المظاهر السامية، ج1، مصدر سابق، ص.ص. 373-375 .
انظر عبد الإله جريد رسالة جامعية بفاس مرقونة «الزاوية الكتانية المجتمع والمخزن» من 1855 إلى 1912م ص 253.

أروبا لتلقي العلوم التجريبية والعسكرية وهو الطاهر الوديي صاحب مخطوطة «الاستبصار» وهو مخطوط خاص في ملكية الفقيد المنوني رحمه الله ورد الاستبصار بقول مؤلفه الوديي: «... وحين جئنا هم بحجج الاستعداد لأعادي الدين على سبيل النصيحة بنيتنا خالصة، الحساد والوزراء والكتاب خرجونا من الملة...»[1]

ومن طلبة العلم المبعوثين إلى مصر تخرج منها عبد السلام الطيب العلمي وكان طبيبا خاصا للحسن الأول ترك مجموعة من المؤلفات من بينها «ضياء النبراس في حل مفردات الأنطاكي بلغة أهل فاس»[2] و«أرجوزة في التعريف لعبة الشطرنج» مخطوطة ضمن مجموع وله مؤلفات في مادتي الفلك والطب[3].

كيف تطورت مؤسسة الزاوية الكتانية من المحمدية إلى الأحمدية

من المعلوم تاريخيا أن الزاوية الكتانية مرت بأورادها المحمدية إلى الأحمدية من إحداث الشيخ محمد الكتاني المجدد داعية الصلاح والإصلاح الديني والسياسي الصوفي النوراني والوطني الغيور ابن الشيخ عبد الكبير ابن محمد عبد الواحد، والشيخ محمد بن عبد الواحد هو مؤسس الزاوية الكتانية المحمدية[4] وعن ترتيب

---

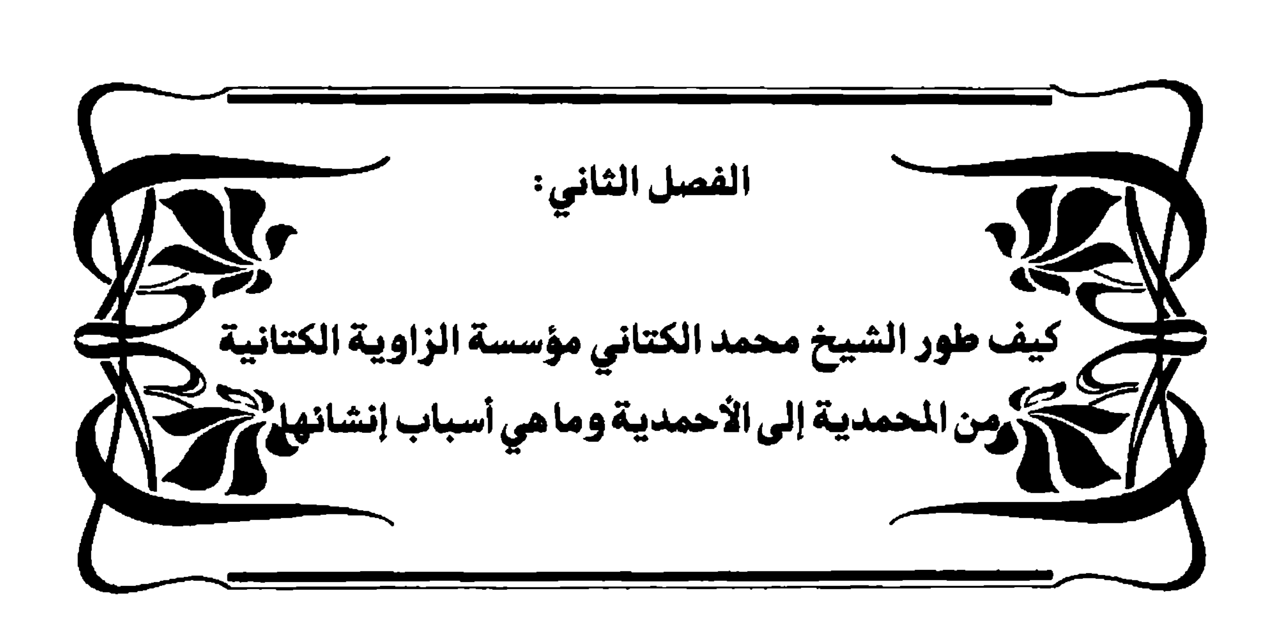
(1) انظر محمد المنوني : «مظاهر يقظة المغرب الحديث» نشر المدارس الدار البيضاء 1999 ط 2 ج 1 ص 247. و«اتحاف أعلام الناس» عبد الرحمان بن زيدان ج 1 ص 380. وعبد السلام الحيمر «المغرب الإسلام والحداثة» منشورات الزمن 2005 ص 124 وما يليها.

(2) ضياء النبراس في حل مفردات الأنطاكي بلغة فاس نشر دار الترات، بالرباط 1986، وقد أقفلنا مكتبة دار التراث نظراً لكساد سوق الكتاب. والعزوف عن القراءة.

(3) انظر المنوني مظاهر يقظة في المغرب مصدر سابق، ج 2، صص 240-241. دفن بمقبرة العلميين بفاس وكانت آيلة للسقوط رممها الدكتور سيدي مصطفى مشيش العلمي 1413- 1992 في إطار إحياء التراث العمراني بفاس.

(4) للتعرف أكثر على شيوخ الطريقة الكتانية نورد سلسلة شيوخ الطريقة الكتانية حسب ترتيبهم : الشيخ المؤسس الإمام محمد بن عبد الكبير الكتاني (1290-1327)-الشيخ جبل السنة عبد الكبير الكتاني ت 1333هـ الشيخ عبد الحي الكتاني (1307-1382)- الشيخ محمد المهدي الكتاني (1319-1379)- الشيخ محمد الباقر الكتاني (1384هـ/ 1961م)- الشيخ إبراهيم الكتاني (1328-1401هـ) 1981م - الشيخ زين العابدين الكتاني (1359هـ/ 1425هـ- 2005م) والشيخ الحالي عين بظهير ملكي سيدي عبد اللطيف بن الشيخ محمد الطيب حفيد مؤسس الطريقة المحمدية الشيخ محمد بن عبد الكبير الصوفي النوراني، انظر يوسف الكتاني : (الطريقة الكتانية ج 1 ص 86) من أهم التراجم عن الشيخ محمد بن عبد الواحد الصوفي أوردها الشيخ عبد الحي الكتاني في كتابه المخطوط «المظاهر السامية في النسبة والطريقة الكتانية» ج 1 ص 82. وتسمى زاوية جده الشيخ محمد بن عبد الواحد بأم الزوايا الكتانية بمدينة فاس وسلوة الأنفاس، ج 1، ص 132، والشرب المحتضر، ص 133.

أسماء شيوخ الزاوية الكتانية إلى الآن كما أشرنا سلفا لا يشير إليه كثير من الكتاب لا من قريب أو من بعيد لإظهار ومعرفة الحقيقة التاريخية لمؤسس الزاوية الكتانية الأول الشيخ محمد بن عبد الواحد دون الوقوع والسقوط في فكر الانتقائية كما يؤكد ذلك المثل السائر والأثر الحميد أن الفضل للمبتدي ولو أحسن المقتدي، ولأن الزاوية الآن تقترن باسم الشيخ محمد لا باسم أبيه أو جده محمد بن عبد الواحد الكتاني.



الفصل الثاني:

كيف طور الشيخ محمد الكتاني مؤسسة الزاوية الكتانية من المحمدية إلى الأحمدية وما هي أسباب إنشائها

طور الشيخ محمد الكتاني مؤسس الزاوية الكتانية قبيل نهاية القرن التاسع عشر هو وأخوه الشيخ عبد الحي الشاب على المستوى المذهبي من المحمدية إلى الأحمدية الإبراهيمية، وقد ترك له أبوه الشيخ عبد الكبير أمر تسيير الزاوية ولأخيه الشاب العلامة عبد الحي اليد اليمنى له في جميع الأعمال بصفة عامة.

ونجد من الأسباب الداعية لإنشاء الطريقة الأحمدية المجددة، هو انتشار البدع وفساد أدب العامة وانحطاط وسوء تصرف بعض الحكام وفي مقدمتهم قواد القبائل في كل أنحاء المغرب، وسعي الأجنبي السيطرة واستعمار المغرب، بينما تبقى وسائل الدفاع مهملة لذلك قام الشيخ محمد الكتاني المجدد بدعوته ونشرها في مدن وبوادي المغرب وبمؤازرة أخيه الشيخ عبد الحي الشاب النشيط لنشر الوعي الديني الشرعي والسياسي عملا بمبدأ الحسبة التي تقتضي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أي أن الزاوية الكتانية المحمدية بدأ نوع تصوفها متواضعاً مبنيا على الزهد والتعبد والتقوى في فترة ظهورها رسميا سنة 1272هـ / 1855م أما إنشاؤها فكان عام 1850 حسب بعض المصادر .

توزيع الأدوار بين الشيخين للنهوض بشأن الزاوية دينيا وسياسيا واجتماعيا

وعن الشيخين المجددين ودعوتهما من الصلاح إلى الإصلاح والتغيير الشامل يشير إلى ذلك الشيخ عبد الحي الكتاني في شهادته بقوله : "اتصال فريقنا الكتاني بملوك المغرب في عصرنا الأحمدي أكثر مما كان لمن قبلهم في العصر المحمدي"[1].

وقد تطورت دعوتهما إلى الجهاد ضد المستعمر بين أوساط الجماهير خاصتهم وعامتهم بفاس وغيرها من المدن والقرى المغربية التي زارها الشيخ محمد الكتاني وأخوه الشيخ عبد الحي الشاب يعلمان الناس دروسا في الدين الإسلامي والتصوف الجهادي الأحمدي المحمدي الإبراهيمي بين الرجال والنساء عملا بالقرآن والسنة

---

(1) انظر الشيخ عبد الحي الكتاني، المظاهر السامية المخطوطة، ص.ص 328-329.

كما كان التصوف السني بالنسبة للشيخ الصوفي المحدث أبو الوقت عبد الأول[1].

وقد كان المتصوفة في المغرب يساهمون في الدفاع عن بيضة الإسلام بالقرآن والسنة في العصر المرابطي والموحدي والمريني والوطاسي والسعدي والعلوي حيث برعت مؤسسة الزاوية الكتانية الأحمدية كما اهتمت قبلها الزاوية الدرقاوية في عصر الشيخ بن عجيبة الصوفي الفقيه والمحدث والمفسر الكبير[2] وغيرها من الزاوية في هذا الصدد يذكر الشيخ عبد الحي الكتاني في «فهرس الفهارس ج 2، ص. 224-228) أن والده الشيخ عبد الكبير الكتاني كان يتبرك بـ «الفقيه المفتي الناسك المرشد سيدي الحاج عبد القادر بن أحمد بن أعجيبة المتوفى (1314هـ-1896م)، كما يذكر محمد بن جعفر الكتاني صاحب «سلوة الأنفاس» عن جده ادريس بن الطايع الكتاني، أنه أخذ الطريقة عن الشيخ محمد الحراق، وكان يحضر مجالسه في التفسير بزاويته في حومة المخفية، ويذكر أن (من أشهر مريدي الشيخ الحراق بفاس كانوا من عائله ابن سودة)[3].

دور الشيخين محمد وعبد الحي الشاب في نضالهما الديني والاجتماعي والسياسي

ومما يميز التصوف لدى الكتانيين على المدى البعيد والقريب اعتمادهم بالأساس على القرآن والسنة دراية وتأليفا على خلاف ما يعرف عند بعض الطرق الصوفية التي عرفها المغرب، والذين ليست لهم معرفة، ودراية وتأليفا بما هو مطلوب، للإشارة منهجيا وحتى لا نحرِّف الحقيقة التاريخية، نقول لقد تميز دور الأخويين الشيخين محمد وعبد الحي الشاب معاً في نضالهما الديني والسياسي الإصلاحي بنفس العمل المشترك والهدف في فترة حكم السلطانين المولى عبد العزيز

---

(1) هو الشيخ المحدث أبو الوقت عبد الأول توفي في القرن الخامس الهجري ـ ترجم له الذهبي في سير أعلام النبلاء، له أعلى سند في صحيح البخاري ومسلم وباقي كتب السنة، وهو من القلة الذين جمعوا بين التصوف والسنة وعلم الحديث.

(2) للمزيد من المعرفة عن الشيخ ابن عجيبة الدرقاوي، انظر ابن عجيبة «الفهرسة» تحقيق عبد الحميد صالح حمدان نشر دار الغد العربي 1990 وعبد المجيد الصغير «إشكالية إصلاح الفكر الصوفي» نشر دار الآفاق الجديدة و«التصوف كوعي وممارسة» نشر دار الثقافة.

(3) انظر «النور البراق في ترجمة الشيخ الحراق».

وأخيه المولى عبد الحفيظ، لذلك نشير بإيجاز إلى مولد وتعلم وشيوخ ومؤلفات الشيخين محمد أولا وعبد الحي الشاب عند الحديث عن رسالته (المفاكهة) ومحنتهما وأخطرها كانت تصفية أخيه الشيخ محمد الكتاني سنة 1327هـ / 1909م.

مولد وتعلم وشيوخ ومؤلفات الشيخ محمد الكتاني بإيجاز

ولد الشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني الحسني الإدريسي في سنة 1290هـ / 1873م وقتل سنة 1327هـ/ 1909م. تعلم العلوم الدينية وعلم التصوف أخذ عن شيوخه منهم أبوه الشيخ عبد الكبير وعن القادري الحسني وخاله جعفر بن ادريس الكتاني الذي كان أحد أقطاب الزاوية الكتانية وغيرهم من شيوخ العلم الكبار في شتى العلوم وفي اللغة والفقه والتفسير والحديث والتاريخ والتصوف وعلوم أخرى.

مؤلفاته: ترك مجموعة من المؤلفات والرسائل الإرشادية للتوعية الدينية لإصلاح الفرد والجماعة منها: «البحر الخضم في شروط الاجتماع بالنبي الأعظم» وألف رسالة المواخاة[1] بعد مجيئه من حجه عام 1322هـ-1904م و«سفينة المحبة» و«لسان المحجة البرهانية في الذب عن شعائر الطريقة الأحمدية الكتانية» وقد طبع على الحجر بفاس، وترك أسفارا يغلب عليها الطابع الصوفي الفلسفي والعشق الإلهي المحمدي الأحمدي ووحدة الوجود، قدمها أطروحة للدكتورة سنة 2001 اسماعيل الموساوي في ديوان ضمنه حوالي 3400 بيت شعري للشيخ محمد بن عبد الكبير نوقشت بمراكش. وصل إلى أعلى حقائق أهل التصوف، وطور الطريقة الكتانية المحمدية إلى الأحمدية، اجتمع عليه خلق كثير وكانت حركته الصوفية أكبر حركة عرفها المغرب، وهناك شهادة لمؤرخ معاصر لمؤسسة الزاوية الأحمدية

(1) رسالة المواخاة أعاد نشرها الشاب الباحث الجاد الدكتور حمزة بن علي الكتاني الذي اهتم بإخراج التراث الإسلامي الذي تركه علماء الأسرة الكتانية وغيرها من الأعمال النفيسة والأستاذة الفاضلة نور الهدى الكتاني أعادت تحقيق كتاب «الشهيد» بذلت مجهودات مشكورة في إخراجه جاءت فيه وثائق جديدة هامة تفيد التاريخ والمؤرخين.

وهو المؤرخ الحسن بوعشرين الخزرجي المكناسي ثم المراكشي في كتابه يقول عنه : «وشيخهم هذا له تآليف وهو حافظ منور مفتوح عليه بلا شك، مع إقبال سنّه وفتوة عمره، نعرفه بالاسم والعين وهو شريف كتاني ووالده سيدي عبد الكبير بن محمد بن عبد الواحد لازال على قيد الحياة بفاس... ولهم تلاميذ كثيرون بفاس وغيره، من جملتهم ولد أخينا العربي بن العربي بن الطيب بن اليماني بوعشرين المكناسي...، لهم فيهم محبة تامة قادته التطوع لهم بمحل مجاور لداره بمكناس يجعلون فيه زاويتهم». ذكرنا هذا النص نظراً لأهميته عن مكانة مريدي الزاوية الكتانية في أهم مدن المغرب وبواديه.[1]

كيف كانت تؤطر الزاوية الكتانية الأحمدية الإبراهيمية مريديها واتباعها

لقد استند الشيخ محمد الكتاني منشئ الزاوية الأحمدية على أخيه الشيخ عبد الحي أحد أقطاب الزاوية الكتانية وعلى المقدم والمقدمة[2].

وقد كتب الشيخ محمد وردا خاصا بالمرأة يعرف بالورد الصغير، للقيام بمهام نشر الشعائر الدينية من القرآن والسنة، وتلاوة الأذكار والأحزاب في حب الذات الإلهية المحمدية الأحمدية في أكثر من مائة زاوية كتانية في القرى والمدن المغربية. وللشيخ محمد الكتاني سبعة أحزاب هي : الحزب المطلسم، الحزب الواقي، الحزب التضرعي، والحزب البسيط، وحزب التدلل، والحزب السيفي وحزب اللطيف[3]. وكثيرا من الأحزاب كانت تقرأ كالحزب السيفي لتشريد أعداد الله وكانت سلطات الحماية تخشى حزب اللطيف.

---

(1) انظر الحسن بوعشرين، التنبيه المعرب عما عليه الآن حال المغرب: تصحيح محمد المنوني دار النشر المعرفة، بالرباط، ص 158-159.

(2) مفهوم المقدم والشيوخ من الذكور والإناث لدي الشيخ محمد الكتاني هم صلة وصل بين الشيخ والعامة «الفقراء والمريدين» اعتمد على مبدأ التسيير الذاتي المبني على الأخذ بمبدأ الشورى لتسيير الشأن الديني واهتم بالمرأة حتى يكون لها دور في المجتمع.

(3) انظر أوراد الشيخ الكتاني في كتاب، ترجمة الشيخ الكتاني الشهيد، الطبعة الجديدة ص 158. والدكتور يوسف الكتاني في كتابه : الطريقة الكتانية أورادها وعهودها.

وأمام تزايد نشاط الشيخ محمد الكتاني وخليفته أخوه عبد الحي الشاب ودعوتهما الصوفية الإصلاحية، لم يهدأ بال المخزن في مدينة فاس بعد رحلات الشيخ محمد الكتاني للبوادي والمدن لنشر دعوته الدينية الإصلاحية.

دسائس فقهاء وعلماء المخزن ساهمت في محاكمة الشيخ محمد الكتاني

مما دفع المخزن يستدعي الشيخ محمد الكتاني لمحاكمته في مراكش 1314هـ-1896م، ومحاولة احتواء طريقته بأسلوب مهذب، وكان ذلك عن طريق مناظرة علمية أحضر لها المخزن علماء وفقهاء سلطته، قاموا بمحاورة الشيخ محمد في معتقده ودعوته الصوفية انتصر عليهم علميا، وأيده في أفكاره الدينية الإصلاحية الصوفية، الشيخ ماء العينين المجاهد الصوفي النوراني بالصحراء المغربية الكبرى، وسماه بـ «نوارة التصوف»[1] حدث ذلك بقصر الباهية بمراكش، اتهم فقهاء السلطة الشيخ محمد الكتاني وشككوا في نسبه الإدريسي، لكنه انتصر على خصومه، ورفعت التهمة عن الشيخ محمد الشريف، وتجاوز ضعف علم فقهاء السلطة.

ومن الغرابة أنه بعد محاكمة الشيخ محمد الكتاني لمدة خمسة عشر شهراً تراجع المخزن عن اتهامه بكون تعاليمه شبه بدعة وضلال وكفر، ثم بعد فترة وجيزة صدر ظهير سلطاني عزيزي يؤكد بكون تعاليم الشيخ محمد سليمة وتمثل روح الدين الإسلامي الصحيح.

ويمكن أن نطرح تساؤلا هل المخزن كان ينوي ويريد تصفية وجود تعاليم الشيخ محمد الكتاني المستنير النوراني أم أن المسألة بالدرجة الأولى أن غاية المخزن كانت تريد احتواء ومخزنة الزاوية الكتانية وإبعاد نشاطها عن الإسلام السياسي المستمد من مقاصد الشريعة التي تقتضي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[2]. والمغرب آنذاك لم يستطع مواجهة المشاكل الاقتصادية المستعصية والأحوال الاجتماعية السيئة والضعف العسكري والإداري.

---

(1) هذه العبارة (نوارة التصوف) وردت في مؤلف الشيخ ماء العينين سماه «القطة عجلان».

(2) للتوسع في موضوع الاتهام للزاوية الكتانية وشيخها وانتصاره على خصومة انظر: رواية مخزنية جاءت ضمن مجموع مخطوط تحت رقم 10515 في خزانة القرويين، وقد جاءت في هذا المجموع اعتبار جائز للصلاة الأنموذجية والقبض في الصلاة: وفتح الزاوية الكتانية في كل المغرب في وجه اتباعها وفقرائها ومريديها وانظر عبد الإله جريد المصدر السالف الذكر.

وعند رجوع الشيخ سنة (1315هـ-1897م) إلى فاس منتصرا على فقهاء المخزن بدأ نشاطه يتقوى ومن ورائه الشيخ عبد الحي الشاب وأتباع الزاوية الكتانية.

وبرحيل ابا احمد 1318هـ/ 1900م ظهرت بكل وضوح بداية نهاية الدولة المغربية وعجزها عن مواجهة الفتن والسيطرة الأجنبية على الأراضي المغربية، واشتدت الرهانات الدولية الأوروبية بما فيها أطماع أمريكا التي توجد في قارة جديدة.



الفصل الثالث:

بعد وفاة « ابا حماد » دخل المولى عبد العزيز
إلى مرحلة جديدة من حكمه مواجهة المولى عبد العزيز
الاتفاقيات التآمرية وفشل مشاريعه الإصلاحية
أدت إلى خلعه سنة 1908
وبيعة أخيه المولى عبد الحفيظ

تجربة المولى عبد العزيز السياسية بعد وفاة اباحماد 1318هـ/1900م

تحرر المولى عبد العزيز الشاب من الوصاية التي خضع لها طيلة ست سنوات، وقد ترك وخلّف له «ابا حماد» أموالا باهظة في خزانة الدولة على عكس ما هو شائع لدى بعض الكتاب تغنيه عن الوقوع في فخ القروض الأجنبية التي زادت في الأزمة المغربية أكثر من عهد (ابا حماد)[1] ومشاريع أخرى تدخل في دراسة المراسلات المختلطة للحماية المالية والاقتصادية والاجتماعية للحد من الحماية القنصلية والمحميين المغاربة.

وتميز المولى عبد العزيز بالأخذ بالمبدأ الديمقراطي والمهادنة الدبلوماسية للمحافظة على وحدة البلاد في مواجهة التدخلات الخارجية بطرق سلمية، وبعث السفارات إلى الخارج للحد من التدخلات الأجنبية، وقد أصدر ظهيرا عزيزي في 4 جمادى الأولى عام 1318هـ 30 غشت 1900 م، وهو محفوظ بدار الوثائق بتطوان، جاء فيه أن مدينة طنجة تعد عاصمة دبلوماسية للمغرب، ويدير دار النيابة جماعة يرأسها الحاج محمد بن العربي الطريس، وله نوابه عبد الله بن سعيد السلاوي كتاني الطريقة، عزل من وظيفته بدار النيابة سنة 1905 وأرجعه المولى عبد الحفيظ سنة 1908م، وبناصر غنام الرباطي، وعبد السلام أحرضان الطنجي، وعبد الحفيظ

(1) ومن المسكوت عنه في تاريخ ومواقف وطنية وعبقرية شخصية "ابا حماد" في السياسة وحفظه مال الدولة يقول عبد الرحمان بن زيدان: «كان في الدهاء آية وفي السياسة بحرا»، رسوخ قدمه في التثبيت والمهارة في تدبير شؤون الملوكية»، وقد ترك في خزينة المخزن العزيزي أموالا وذخائر عديدة يقول عنها ابن زيدان: «لقد اطلعت على كناش إحصاء الأموال السلطانية التي كانت مصونة بدار احماد، وعن تلك الأموال يزيد ابن زيدان قائلا : «إن تلك الأموال الباهظة فقد تفرقت شذر مدر، انتهبها الخائنون، وبذروها في شهواتهم وحرم منها المستحقون، انظر عبد الرحمان بن زيدان : اتحاف اعلام الناس، ج 1، ط2، 1990، ص 392-393. عن مكانة باحماد وصرامته السياسية يقول ابن زيدان: «...فترجمة هذا الرجل طويلة الذيل بعيدة النيل ما أجدرها إلى التفرد بالتأليف ولبعض الشاميين «العطار» نزلاء المغرب فيه تصنيف سماه «الثغر البسام...»، انظر ابن زيدان، الجزء الأول، ص 455. ويشتغل على هذه الشخصية أحد رجال العلم والفكر وهو صديق عزيز الأستاذ اسماعيل شارية قد سلمنا مشكورا مخطوط ضخم «الثغر البسام في فضل الأمير مولانا عبد العزيز الهمام» لمحمد صادق العطار الشامي، وضمن هذا المخطوط ترجمة وافية لأن شخصية باحماد طبقا لما ذكره ابن زيدان توجد منه نسخة في خزانة علال الفاسي بالرباط وكذا أورد تعريفا بالمخطوط وصاحبه العطار الأستاذ أحمد مكاوي في كتابه «المغرب في تاريخه المنسي» نشر جذور، ط 1، 2006 ، ص 79.

عن حسن تدبير ابا حماد ودهائه في تسيير شؤون الدولة يقول علال الفاسي : «قام بأمر السلطنة مدة وجوده على أحسن وجه ممكن، لما عرف به من حسن الإدارة وقوة الإرادة... حاول أحمد مسايرة الخطة الحسنية، فلما توفي فتح باب التهافت الأجنبي على المغرب» انظر علال الفاسي : «حفريات عن الحركة الدستورية في المغرب قبل الحماية» سلسلة الجهاد الأكبر رقم 6 مطبعة الرسالة الرباط ص 8.

برادة. ودخل المغرب محطة جديدة من تاريخه في بداية القرن العشرين والمولى عبد العزيز أراد اتخاذ تدابير إصلاحية بإشارة من بعض وزرائه وبطانته التي كانت خاضعة للتأثير البريطاني[1].

الإصلاح العزيزي في المجال المالي والتعليمي والعسكري والإداري

وانطلاقا من إرادة الإصلاح في المجال المالي والتعليمي والعسكري والإداري، قام المخزن العزيزي بعدة مشاريع إصلاحية منها:

1) ضريبة الترتيب: إصلاح معاق في مجتمع أمي

سن المخزن العزيزي ضريبة جديدة تعم كل المواطنين بدون استثناء، جاءت باسم الترتيب[2]، إلا أنها وجهت بانتفاضة شعبية وبتوتر اجتماعي نتيجة الوضع الاقتصادي المتدهور وسوء تدبير من بطانة السوء من وزرائه الذين ساهموا في إفشال المشاريع الإصلاحية، مما أدى إلى مزيد من السخط في الأوساط الشعبية من أصحاب الحرف في المدن وطبقات الفلاحين في القرى التي تشكل مورد كافة الإنتاج الفلاحي[3]. وقد استمرت سياسة المخزن الفاشلة التي أدت إلى تحول إصلاحي معاق في مجتمع أمي متخلف غير مؤهل للتطور والتقدم.

2) التعليم في العصر العزيزي

التعليم في العصر العزيزي رغم إرادة إصلاحه ظل تعليم عتيق لا يساير العصر، بل كان التعليم في المساجد والزوايا منصبا على العلوم الدينية في جامعة القرويين بفاس وغيرها، مركزا على علم الفقه وأصوله وعلم الحديث والتوحيد

---

(1) عن فكرة الإصلاح التي أراد المولى عبد العزيز تطبيقها بعد وفاة ابا حماد، انظر خالد بن الصغير بحثه الهام في رسالته الجامعية «بريطانيا وإشكالية الإصلاح في المغرب (1886-1904) نشر دار أبي رقراق ط 1، 2003، ص 708 وما يليها.

(2) عن الترتيب العزيزي ومحاولة إصلاح الاقتصاد المغربي والمنشأ لنص ضريبة الترتيب: انظر الطيب بياض «المخزن الضريبة والاستعمار» ضريبة الترتيب 1880-1915. افريقيا الشرق 2011 صفحة 256 وما يليها.

(3) عن نسبة الساكنة القروية بالمغرب، انظر محمد منصور «المغرب قبل الاستعمار» وهي رسالة جامعية بالإنجليزية ترجمت إلى العربية أحمد حبيدة نشر المركز الثقافي العربي ط 1، 2006 ص 123 وما يليها.

وترسيخ علم العقيدة على المذهب الأشعري ومن المعلوم تاريخيا أن المولى عبد العزيز كان منفتحا على الحضارة الأوربية، لبس ملابسهم واستعمل المخترعات الحديثة وكان مهووسا بالتصوير ساعده على ذلك غابرييل ڤيير، ومحبا للموسيقى وجلب المغنيات والراقصات من الشرق والغرب ولعب رياضة التنيس وغيرها من الهوايات المعاصرة، مما أدى في آخر الأمر إلى التقليل من هيبة أمير المؤمنين، وإدارة الجيش الفاشلة، وقد زادت الضغوط الأجنبية واحتل الجيش الفرنسي أجزاء من الصحراء المغربية توات وكوارث وتيدكلت سنة1319هـ- 1901م، وفگيك وبركان سنة 1322هـ- 1904م، وقد تجلى ذلك في ضعف الجيش المخزني التقليدي في مواجهة المد الاستعماري الفرنسي والإسباني.

بوادر ضعف الجيش المخزني

ظهر بوضوح ضعف الجيش المخزني في حرب إيسلي سنة 1260هـ- 1844م وتطوان1276هـ- 60-1859م وعن انهزام الجيش المغربي في معركة واد إيسلي واحتلال مدينة وجدة يرجع أسبابها فريد وجدي إلى ضعف الجيش المغربي التقليدي وعدم استفادتهم من النصائح الحربية التي قدمها الأمير عبد القادر الجزائري لولي عهد السلطان المولى عبد الرحمان، لكن رغم وضوح هذا النص فإنه قليل الفائدة على مستوى الحقيقة التاريخية لانهزام الجيش المغربي لأن صاحبه اعتمد في كتاباته في حرب إيسلي على الكتابات المدسوسة والإعلام الفرنسي الذي كان مجندا لخدمة المصالح الاستعمارية الفرنسية[1]. وعن حرب إيسلي جاءت رسالة الماريشال بيجو الحاكم العام للجزائر الذي قاد معركتها في كتاب حرب إيسلي ووضع خطة حربية لاستعمار مدينة فاس إذا لم يلتزم سلطان المغرب بشروط اتفاقية مغنية وقد ضربت القوات الفرنسية مدينة طنجة[2].

نلاحظ في هذا النص أن العمق الاستراتيجي لأمن الجزائر الداخلي في المغرب إذ قوة المغرب من قوة الجزائر وقوة الجزائر من قوة المغرب.

(1) انظر فريد وجدي دائرة معارف القرن العشرين المجلد الثامن دار الفكر بيروت صص 710-711.

(2) انظر Capitaine breveté H. Rozet « la bataille d'Isly (14 Août 1844) Maréchal Bugeaud Paris Henri .charles-la vauzelle édition militaire chapitre II Page 20

كيف تم تكوين الجيش المغربي

والجيش المخزني كان مكون من بعض القبائل المتنوعة جغرافيا الغير منسجمة، اعتمد عليها المخزن لدرأ الخطر الداخلي والخارجي، واستخلاص المكوس والترتيب، لم يستفيد الجيش المخزني من التدريبات العسكرية التركية والبعثات العسكرية للجنود المغاربة لتلقي العلوم العسكرية الأوروبية بالرغم من الأموال الباهظة التي صرفت عليه وساهمت في إضعاف ميزانية المخزن[1]، وكانت فرنسا تريد أن لا يؤسس المغرب جيشا حديثا متطورا ومعاصرا حتى لا يكوِّن خطرا عليها[2].

وقد تابعت البعثات العسكرية الأوروبية في المغرب وخاصة منها البعثة العسكرية الفرنسية التي فرضت حمايتها على المغرب في آخر مراحل ضعف الجيش المخزني وقد ظهر جليا هذا في عهد الحسن الأول حين تخلى عن فكرة الاستعانة بالجيش التركي وتم تعويضه بالجيش الفرنسي[3] والشيخ عبد الحي الشاب انتقد ما وصل إليه الجيش العزيزي من ضعف وسوء التنظيم في رسالته «المفاكهة».

فتنة بوحمارة المدعوم من فرنسا وإسبانيا لإضعاف المخزن العزيزي

من اللذين ساهموا في إضعاف المخزن وجهازه المالي والعسكري والإداري، وخلق الفتن والاضطرابات بعد وفاة «ابا حماد» مما زاد في حدة الأزمة المغربية الروكي «بوحمارة». أشعل الفتنة واستولى على مدينة تازة وجزء من الشمال الشرقي بدءاً من سنة 1902م إلى 1909م، حين ألقي عليه القبض في العصر الحفيظي، والشريف المجاهد أمزيان هو الذي أبعد «بوحمارة» من الناضور ففر إلى نواحي وزان إلى أن ألقي عليه

---

(1) عن ضعف ميزانية المخزن لتمويل الجيش انظر ثريا، برادة «الجيش المغربي وتطوره» منشورات كلية الآداب الرباط، ص 255.

(2) انظر بهيجة سيمو، La lettre monjon ou ministre de la guerre 1910
« la reforme militaire du 1908 -1912 » N° 28 page 302.
المغرب في تاريخه المنسي – أحمد المكاوي نشر جدور 2006.

(3) انظر الدراسة المتميزة عن البعثات العسكرية الأوروبية للمغرب وكيف تدبر دسائسها لأضعاف الجيش والسيطرة على المغرب، مصطفى الشابي «الجيش المغربي في القرن التاسع عشر (1830–1912) نشر المطبعة والوراقة الوطنية مراكش ج 2، ص 301 وما يليها.

القبض في قبيلة بني مستارة، وكذا ساهم في الأزمة الشريف أحمد الريسوني الذي ظهر بشمال المغرب بطنجة سنة 1903، لكن أهداف الشريف الريسوني الذي بايع السلطان المولى عبد الحفيظ سلطان الجهاد تختلف عن أهداف «بوحمارة» الذي كان يطمح أن يصبح سلطانا على المغرب مدعيا أنه الأمير مولاي (محمد افتحا) الابن الأكبر للحسن الأول وولي العهد الحقيقي والأحق بالسلطنة حسب بعض الروايات التاريخية بدل المولى عبد العزيز الأصغر [1].

كيف دخل المغرب في معترك التنافس الاستعماري

لقد استطاعت فرنسا أن تصل إلى مرادها في خضم الرهانات الدولية على الدول المنافسة لها من سنة 1900م إلى 1905م، إذ أبرمت فرنسا مع إيطاليا اتفاقا وديا لتوزيع المستعمرات بينهما، المغرب تحكمه فرنسا مقابل ليبيا لإيطاليا سنة1320هـ-1902 م.

وأخطر اتفاق سري هو الذي وقع بين بريطانيا وفرنسا عام 1322هـ- 1904م لتصفية الخلافات الاستعمارية بين الدولتين رغم الحروب التي استمرت بين فرنسا وبريطانيا مائة سنة، إذ تخلت بريطانيا عن حماية استقلال المغرب مقابل أن تأخذ مصر، والمغرب لفرنسا مع إسبانيا الدولة العجوز لتوزيع الأراضي المغربية بينهما[2].

وقد لاحظ المولى عبد العزيز أن بريطانيا تخلت عنه واشتدت الأزمة المغربية ماليا وعسكريا وإداريا، مما دفع المولى عبد العزيز يطلب قرضا جديدا من فرنسا لمواجهة فتنة بوحمارة، مما جعل فرنسا تتقدم للمولى عبد العزيز بمشروع إصلاح استعماري لصالحها لتسيطر على المغرب.

---

(1) انظر Gabriel veyre, « Dans l'intimité du sultan », eds Afrique Orient 2009 page 8 et 9 et 34 .-

(2) انظر بتفصيل إلى كيف تم توزيع الأطماع الاستعمارية في شمال افريقيا بين فرنسا وبريطانيا وغيرها من الدول الإمبريالية، خالد بن الصغير : بريطانيا وإشكالية الإصلاح في المغرب 1886-1904، نشر دار أبي رقراق 2003 ص 674-675-676.

المولى عبد العزيز يؤسس مجلس الأعيان لمواجهة الخطر الفرنسي وإفشاله

أسس المولى عبد العزيز مجلس الأعيان سنة1323هـ- 1905م بإيعاز من العلماء وأعيان المغرب وعلى رأسهم الشيخ محمد الكتاني وأخوه الشاب النشيط عبد الحي لمواجهة مشروع الإصلاح الذي تقدم به سان روني طاياندي Taillandier سفير فرنسا[1]، وهدد هذا الأخير المجلس بشدة وادعى «طاياندي» أن بوحمارة سيقضي على المغرب، فقام الشيخ محمد الكتاني قائلا لطاياندي : «إننا مستعدون للقضاء على «بوحمارة» فأجابه طاياندي Taillandier مهددا المغرب «إن وقع ذلك سيأتي بوحمارة آخر»[2].

و«بوحمارة» كانت تدعمه فرنسا بالمال والسلاح كما أثبتت ذلك الرسائل المخزنية(3) وقد وقفت ألمانيا ضد المشروع الاستعماري الفرنسي وأكدت أن المغرب يجب أن يبقى بلدا مستقلا.

فرنسا تحقق أهدافها الاستعمارية في مؤتمر الجزيرة الخضراء

انعقد مؤتمر الجزيرة الخضراء سنة1324هـ/ 1906م بين الدول الاستعمارية الأوروبية وأمريكا والمغرب، وقد اعتبرت الدول الأوروبية مؤتمر الجزيرة الخضراء مؤتمرا ذا أهمية لأنه أخر وقوع الحرب العالمية الأولى[4]، علما أن المسألة المغربية تعتبر سببا من الأسباب الغير مباشرة للحرب العالمية الأولى سنة 1914م، وتأكيدا لذلك جاء في رسالة أحد المستشارين المغاربة وهو عبد الحكيم المزوغي كتب رسالة إلى عبد الله بن سعيد في 22 جمادى الأولى 1323 هـ موافق 25 يوليوز 1906 أورد فيها ما

(1) عن دور الشيخ محمد الكتاني في إفشال مشروع سان روني طاياندي الاستعماري يخبرنا خيري فارس اعتمادا على وثيقة أن الشيخ محمد الكتاني وأخوه عبد الحي طلبا من المولى عبد العزيز عقد مؤتمر دولي بفاس حتى يفشل مشروع إصلاحي استعماري قدمه سان روني طاياندي الفرنسي وقد كان عبد الله بن سعيد من أتباع الزاوية الكتانية وبحكم وظيفته السامية بدار النيابة بطنجة، أطلع وأخبر الشيخ محمد بكل الدسائس التي كانت تدبر ضد المغرب، انظر خيري فارس «المسألة المغربية من (1900-1912) طبع بمصر ص 270.

(2) انظر الحريشي : «المدرسة الناصرية بفاس» طبع النجاح الجديدة 2003، ص 133.

(3) انظر رسالة تثبت إدانة فرنسا بمساعدة بوحمارة ضد المغرب.

(4) يذكر علال الفاسي أن المغرب العربي وتنافس الدول الاستعمارية على امتلاك البلدان واستغلال خيراتها كان أحد أسباب الحرب العالمية الأولى: انظر علال الفاسي المغرب العربي منذ الحرب العالمية الأولى منشورات مؤسسة علال الفاسي ط 3 ، 2010، ص150 .

يلي: «ونعرفكم بأن الفرنسي قد طوعه الألمان ورضي بالحضور بالمؤتمر الذي طلب مولانا تشكيله قهراً وجبراً، لازال بين أعين هذا الجيل، وقد ظهرت الألطاف والحمد لله وانتصر إلينا من سخره الله لنا ونحن نيام في أضغاث أحلام، فرج الله على المسلمين، وقد طلب الأجناس من مولانا أن يبين لهم على وجه الإجمال المسائل التي يريد أن يتباحث فيها معهم قبل الاجتماع»[1].

وقد مارست ودبرت فرنسا بدهاء سياسة دبلوماسية الكواليس في الجزيرة الخضراء والوفد المغربي في هذا المؤتمر كان يواجه صعوبات الترجمة، وقد أكد ذلك المقري بقوله: «إننا كنا جالسون كتماثيل لا نستطيع أن نقول شيئا ولا نفهم شيئا مما يقال»[2]. وسمح المؤتمرون الغربيون لفرنسا وإسبانيا بالتدخل لإصلاح مالية وإدارة جيش المغرب وشرطته رغم مواقف ألمانيا المضادة.

وتطورت الأحداث بسرعة وزاد تدخل فرنسا واسبانيا في المغرب مما جعل المقاومة المغربية تقتل الطبيب الفرنسي (موشان)، وحسب بعض الروايات التاريخية كان ذلك نتيجة رفع الطبيب (موشان) علَم بلده فوق سكناه بمراكش متحديا الشعور المغربي وعمله كطبيب جاسوس لصالح فرنسا.

وقد اتخذت فرنسا قضية قتل الطبيب الفرنسي حسب بعض الروايات التاريخية المعاصرة لهذا الحدث[3] ذريعة لاحتلال مدينة وجدة سنة 1325هـ/ 1907م[4]. كما بررت احتلال الجزائر سنة 1246هـ/ 1830م بسبب إهانة حاكم الجزائر لسفيرها.

---

(1) وردت رسالة المزوكي كذا عند علال الخديمي «التدخل الأجنبي والمقاومة بالمغرب 1894-1910، انظر زين العابدين العلوي «المغرب من عهد الحسن الأول إلى الحسن الثاني» ج 1، ص 281. وشوقي الجمال «تاريخ كشف افريقيا واستعمارها» مكتبة الأنجلو.

(2) انظر خيري فارس «المسألة المغربية 1900-1912» نشر دار الشروق سوريا ط 2، 1980، ص 299.

(3) لقد سمى ابن زيدان الانتفاضة الشعبية وقتل الطبيب موشان بالعصيان.
ونذكر هذا بالسابقة التي عاشتها الشقيقة الجزائر سنة 1838 ذريعة لتدشين مسلسل احتلال الجزائر من المغرب.

(4) وفي هذا الصدد نشير إلى محمد المنوني «مظاهر يقظة المغرب الحديث» الجزء الثاني الفصل الثاني ص 489 عن دور الكتابات نثرا وشعرا في المقاومة ضد احتلال وجدة.
للتعرف أكثر عن تاريخ مدينة وجدة انظر مارية دادي «تاريخ مدينة وجدة من التأسيس إلى 1830م» جزئين نشر كلية الآداب وجدة 2005.
وانظر . Louis Voinot « Oujda et l'Amalat » édit. la porte 2010, page 206

وكذا الأمر تاريخيا جاء في كتاب «المغرب وفرنسا من سياسة حسن الجوار إلى الاحتلال العسكري» جاء فيه معلومات تاريخية نشير إلى بعضها، عن اختلاف موقف المخزن العزيزي، كان يعتقد أن الفرنسيين لم يكن في نيتهم المكوث فيها لأن فرنسا احتلت مدينة وجدة قبيل حرب إيسلي سنة 1844م، ومباشرة بعدها خاصة حين انتقلت بعض القوة المغربية لمحاربة (الروكي) في ناحية مدينة مغنية الجزائرية، وأن المخزن العزيزي دفع بقوة عسكرية خشية احتلال مدينة السويرة»[1]. التي لا تبعد كثيرا عن مدينة مراكش التي قتل فيها الطبيب (موشان).

وعن موقف الشيخ محمد الكتاني وأخيه عبد الحي الشاب وأتباع زاويتهما الكتانية، يؤكد عكاشة برحاب. «عن الذهنية التي كانت سائدة خاصة عند محمد بن عبد الكبير الكتاني الذي تميز ببعد نظر وحدس سياسي، فحذر من أن سياسة المخزن المتبعة آنذاك قد تؤدي إلى توسيع رقعة الاحتلال». ويزيد قائلا: «وهو ما تأكد لاحقا صدق أقواله» (الكتاني).

ويؤكد أن الكتاني لا يخفي المرارة والحزن بسبب احتلال وجدة، وقد رصدت جريدة «الدّبيش: La dépêche marocaine الفرنسية وجريدة السعادة التي كانتا تصدران بطنجة1326هـ/ 1908م الخطبة التي ألقاها الكتاني في القرويين في الأوساط الشعبية وعلماء وأعيان فاس انظر ص 130 وص 131 وص 132 من نفس الكتاب، ونذكر أن عكاشة برحاب سلمني مشكورا الرسالة التي كتبتها جريدة «الدّبيش» الفرنسية الاستعمارية قبل أن ينشرها في كتابه السالف الذكر.

---

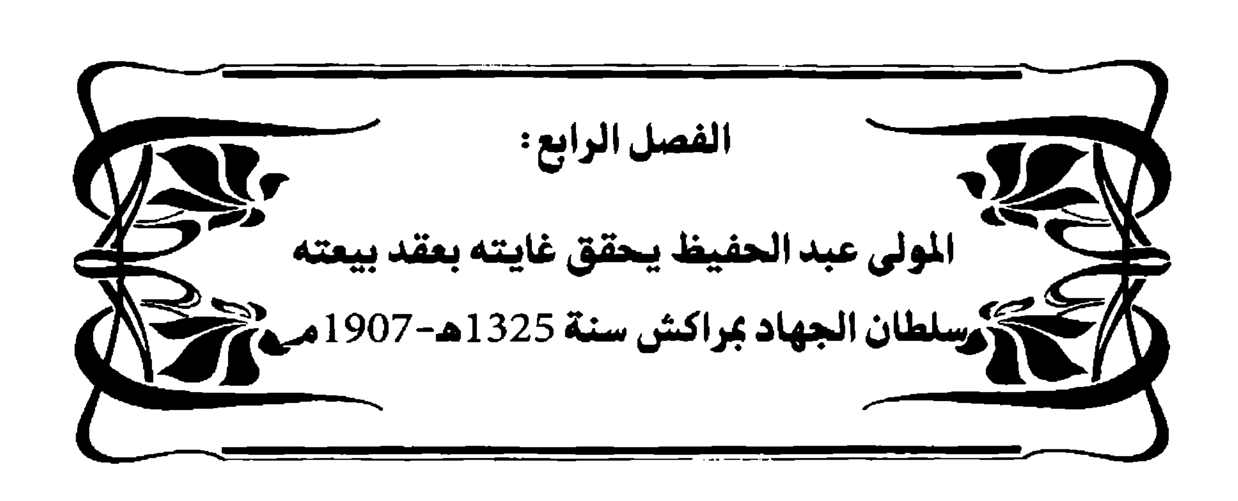
(1) عن عمران وتاريخ مدينة السويرة بدل كتابتها بالصاد (الصويرة) اعتمدت الباحثة المتميزة على وثائق وكتابات غربية ومصادر عربية التي أجمعت على تسمية مدينة الصويرة بالسين (السويرة) منهم المؤرخ الزياني في الروضة السلمانية واكنسوس والضعيف الرباطي والغزال أحمد في نتيجة الاجتهاد في المهادنة والجهاد والقادري محمد بن الطيب في نشر المثاني والمختار السوسي في ايليغ قديما وحديثا وغيرها.
لكن من الملاحظ أن الأستاذ عبد العزيز التوري في تقديمه لهذا الكتاب عن مدينة موكادور السويرة دراسة تاريخية أثرية، أطلق وسمى مدينة الصويرة خلافا لما وصلت إليه الباحثة بتسميتها بالسويرة بالسين وليس بالصاد، يبدو أن مقدم هذا الكتاب «السويرة» متأثرا بالقول أو المثل : «خطأ مشهور أفضل من صواب مهجور» انظر مينة المغاري «مدينة مكادور السويرة نشر دار أبي رقراق، 2005 صفحات التقديم من 11 إلى 15 وتسمية السويرة انظر الصفحات 81 وما يليها.

وعن حكم وسياسة السلطانين الأخوين وموقفهما من تحرير مدينة وجدة وغيرها يقول المؤلف: «كان عبد العزيز يحاجج الفرنسيين من أجل كف عدوانهم على البلاد وقد تبنى السلطان عبد الحفيظ النهج نفسه بعد تراجعه عن الدعوة إلى الجهاد»[1]. وقنبلة وضرب الدار البيضاء المدينة المكشوفة[2] بالمدافع واحتلالها في نفس السنة وضرب الشاوية وتخريبها واحتلالها[3]، مما عجل بسقوط حكم المولى عبد العزيز وإعلان خلعه لإمارة المؤمنين وتمت بيعة أخيه وخليفته بمراكش يوم الجمعة 5 رجب 1325 هـ / 16 غشت 1907م.

(1) انظر عكاشة برحاب «المغرب وفرنسا من سياسة حسن الجوار إلى الاحتلال العسكري» طبع بالرباط، نيت 2007، ص 160.

(2) أثبت الشيخ عبد الحي في رسالته (المفاكهة) أن ضرب المدن المكشوفة محرما دوليا حسب مفهوم القانون الدولي.

(3) انظر علال الخديمي «التدخل الأجنبي والمقاومة 1894-1910م ط 2، إفريقيا الشرق 2006، ص 331.



الفصل الرابع:

المولى عبد الحفيظ يحقق غايته بعقد بيعته سلطان الجهاد بمراكش سنة 1325هـ-1907م

لقد حقق المولى عبد الحفيظ رغبته الدفينة: بمؤامرة دبرها[1] وحشد تأييد أتباعه وعلماء وأعيان الجنوب، بايعوه سلطان جديدا باسم سلطان الجهاد لتحرير الشاوية والدار البيضاء وكافة الأراضي المستعمرة من قبل القوات الأجنبية[2].

وفي هذه المرحلة الصعبة بعد بيعة مراكش أراد المولى عبد الحفيظ أن يظفر بيعة فاس العاصمة العلمية والسياسية للمغرب ليكسب المشروعية الكاملة.

وعن سبب ذهاب الشيخ محمد الكتاني ولقائه بالمولى عبد الحفيظ لمساندة بيعته يخبرنا الشيخ عبد الحي في كتابه «المظاهر السامية» المخطوط ج 2 في صفحته الأولى أن المولى عبد الحفيظ بعد احتلال وجدة وضرب الدار البيضاء والشاوية «أكثر الود للبيت الكتاني» وكمثال على ذلك صدور رسائله بخطه إلى والدنا وإليَّ وإلى أخي الشيخ محمد، ومما يذكر الشيخ عبد الحي لما حلَّ بمراكش سنة 1321هـ/ 1903م الميلادي طلب منه المولى عبد الحفيظ خليفة أخيه المولى عبد العزيز بمراكش إجازته إجازة عامة فكتبها له الشيخ عبد الحي الكتاني طَنَّانة في نحو ثلاثة كراريس[3].

---

(1) ورد في موضوع ملاحظات حول التشكيلة المخزنية في عهد السلطان مولاي عبد الحفيظ بن الحسن (1326هـ-1330-هـ/ 1908-1912م) وثائق مخزنية يتضح من خلال قراءتها أن المولى عبد الحفيظ كان يُضمر أن يصبح سلطانا على المغرب قبل أربع سنوات على مبايعته، ودبر خطته معولا على القائد المدني بن محمد الكلاوي قبل غيره ليحتفظ ببعض الأسلحة التي مرت على يده والوثيقة توضح ذلك جاء فيها: «محبنا الأود الأنجد خديم سيدنا القائد المدني الكلاوي... وصل كتابك جوابا على جوابنا لك وبطيه الكتاب المشار برده بعد قراءته، وصرنا مع جميع أموره على بال، وعليه فإن المدافع والخزائن والشيء من القرطوس الذي ذكرت، وأن صنو سيدنا مولاي عمر تركه حيث ارتحل من هنا بيد العسكر، ولم يتلفت إليه... سائلا منا ما يكون فيه عملك، فليبق تحت يدك الكل حتى نعلمك بما يكون عليه العمل بحول الله وبه الإعلام والمحبة والسلام في 7 ربيع الثاني 1324هـ/ 7 مايو 1906م، انظر مصطفى الشابي جامعة مولاي علي الشريف أعمال الدورة التاسعة «السلطان مولاي عبد الحفيظ» نشر وزارة الثقافة والاتصال 2001 ص 218، ومن خلال هذا النص نستخلص أن المولى عبد الحفيظ كان له علم بالأسلحة التي كان يتوفر عليها الجيش المغربي، بمعنى أنه سمي بسلطان الجهاد وهو في الحقيقة أن المملكة المغربية لا تمتلك أسلحة ذات فعالية لمواجهة العدو الداخلي لذلك من البداية اتجه إلى «مشرع الشعير» وتفاوض مع الفرنسيين على أن يسمحوا له بالمرور إلى عاصمة مملكته فاس المحروسة.

(2) انظر . Martin A.G.P « Quatre siècle d'histoire marocaine », éd. la porte

(3) انظر مخطوط «الدر المنتخب والمستحسن فيما أسندناه للمولى عبد الحفيظ ابن السلطان المولى الحسن» المكتبة الصبيحية بسلا تحت رقم 103، وكذا سلمتنا الدكتورة الفاضلة نور الهدى الكتاني نسخة مصورة من إجازة الشيخ عبد الحي الكتاني للمولى عبد الحفيظ كانت في خزانة والدها الشيخ العلامة مولا ي عبد الرحمان الكتاني.

المولى عبد الحفيظ يرسل عدة رسائل لتأييد بيعته سلطانا على المغرب.

نذكر منها خمس وهي :

1- الرسالة الأولى وجهها سلطان الجهاد المولى عبد الحفيظ إلى الشيخ عبد الكبير الكتاني.

2- والرسالة الثانية أرسلها إلى الشيخ محمد الكتاني مؤسس الزاوية الأحمدية طالبا منه أن يجمع علماء فاس وأعيانها لعقد بيعة أهل فاس ومكناس وقبائل الأطلس المتوسط له.

نص الرسالة الحفيظية للشيخ محمد الكتاني :

«محبنا الأرضى الفقيه العلامة الشيخ سيدي محمد بن عبد الكبير سددك الله والسلام عليك ورحمه الله وبركاته، وبعد، فما زالت الأيام تعرف جاهل فضلك وآيات محبتك في جنابنا الشريف يتلوها إخلاصك في موافقة قولك لفعلك، وقد وصلنا كتابك المبارك، واستقرينا فصوله وعرفنا مضمنه وحصوله، مما نحن منه على يقين وصار بالبال وكل فصول الكتاب يضيف القرطاس على الوفاء بجوابها، إلا عند المشافهة بحول الله لأهمية مواد كل ذلك وسعة المجال فيه، نعم العزم الذي أنت عليه في الورود لحضرتنا السامية بالله مصحوبا بحرْكات القبائل كزمور وزعير، فنأذنك في تنفيذه والعمل على مقتضاه، لتعجل بالقدوم بقصد ملاقاة ركابنا العالي بالله بقبيلة زعير مع اجتهادك في تنفيذه، حركات معبرة من الأوائل والقبائل، وإعمال بالك هنا مع طي المسافات الزمانية والمكانية، فإن ركابنا الأحمى هو اليوم بوادي النجاة على أربعة مراحل من وادي أم الربيع، فها نحن في انتظارك الدار بعد الدار، سددك الله وأعانك وأمدك بالتيسير وأشد بك... إلخ».

3- والرسالة الثالثة أرسلها للشيخ عبد الحي الكتاني الشاب لينتقل ومعه أتباع الزاوية الكتانية لملاقاة المولى عبد الحفيظ سلطان الجهاد بمشرع الشعير»[1] ونصها نورد بعضها.

(1) مشرع الشعير يسمى الآن مشرع بن عبو بناحية بني ملال.

«وأما أخوك المحدث الطيب سيدي عبد الحي، فلازال غرضنا الشريف متعلقا بمصاحبته لركابنا الأحمى، وكأننا برؤيته نراكم، أقر الله عين كل منهما بالآخر، وعضد بأمثالكما عروة الدين، وأخلص مقاصد الكل لوجهه بمنه والسلام، في 17 ربيع الأزهر عام 1326هـ 1908 م».[1]

4- والرسالة الرابعة أرسلها إلى الشيخ ماء العينين، وبنفس العمل والأسلوب تعامل المولى عبد الحفيظ مع الفقهاء وأقطاب التصوف الكبار، وورد عند أحمد زيادي أن بيعة المولى عبد الحفيظ قد تمت بإجماع العلماء في مراكش تحت إشراف الصوفي النوراني ماء العينين لأن السلطان المولى عبد العزيز قصر في الدفاع عن بيضة الإسلام في شنقيط..

وقد أسرع المولى عبد الحفيظ سلطان الجهاد ببعث رسالة إلى الشيخ ماء العينين تفوح تعابيرها بروح صوفية عرفانية يستأذنه فيها للقيام بالواجب الديني (البيعة والجهاد)[2]. ومن ضمن ما جاء في هذه الرسالة قصيدة دالية تعبر عن حبه للشيخ بالاحترام والتقدير والتبجيل والتعظيم مطلعها :

أيا قصر الدهر الذي تم نوره ويـا كعبة يحجهـا كل متقد

وفيما يلي نص رسالة السلطان المولى عبد الحفيظ:

«الحمد لله وصلاة على سيدنا محمد وآله

«قطب رحي الاعتقاد وكعبة كل محبة ووداد شيخنا ووسيلتنا إلى ربنا الصادق الرباني الواصل الصمداني... العلامة الجامع سيدي ماء العينين (...) وصلني كتاب السيادة العرفانية (...) وأعلمتم بتوجيهكم المقدم السيد المصمداني... العلامة الجامع سيدي ماء العينين وأعلمتم بتوجيهكم المقدم السيد محمد امبارك للمشافهة

(1) انظر عبد الحي الكتاني «المظاهر السامية» المخطوط، ج 2 ص 10. مجموع الرسائل التي أرسلها سلطان الجهاد إلى الشرفاء الكتانيين.

(2) انظر الطالب أخيار بن الشيخ : «الشيخ ماء العينين علماء وأمراء في مواجهة الاستعمار الأوروبي» ج 2 نشر مؤسسة مربيه ربه 2007 ص 281 و282 والرسالة وردت في الجزء الأول من نفس المصدر.

معنا بما لا يسعه القرطاس ولتعلم سددك الله أنه وقع بهذه الدولة الإسلامية وأشرفت به على أن تصير جزءا بعد عين، حتى صارت في الوهن للغاية القصوى التي لا مزيد عليها ولا من يرق للمسلمين ولا من لا يرعى حرمة الإسلام فيهم، وذلك أن العدو استولى على مدينة وجدة وحيث وقع السكوت له على ذلك دل على أنه مأمور فيما يفعل، فأفتى العلماء بوجوب خلع ذلك المقلد لعدم كفايته وبلزوم نبذ طاعته ما دام هذا الرمق باقيا بالمغرب، واتفق هؤلاء المسلمون على عقد بيعتنا وجمع كلمتهم علينا، وأجبنا دعوتهم قياما لما يجب، ولا زالت القبائل والوفود تتوارد على حضرتنا العالية بالله، دخولا في أمر الجماعة وأداء واجب الطاعة، ونحب أن تعجل بالقدوم علينا، إذْ أنت الصدر المتقدم والعمدة والقدوة للأتباع... وها نحن وجهنا كتابنا من أعيان كتاب حضرتنا العالية بالله، وقائد رحى ومن معهما من الخيل للإتيان صحبتك ومرافقتهما بالطريق تعظيما لمقدام جلالتك المباركة الميمونة التي يتشوف للاهتداء بمنارها كل مؤمن عاقل نبيه فاضل، وتعلم سيدي أن تأخرك عن القدوم مع هذا كله هو عملة كبيرة في جمع جماعة المسلمين لكونك والحمد لله كعبة اقتداء ومحجة اهتداء ولا يناسب جلالتك الجليلة إلا التقدم وعدم التأخر لئلا يقتدي بك الغير ويختل نظام الإجماع وذلك هو منى العدو وأمنيته. وظن المسلمين بك الحمد لله هو أن تعين على جمع كلمتهم بسائر ما يمكنك قولا وفعلا وحالا كلها منكم لله المنة دلالة وإرشاد وهدي لسواء السبيل والسداد ونسألكم صالح الدعاء في حركاتكم وسكناتكم، نحن بحول الله على عهدكم لا نزول عن اعتقادكم لا نلتفت ولا نحول سائلين منه سبحانه الثبات على ذلك وعلى العهد وكمال الوداد والسلام[1].

في 17 رجب 1325 هـ - 1907 م

ومن الملاحظ أن المولى عبد الحفيظ تعامل مع الشيخ ماء العينين بأسلوب صوفي.

---

(1) انظر الطالب أخيار بن الشيخ مامينا آل الشيخ ماء العينين «الشيخ ماء العينين» الجزء الأول، مطبعة بني يزناسن، سلا ط 2005 ص 502. أخبرنا المؤلف أن هاته الرسالة في حوزته وهي في خزانة الشيخ لارباس بن الشيخ محمد الأغضف بالرباط.

لقد لبى الشيخ نداء الواجب فأسرع إلى السفر ووصل إلى مراكش، واستقبل السلطان وحاشيته الشيخ ومريديه، والتمس الشيخ من سلطان الجهاد تجهيز أتباعه ومريديه بالسلاح والعتاد لإخراج المستعمر الفرنسي من البلاد. لقد أحسن الشيخ ماء العينين الظن برسالة المولى عبد الحفيظ الذي خاطب الشيخ الصوفي بلسان مقاصد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لكن المولى عبد الحفيظ تخلى عن الجهاد وهو بمشرع الشعير وبذلك خيب آمال من بايعوه كما فعل أخوه المولى عبد العزيز.

5- والرسالة الخامسة بعثها المولى عبد الحفيظ إلى الشيخ أبي شعيب الدكالي وهو في المشرق.

سبب رجوع الشيخ أبي شعيب الدكالي من المشرق إلى المغرب عام 1325هـ/ 1908م تلبية للرسالة الملكية

لقد رجع الشيخ إلى المغرب مستجيبا لنداء سلطان الجهاد واستقبله حين رجوعه بحفاوة تليق بمقام الشيخ، وقد أسند إليه رئاسة الدروس الحديثية بعد أن قام بالمشرق حوالي عشرين عاما وقام بالتدريس في الأزهر وانتقل إلى الحجاز وجاور في مكة المكرمة وألقى دروسا بها وفي رحاب الحرم النبوي بالمدينة المنورة، درَّس صحيح البخاري، وحضر دروسه أحد طلبته من المغرب على سبيل المثال الشيخ عمر بن حمدان المحترسى وغيره من الطلبة من مختلف البلدان العربية والإسلامية، وألقى دروس في السيرة النبوية بكتاب الشفا للقاضي عياض، وقد بلغ الشيخ الدكالي أن أصبح خطيبا بالمسجد الحرام بمكة ولُقِّب بخطيب الحرم المكي أثناء مقامه بها.

وقد بث في المغرب دروسا في الوعي الديني الإسلامي، ومحاربة البدع والفساد الأخلاقي الديني، وكذا فعل الشيخ المناضل محمد بن العربي العلوي 1880-1964م. وهناك شهادات لتلاميذ الشيخ شعيب الدكالي نشير إلى بعضها مثل:

شهادة عبد الله الجراري عن شيخه وأستاذه يقول: «كان نادرة بالمغرب وأحد علمائه، وإماما في علوم الحديث والسنة وفقيه معاني الآثار والخلاف العالي[1]» وعبد الله كنون جاء في كتابه «التعاشيب» قال عنه كلمة جامعة مانعة ويصفه بقوله : «هو محمد عبده المغرب وشيخه الإمام»[2].

وعلال الفاسي جاء في رثائه أوردته جريدة الأطلس بتاريخ 20 جمادى الأولى السنة الأولى العدد 24 يقول: «... كان الفقيد في الرعيل الأول من أشياخنا الذين نعوا على التقليد وحاربوا الجمود، ودعوا إلى التحرر من قيود العصور الأخيرة المنحطة» ومن باب المعرفة والتاريخ.

نذكر ما قاله عنه تلميذه المختار السوسي قال عنه: «ثم بدا للسلطان أن يشتري في مكة ما يكون للمجاورين المغاربة، فأرسل الشيخ لذلك، فلما رجع إذا الرسوم في إسم الشيخ، فأخبره أن القانون في مكة يمنع الشراء باسم أجنبي، فرده السلطان ليستبدل اسمه في رسم الشراء بها أمكن، فكان ذلك سبب إعراض مولاي عبد الحفيظ عنه كما حدثني به بعض حاشيته[3].

وإرجاع الشيخ الدكالي بأمر ملكي ليسجل رسم الشراء باسم الدولة المغربية هذا هو عين العقل وكان من المطلوب من الشيخ أن لا يخرج عن ما أمره به سلطان المغرب في مصلحة شعبه.

وبعد رجوع الشيخ أبي شعيب الدكالي إلى المغرب ولاه المولى عبد الحفيظ قضاء مراكش، وقد بقي الشيخ في منصبه وزيرا في حكومة المولى يوسف في عهد الحماية ليكرس نفسه للتدريس والتجارة والفلاحة، وقد ظل الشيخ أبي شعيب الدكالي يدرِّس في عصر محمد الخامس وقد منحته سلطات الحماية وسام رفيع[4].

---

(1) انظر عبد الله الجراري : «المحدث الحافظ أبو شعيب الدكالي» نشر دار الثقافة البيضاء وانظر محمد رياض «شيخ الإسلام أبو شعيب الدكالي الصديقي» طبعة جديدة منقحة 2009 دار النجاح الجديدة ج 1 ص 426 وما يليها.

(2) - انظر عبد الله كنون «التعاشيب» الطبعة المهدية، بدون تاريخ، ص 110.

(3) انظر العلامة المختار السوسي «مشيخة الإليغين من الحضريين» مطبعة المعارف الجديدة ط 1، 2010 ص 25.

(4) انظر محمد عابد الجابري، «المغرب المعاصر الخصوصية والهوية»، المركز الثقافي العربي، ط 1، 1988 ، ص ص 22-23.

ويجب القول أن دروس العلامة الشيخ أبي شعيب الدكالي لم تكن مقصورة على تلامذته المتعلمين، بل كان ينشر الوعي الديني الإسلامي بكل ما يتصل بحياة المسلم اليومية بين الطبقات الشعبية، إذ كانت الأولوية لدى الشيخ لنشر الفكر الثقافي على السياسي بين الخاصة والعامة ليدخل الجميع في معترك الحياة اليومية، ونسوق مثالا على ذلك أنني كنت أعرف شيخا عاميا حكيما إذا تحدث معك يستدل في أحاديثه بقواعد الفقه والأصول كأنك مع عالم متمكن في علوم الدين الإسلامي والأصول، ومن الأمثلة التي كان يستدل بها ذلك الشيخ الأمي من حيث كتابة الحرف يقول: «إذا قرّ الخصم ارتفع النزاع، والورق ينوب عن المرق» بمعنى أن الشيخ الدكالي كان يفضل تسليم الأوراق النقدية لمقرئ القرآن في الولائم بدل الطعام وذلك لقضاء مآرب أسرته التي يعمل من أجل تغطية مصاريفها.

وفي هذا الظرف الدقيق، بعد بيعة مراكش فهل كان المولى عبد الحفيظ في حاجة ماسة إلى مساندة ودعم الزاوية الكتانية وأتباعها ومريديها؟ وجواباً على هذا السؤال اعتمدنا على مصادر مغربية وفرنسية ووثائق ذات أهمية في الموضوع تجعل مقاربة الواقع بناءاً على مستوى النصوص وسياقها العام، وحتى يمكن استكشاف خلفيات هذا السياق ومقاربة تفسيره وتأويله، نبدأ بأكبر مساند للبيعة الحفيظية وهي في المهد لم تكتمل بعد من قبل الشيخ عبد الحي الكتاني الشاب.

الشيخ عبد الحي الشاب ينفذ أوامر السلطان المولى عبد الحفيظ لأن بيعته كانت في عنقه:

وامتثالا وتنفيذا للرسالة السلطانية الحفيظية وبأمر من أخيه الشيخ محمد الكتاني، يرحل الشيخ الشاب عبد الحي الكتاني معرضاً نفسه للخطر لنشر الدعوة الحفيظية ومعه الشيخ عبد الكريم مراد الشامي داعية الصلاح الديني والسياسي، وأتباع الطائفة الكتانية ومريديها من قبائل بني مطير وازعير وغيرها من القبائل التي مر بها الشيخ الكتاني الشاب في طريقه لملاقاة المولى عبد الحفيظ سلطان الجهاد «بمشرع الشعير» بالضفة اليسرى لنهر أم الربيع قرب مشرع بن عبو. وقد مكث

المولى عبد الحفيظ في هذه المنطقة حوالي أربعة أشهر لفك الحصار عليه وعلى محلته، وحتى لا يقع السلطان الجديد المولى عبد الحفيظ بأيدي قوات المولى عبد العزيز والجيش الفرنسي المساند له والمجهز بأحدث الأسلحة فضلا عن تطبيق فرنسا أساليب سياسة الاحتواء المزدوج بإشعال حرب أهلية بين الأخويين لتعجل فرنسا بإضعاف المغرب وتسريع فرض حمايتها عليه.

وتأكيدا لما أشرنا إليه نستدل بخمس شهادات :

1- شهادة أولى أوردها أحمد المنصوري صاحب «كباء العنبر» عن أن القائد الشرادي الذي ساعد الشيخ عبد الحي الشاب للوصول إلى المولى عبد الحفيظ سلطان الجهاد وفك الحصار عليه إذ قال القائد الشرادي للشيخ عبد الحي الكتاني منبها إياه حتى لا يقع في أيدي القوات العزيزية:

«يا سيدي إنك قد خاطرت بمرورك على هذه القبائل وخاصة أولاد عبدون فإنها كلها عزيزية، ولو سمعوا، أو فطنوا بك، أنك متوجه لمولاي عبد الحفيظ، لكان ما لا تحمد عقباه، فانج بنفسك مسرعاً من الأخطار التي ربما تواجهك ممن تطلع على جلية أمرك»[1] .

ويؤكد نفس المصدر بالنسبة لمساندة بيعة المولى عبد الحفيظ بقوله : «قد ضحى شقيقه الشيخ محمد الكتاني بعرش السلطان الأول (المولى عبد العزيز) ليكرس عرش الثاني (المولى عبد الحفيظ)»[2]

ونلاحظ من خلال هذا النص أن الشاب عبد الحي الكتاني عرض نفسه للخطر لفك الحصار على المولى عبد الحفيظ سلطان الجهاد لأن بيعته كانت في عنقه ولا يمكن له التخلي عنها.

2- والشهادة ثانية عن دور الكتاني في بيعة المولى عبد الحفيظ وردت في

(1) انظر أحمد المنصوري: «كباء العنبر» تحقيق د. محمد بن الحسن، نشر المندوبية السامية للمقاومة، ط 1، 2004، ص 171.

(2) انظر أحمد المنصوري، نفس المصدر، ص 172.

مخطوط «الدرر اللفظية في المملكة الحفيظية» وهو قيد الطبع يذكر محققه أحمد أشرخان أن المؤلف ختم مخطوطته بقوله: «عن الدور الريادي الذي قام به العلامة الداعية الشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني في الدعوة الحفيظية، واستمالة أعيان فاس والقبائل البربرية للموافقة على البيعة الحفيظية»[1].

3- وردت شهادة ثالثة في نفس السياق التاريخي يذكرها عبد الحفيظ الفاسي في «معجم الشيوخ» وهو شاهد عيان على مساندة الشيخ محمد في بيعة المولى عبد الحفيظ إذ يخبرنا بقوله: «كان الشيخ محمد الكتاني من أعظم العوامل في مبايعة المولى عبد الحفيظ بفاس»[2].

4- والشهادة الرابعة عن دور الشيخين محمد وأخيه عبد الحي الشاب أوردها المؤرخ المختار السوسي في كتابه «حول مائدة الغذاء» مؤكداً فيه أن الشيخين محمد وعبد الحي وزاويتهما لعبوا دوراً فعالاً في البيعة الحفيظية الفاسية المشروطة إذ يقول: «فكان للشيخ محمد وعبد الكبير الفاسي وأخيه عبد الحي من الأسرة الفاسية يد طولى في رفع راية المولى عبد الحفيظ»[3].

5- والشهادة الخامسة وهي معاصرة عن دور الزاوية الكتانية والتي جاء فيها:

«لا يمكن تجاهل الدور الكبير الذي قامت به الزاوية الكتانية في المغرب بداية القرن العشرين من خلال نقل السلطة والمحافظة عليها في يد الأسرة العلوية بشكل رسمي، رغم ما كان يحاك ضد وحدة المغرب من مؤامرات وثورات لا حصر لها، وكان ذلك سابقة في تاريخ المغرب،

(1) انظر أحمد أشرخان: «جامعة مولاي علي الشريف» الدورة التاسعة المولى عبد الحفيظ نشر، وزارة الثقافة، 2001، ص 115.

(2) انظر عبد الحفيظ الفاسي «معجم الشيوخ» الطبعة الفاسية، ص 45.

(3) انظر المختار السوسي «حول مائدة الغذاء»، ص 56-57.

وأبانت عن الالتزامات المتبادلة بين الحاكم والمحكومين»[1].

وننتقل إلى نقطة أخرى ذات أهمية تفيد أن المولى عبد الحفيظ يغير طريقه المؤدية إلى الشاوية والدار البيضاء ومناطق أخرى بهدف تحريرها لنجاته بنفسه.

وهذا يدفعنا للسؤال عما إذا كانت الجغرافيا تفسر التاريخ؟

فانطلاقا من المدرسة الجغرافية في تفسير الأحداث التاريخية، نؤكد أن على من يريد قراءة ومقاربة الحقيقة التاريخية أن يتساءل لماذا المولى عبد الحفيظ الذي بويع بمراكش وسمي بسلطان الجهاد اختار مكان «مشرع الشعير» على ضفاف نهر أم الربيع كمحطة إستراتيجية تحمل أكثر من معنى، فهي منطقة تعبر عن مجتمع الدولة المحروسة طبيعيا، ومكان استراتيجي تحميه من الجيش الفرنسي و«العزيزي»، وهي منطقة فلاحية تحميه كذا من الاحتياجات الغذائية ومجتمع الدولة، ومكان اعتمد عليه المولى عبد الحفيظ للتفاوض مع عدو احتل مدن وقرى ذات أهمية من الناحيتين الغذائية والعسكرية، إذ حينما يكون الماء والكلاء تكون الحياة ونظرا لأهمية مكان منطقة «مشرع الشعير» استراتيجيا وعسكريا فقد استمرت حركة تحرير الأطلس الصغير والمتوسط في مواجهة الجيش الفرنسي إلى سنة 1933والأطلس الكبير إلى 1934.

المولى عبد الحفيظ يرفض إدخال نظام الديمقراطية والشورى في سلطنته

ومن خلال النصوص التاريخية المختلفة نلاحظ من بداية بيعة المولى عبد الحفيظ سلطانا للجهاد بمراكش سنة 1907م، أظهر نزعة حبه للحكم الفردي وهو «بمشرع الشعير»، وتأكيدا لذلك أورد عبد الرحمان الحريشي شهادة الشيخ عبد الحفيظ بن الطاهر الفاسي جاء فيها: «لما بويع المولى عبد الحفيظ ووصل إلى «مشرع الشعير» قصده في معية الشيخ عبد الحي الكتاني فأكرم وفادته، فقدم له مراد لائحة في الإصلاح أيضا»[2] لكنه رفضها.

(1) انظر عبد الرزاق كريط «الزوايا في المغرب»، ج 1 نشر وزارة الثقافة، ص 170.

(2) – انظر عبد الرحمان الحريشي، المدرسة الناصرية بفاس، طبعة دار النجاح الجديدة 2003، ص 126 .

إلا أن صاحب «كباء العنبر» اتهم الشيخ عبد الحي الشاب أنه قام بتصرفات أساءت لعلاقته مع السلطان، ويذكر المنصوري عن عدم رضى المولى عبد الحفيظ عن تصرفات الكتاني بقوله: «ومن أجل ذلك ربما كانت تصدر بعض فلتات لسانية منه فتبلغ إلى السلطان فيتغاضى عنها ليوم ما وهذا ما تفسره الحوادث بعد»[1] ونستنتج بكل وضوح أن فلتات اللسان هي ما قدمه الشيخان عبد الحي وعبد الكريم مراد من مطالب إصلاحية، وهنا نلاحظ رغم أهمية الحقائق التي وردت في «كباء العنبر» إلا أنه أظهر عدم استيعابه لنتائج لقاء الشيخين عبد الحي الكتاني وعبد الكريم مراد «بمشرع الشعير»، والمنصوري يفسر التاريخ دون الاعتماد على الشروط الموضوعية والإحاطة بأجوبته المسكوت عنها مما يؤدي إلى الخروج عن الموضوعية التاريخية وهذا ما وقع فيه صاحب «كباء العنبر» وجل المؤرخين المعاصرين تُهيمن اليوم على كتاباتهم غياب الموضوعية وقول الحقيقة المغيبة عن الشيخ عبد الحي والتي نُقلت تفيد تاريخنا المعاصر حتى نعرف ما لنا وما علينا تاريخيا.

والشيخ عبد الكريم مراد الشامي سبق له أن قدم للمولى عبد العزيز بعد مؤتمر الجزيرة الخضراء مشروع إصلاحي سياسي لإنشاء ملكية دستورية برلمانية، ونفس العمل قدمه الشيخ مراد إلى المولى عبد الحفيظ «بمشرع الشعير» إلا أنه قابله بالرفض واضعا نفسه سلطانا فوق القوانين ذاتها، وقد شعر الشيخ عبد الكريم مراد بشيء من الامتعاض وخيبة الأمل، وفي نفس الشهادة للشيخ عبد الحفيظ بن الطاهر الفاسي وردت عند عبد الرحمان الحريشي يخبرنا بسفر الشيخ مراد إلى خارج المغرب بقوله: «بعد الاجتماع به قصد مراكش ومنها توجه إلى السنيغال فوراً فوقف في هذه إلى بناء المساجد في مدينة كتنومن»[2].

ما هي الأسباب التي جعلت المولى عبد الحفيظ يغير طريقه المؤدية إلى الشاوية والدار البيضاء لتحريرهما

وعن أسباب عدم مرور المولى عبد الحفيظ سلطان الجهاد بالطرق المؤدية إلى

(1) انظر أحمد المنصوري، المصدر السابق، ص 172.

(2) انظر عبد الرحمان الحريشي، مصدر سابق، ص 126.

الشاوية والدار البيضاء لتحريرهما، هناك بعض المصادر مغربية وفرنسية منها :

أولا: من المصادر المغربية

أن صاحب الدرر اللفظية في مفاخر المملكة الحفيظية» يخبرنا عن التقاء سفير المولى عبد الحفيظ في «مشرع الشعي» مع من يمثل الجيش الفرنسي في منطقة الشاوية بقوله: «سمح له بأن يمر إلى فاس بسلام بعد اتفاق سري بين المولى عبد الحفيظ والمفاوض الفرنسي»[1].

ومن الأحداث التي يفسر فيها القول : صاحب المخطوط «الدرر اللفظية» في المملكة الحفيظية «أن المولى عبد الحفيظ عقد مؤتمر مع الفرنسيين مع ورود سفير فرنسا والتقائه بالسلطان المولى عبد الحفيظ، سمحت له فرنسا بعبور وادي أم الربيع مقابل إعلانه إنهاء الحرب ضد الفرنسيين بالشاوية، وأقام المولى عبد الحفيظ الاحتفالات».

وشهادة أخرى يوردها صاحب «كباء العنبر» السالف الذكر وفي نفس السياق وقع اتفاق سري يسمح للمولى عبد الحفيظ بالمرور إلى فاس مقابل تخليه عن مبدأ الجهاد وقبوله شروط اتفاقية عقد الجزيرة وكل الاتفاقيات المبرمة مع المولى عبد العزيز سلطان المغرب قبله.

وفي نفس السياق بعد أن حقق الأمير الشريف محمد أمزيان ومجاهدي الريف النصر ضد الجيش الإسباني، لكن المولى عبد الحفيظ فبدل أن يمدهم بالعون الذي كانوا ينشدونه، بعث لهم رسولا يستحثهم على السلم أي الاستسلام[2]. إلا أن الشريف أمزيان استمر في جهاده إلى أن استشهد في 15 ماي سنة 1912 م.

---

(1) انظر جامعة مولاي علي الشريف، ص 123.

(2) انظر جرمان عياش، أصول حرب الريف ترجمة محمد أمين البزاز وعبد العزيز التمسماني خلوق نشر الشركة المغربية المتحدة، ص 140.

عن تفاصيل ظروف استشهاد البطل الأمير محمد أمزيان. انظر حسن الفكيكي: «الشريف أمزيان شهيد الوعي الوطني»، نشر رباط نت2008، ص 377 وما يليها وكتاب صدر حديثا للأستاذ رشيد اليشوتي «إسبانيا والريف والشريف محمد أمزيان 1909 - 1912»، نشر المعهد الجامعي للبحث العلمي الرباط، 2012 ، وردت فيه معلومات تاريخية هامة عن شهيد ورائد تحرير الريف الشريف أمزيان.

شهادات أجانب حول موقف المولى عبد الحفيظ من فرنسا وكيف تخلى عن شروط البيعة والجهاد

شهادة طبيب عمل في ميدان الصحافة، وضع نفسه في خدمة المصالح الاستعمارية ودوره لا يقل أهمية عن دور الصيدلي الجسوس المصور والصديق الحميم للمولى عبد العزيز «كابرييل ڤيير» Gabriel veyre الذي كان يعرف أسرار البلاط العزيزي[1] وهذه الشخصية هو الطبيب الصحفي D weisgerber، صاحب كتاب «Au Seil du Maroc Moderne» على عتبة المغرب الحديث»، ذكر هو الآخر أن شيخ الزاوية الأحمدية حين توصل برسالة من المولى عبد الحفيظ[2]. وهو مقيم «بمشرع الشعير» أرسل أخاه عبد الحي الكتاني عاجلا ومعه أتباع الزاوية الكتانية لتسهيل مرور سلطان الجهاد إلى عاصمة مملكته العلمية والسياسية فاس المحروسة متجنبا ومبتعدا عن الطرق المؤدية للشاوية والدار البيضاء.

ويفهم من كلام « weisgerber» مراسل صحيفة الزمان «le temps» أنه بفضل الشيخ عبد الحي واتباع الزاوية الكتانية استطاع المولى عبد الحفيظ السفر بمحلته من مشرع الشعير إلى فاس ليجلس على أريكة عرش أسلافه. ونلاحظ في كلام المؤلف تناقض واضح في بداية الصفحة 142 يقول: « إن الكتاني يطمح إلى خلافة عبد العزيز» وفي الفقرة الأخيرة من نفس الصفحة يخبرنا « أن الكتاني قاد مع علماء فاس ثورة لمبايعة عبد الحفيظ» فكيف لمن يسعى إلى السلطنة أن يكون قاد ثورة تدعو إلى بيعة سلطان الجهاد المولى عبد الحفيظ وهو في نفس الوقت يريد إرجاع السلطنة للأدارسة.

وينفرد كتاب «weisgerber»[3] بمعلومات لم ترد عند كتاب أجانب آخرين إذ يخبرنا بدقة عن كيف وقع إبرام اتفاقية عقد الحماية وأسرار أخرى سنتكلم عنها

---

(1) انظر دوره الاستخباري في رسالة «المفاكهة».

(2) انظر D.F weigerber, Au seuil du Maroc moderne, éd. la porte, page 145.

(3) انظر التعريف بكتاب «weisgerber» العربي واحي جامعة مولاي علي الشريف الدورة التاسعة «السلطان مولاي عبد الحفيظ» عن كيف وقعت الاتصالات الأولى مصدر سابق.
بين اليوطي والمولى عبد الحفيظ وظروف ملابساتها التاريخية ص 302 إلى حين إبرام اتفاقية عقد الحماية 1912.

لاحقا. وهناك شهادة أخرى جاءت عند ضابط عسكري فرنسي وهو من المشاركين في حرب الدار البيضاء والشاوية» « Paul Azam» صاحب كتاب «souvenir du casablanca» مع تقديم الجنرال «d'Amade» الناشر -Hachette- 1911 كان هو الذي يقود الحملة العسكرية الفرنسية ضد القوات الحفيظية بالشاوية، لقد أرسل المولى عبد الحفيظ صديقه المفاوض «Vaffier Biollet» يحمل رسالة من سلطان الجهاد يطلب فيها الصلح والسلام مع فرنسا عن طريق الجنرال « D'amade» وصرح هذا الأخير أن فرنسا باستطاعتها دعم السلطان المولى عبد الحفيظ وإبعاد أخيه المولى عبد العزيز عن السلطنة شريطة أن يتخلى عن الجهاد والتزامه بمقررات عقد الجزيرة الخضراء وأداء الغرامات والديون المستحقة التي بذمة المخزن المغربي العزيزي.

وبعد قبول المولى عبد الحفيظ بكل هذه الديون المستحقة سمح له الجنرال «D'amade» الذي أعطيت له أوامر من دولته بالسماح للمولى عبد الحفيظ ومحلته بالمرور إلى فاس دون اعتراض من الجيش الفرنسي عليه وعلى محلته بعد قَبوله بكل الشروط المجحفة التي تمس بالسيادة المغربية.

وسيكون من المفيد هنا ذكر محاور مشاريع إصلاح الحركة الدستورية في العصر العزيزي وبعدها ننتقل إلى الحركة الدستورية في العصر الحفيظي التي تعتبر استمراراً وامتداداً للحركة الدستورية العزيزية.

مشاريع دستورية في مطلع القرن العشرين عرفت الفشل الذريع

كان في مقدمة من خاض حركة إصلاحية شاملة في أوائل القرن العشرين مؤسسة الزاوية الكتانية التي قدمت نشاطا إصلاحيا متعدد الأشكال تميز بمعطيات جديدة على مستوى الميدان الديني الصوفي والسياسي والاجتماعي والوطنية الروحية (الجهاد) وظفت الدين في قضية العدل الاجتماعي والشورى والتحديث الفكري والحضاري، وعلال الفاسي يثبت بقوله : «إن الدين لا يمكن أن يكون بعيدا عن الحياة الاجتماعية إلا عند الذين عجزوا عن التوفيق بين العلم والدين»[1]

(1) انظر علال الفاسي «النقد الذاتي» منشورات مؤسسة علال الفاسي 2008 ص 98. للتنبيه إن النقد الذاتي صدر سنتي 1949م – 1950م في «رسالة المغرب» أولا ووصل الآن لطبعته الثامنة.

وفي هذا الصدد يؤكد الجابري في كتابه «المغرب المعاصر» بقوله : «لا يمكن أي حركة أن تنجح في المغرب إذا فصلت الديني عن السياسي».[1]

مشاريع إصلاح من قِبل رجال المخزن العزيزي

طلب المولى عبد العزيز إدخال إصلاحات تجلت في إنشاء مجلس الأعيان، ألف من ممثلي القبائل والجهات للوقوف في وجه خطر الإصلاحات الفرنسية التي كانت تريد فرض سيطرتها على المغرب.[2]

ولا يسمح المجال هنا لعرض مفصل للمشاريع الإصلاحية الدستورية.

ومن هؤلاء المصلحين السياسيين نذكر من رجال المخزن وغيرهم من غير موظفي المخزن :

1 – من رجال دار النيابة بطنجة عبد الله بن سعيد توفي 24 صفر 1342هـ/ 16 أكتوبر 1923م[3]، المريد الصادق للزاوية الكتانية والموظف السامي بدار النيابة بطنجة قبل إنشاء مجلس الأعيان، قدم مشروعه في شكل مطالب جاءت في 19 بنداً، منها حماية العدل والأمن، وتطبيق نظام الزكاة الشرعية في المدن والقرى، وضرورة نشر العلم والمعرفة لإخراج البلاد من التخلف والجهل ونظرا لقدرته العلمية اختير عاملا على العدوتين طيلة سنتين، لكنه نُفي إلى وجدة بسبب معارضته لفرض ضريبة (البطانطا) لأنه كان من دعاة نظام الزكاة الشرعية .

2 – بعد مشروع بن سعيد قدم علي زنيبر مشروعة للمولى عبد العزيز، وعلي زنيبر السلوي ت 1914 م، فقد أقام بمصر مدة طويلة وعايش خلالها حرب عرابي استفاد من معطيات حركة النهضة المصرية وذكرها في أشعاره جاء مشروعه بعنوان «حفظ الاستقلال ولفظ سيطرة الاحتلال» جاء في واحد وثلاثين فصلا وعنوان دستوره يدل على هدف مؤلفه ومراميه[4].

(1) انظر عابد الجابري «المغرب المعاصر» نشر المركز الثقافي العربي ط 1–19 ص 47 وما يليها.
(2) انظر عبد الهادي بوطالب «النظم السياسية المعاصرة» دار الكتاب الدار البيضاء 1981 ص 154 وما يليها.
(3) انظر الدكالي ، «إتحاف الوجيز» ، تحقيق مصطفى بوشعراء ، ص 148.
(4) انظر عبد الكريم غلاب التطور الدستوري والنيابي بالمغرب 1908 1988– مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء ص 111 وما يليها وعبد الإله بلقزيز «الخطاب الإصلاحي في المغرب» دار المنتخب الطبعة الأولى ص ص 188 – 189.

علال الفاسي وسبقه العثور على مشاريع دساتر مغربية

ومن الضروري التنبيه للحقيقة التاريخية نذكر أن علال الفاسي كان له السبق في العثور على دستور علي زنيبر في الخزانة الصبيحية بسلا، ونلاحظ أن علال الفاسي كان من هواجسه البحث والتنقيب عن رجال الإصلاح والحركة الدستورية بالمغرب قبل الحماية وبعدها، ونؤكد فقد استأثر اهتمام الشريف العلامة المجاهد أبو بكر القادري مبكراً بإخراج سلسلة «أعلام المغرب الحديث» وكان من أوائل هذه السلسلة رقم1.

ورد عن القائد عبد الله بن سعيد رائد أعلام المغرب الحديث» ومما جاء في مسرد مقدمة هذا الكتاب أن من أوائل دعاة الإصلاح مركزا على ذكر الشيخ محمد بن عبدالكبير الكتاني وعبد الله بن سعيد.

3 – مشروع دستور عبد الكريم مراد

ومما جاء عند علال الفاسي في مؤلفه «حفريات عن الحركة الدستورية بالمغرب قبل الحماية» قوله : «وقد وقفت على مذكرة رفعها صاحبها إلى جلالة مولاي عبد العزيز، ونسخة هذا الدستور مخطوطة التي اشتراها علال لم يرد فيها ذكر اسم مؤلفها، ويقول عن صاحب هذا الدستور : «لقد كان من الطارئين على المغرب» وقد أظهر محمد المنوني إسم عبد الكريم مراد لأن النسخة المخطوطة التي اقتناها المنوني من مكتبتنا دار التراث التي هي الآن مقفلة موقعة باسم مراد.

وأذكر أنني قد حصلت على مذكرة لعلال الفاسي كتبها باللغة الفرنسية في عصر الحماية رفعها إلى مؤتمر الاتحاد البرلماني الأوروبي المنعقد في لوزان سنة 1372هـ–1952م ونظرا لأهمية هذه المذكرة الهامة عن الحركة الدستورية، وما ورد فيها أن المغرب لم يعرف سوى نظام الحكم المطلق، وأن الأعيان والفقهاء والعلماء كان لهم دور كبير في الشورى، واختيار السلطان يجري بالبيعة المشروطة، وأن فرنسا هي التي أفشلت مجلس الأعيان الذي كان شبه برلمان في العصر العزيزي، وغيره من المشاريع لذلك قمنا بترجمة هذه الرسالة وهي قيد الطبع قريبا بإذن الله.

وعلال الفاسي يشرح معللا مذكرة (دستور) عبد الكريم مراد ذاكرا: «أنها كتبت بعد انتهاء مؤتمر الجزيرة الخضراء، ويؤكد لنا رفض الأمة جميعها لمقرراته».

وفي نفس المصدر يؤكد علال في شرحه لمذكرة مراد وما جاء فيها مثل قول مراد: «أنه يمكن لحكومة المغرب أن تبلغ ما بلغته اليابان بأقرب وقت إذا اقتفت أثر اليابان التي استبدلت الاستبداد بالشورى، وتنظيم قوانين الدولة والاهتمام بالتعليم، وإرسال البعثات إلى أوربا وإلغاء الامتيازات الأجنبية، وإجلاء المحتلين عن أراضي الوطن.

ويستمر مراد بذكر مثال آخر بدولة إيران التي اقتفت أثر اليابان، فأول ما قامت به تأسيس حياة نيابية، وعملت على تنظيم قوانينها طبقا لمقتضيات الشريعة الغراء. ويزيد مراد قائلا إن المغرب باستطاعته أن يخرج من التخلف والانحطاط إذا استبدل الاستبداد بالشورى».[1]

وكما سبق ذكره سلفا فقد قدم عبد الكريم مراد مشروع دستوره الإصلاحي إلى المولى عبد الحفيظ سنة 1326هـ- 1908م، بمشرع الشعير إلا أن المولى عبد الحفيظ رفض مشروعه رفضا باتا، فما كان على عبد الكريم مراد إلا الاستعجال ومغادرة المغرب عاجلا إلى الخارج للقيام بنشر الدعوة الإسلامية التي حملها من الخلافة العثمانية باستانه.

وقبل الحديث عن بيعة فاس المشروطة وظروفها المضطربة ودور جمعية «الاتحاد والترقي» قبل البيعة الحفيظية نشير إلى كيف كان دور الحركة الوطنية الإصلاحية الإعلامي وعلى رأسها الشيخان محمد وعبد الحي الشاب والرد على جريدة السعادة لتبرير سيطرة فرنسا على المغرب.

تأخر دخول المطبعة إلى المغرب

ونشير أن المطبعة قد تأخر دخولها إلى المغرب نتيجة تطبيق بعض سلاطين

(1) انظر علال الفاسي حفريات دستورية في المغرب قبل الحماية سلسلة الجهاد الأكبر رقم 6 مطبعة الرسالة 1970 ص ص 10، 11.

سياسة العزلة والحذر في علاقاتهم مع الدول الغربية التي كانت أهدافها استعمارية وسنتطرق فيما بعد للحديث عن نشرات شبه صحفية والتي كتبت باليد أولا ثم طبعت على الحجر.

كيف اكتشفت النخبة الوطنية الواعية فكر النهضة المشرقي والغربي.

لقد اكتشف الشيخان محمد وأخوه عبد الحي الكتاني والنخبة المغربية الواعية من العلماء والفقهاء والطبقات الشعبية الواعية الفكر النهضوي المشرقي والفكر الغربي التنويري ومن المعروف تاريخيا أن دول المشرق عاشت صدمة الحداثة قبل المغرب لأسباب تاريخية وكذا الأمر لتونس التي عرفت نفس التيار بالاحتكاك بالوعي الغربي الأوربي وكذا المغرب. والشيخان محمد وعبد الحي الشاب نتج عن اتصالهما بالصحافة[1] مباشرة والرحلات خاصة، حجهما وزيارتهما لعدة مدن مشرقية وتعرّفهم على مفكرين مشارقة كبار.

والشيخ عبد الحي الشاب كان يعد من أنشط علماء عصره في الدفاع عن مصالح وطنه، والشيخ محمد كانت رحلة حجه من1321هـ- 1903م-1323هـ-1904م والشيخ عبد الحي الشاب كان حجه سنة 1323هـ- 1905م وكان أكثر اتصالا بالعلماء في الحجاز والشام ومصر، وعقد حلقة دروس بالأزهر، واطلع على محتويات الكتب والمخطوطات في حلب ومصر وغيرها من المدن المشرقية، وكان في رفقة الشيخين في حجهما علماء وفقهاء استفادوا هم الآخرون باحتكاكهم بعلماء المشرق، ويؤكد ذلك الشيخ محمد بن محمد الهواري في كتابه عن مكانته العلمية العالية «دليل الحج في السياحة» واصفا مكانة الشيخ عبد الحي بقوله : «فضيلة الشيخ الأكبر محدث الديار المغربية العلامة الجليل الشريف الأصيل رأى في شخصه المصريون فردا نادرا من عظماء رجال الحديث».[2]

(1) انظر عبد الإله بلقزيز: «الخطاب الإصلاحي في المغرب» دار المنتخب بيروت ط 1، 1997 التكوين والمصادر 1844-1918 ص ص 64-65.

(2) انظر الشيخ محمد الهواري، دليل الحج في السياحة ط ... ص 65.

كيف كان اتصال رجال الإصلاح المغاربة بالجرائد المشرقية والغربية.

ومن ضمن من كان يطلع على الجرائد المشرقية والغربية يوميا وتصل إلى فاس عن طريق مدينة طنجة التي كانت تطبع فيها عدة صحف عربية وغربية، ويخبرنا بذلك الشيخ عبد الحي في مذكرته «المظاهر السامية» والمنوني في: «مظاهر يقظة المغرب» ج 2 ص 363، ويذكر المنوني عن أنواع الصحف التي كانت تصل إلى فاس منها «المنار» و»الأهرام» و»الرائد» وكذا من الجزائر وتونس وغيرها.

التواصل الدائم بين المشرق والمغرب خاصة في ميدان الصحافة

وعن التواصل الدائم بين المشرق والمغرب يخبرنا الشيخ عبد الحي الشاب ما جرى في مناقشة مغاربة مقيمين بمصر جرت بين جريدة المؤيد ذات الأهداف الوطنية والمقطم ذات الاتجاه البريطاني[1]. ويؤكد أن المغاربة كانوا ملتزمين في كتاباتهم بأدب الحوار والخلق الحسن، وليس من عاداتهم السب والقذف، وقد نقل المؤرخ المنوني هذا الحدث من «المفاكهة» بتصرف في كتابة «مظاهر يقظة المغرب» ج 2 ص 363.

وتطورت الأحداث في العصر العزيزي خاصة بعد احتلال وجدة سنة 1325هـ- 1907م وضرب مدينة البيضاء بالمدافع والأسلحة الفتاكة وهي مدينة مكشوفة كما أكد ذلك الشيخ عبد الحي الشاب في «المفاكهة» بحكم إطلاعه على ثقافة عصره والقانون الدولي العام يحرم الأعمال الوحشية وضرب المدن المكشوفة كما سبق ذكره سلفا، كل هذه العوامل أدت إلى خلع المولى عبد العزيز بمراكش أولا سنة 1907م-1325هـ، والمولى عبد الحفيظ يحقق هدفه الدفين بيعة مراكش له. وقبل الحديث عن بيعة فاس المشروطة نشير أولا إلى جمعية «الاتحاد والترقي» التي لعبت دوراً فعالا في تطور المغرب سياسيا وإعلان دستورها سنة 1326هـ- 1908م.

عن بيعة فاس المشروطة وجمعية الاتحاد والترقي

نشير إلى إطلالة عابرة إلى كيف وقعت بيعة فاس المشروطة، وظهور حركة

(1) انظر المفاكهة ص

إصلاحية قبلها في العصر العزيزي (جمعية الاتحاد والترقي) السرية.

1) جمعية الاتحاد والترقي:

تأسست من نخبة وطنية واعية تزعمتها مؤسسة الزاوية الكتانية ونشير إلى بعض المصادر والروايات الموثوقة، أن الشيخ محمد خير الدين التونسي التقى إثر وصوله إلى المغرب مع الشيخ محمد الكتاني وأخيه عبد الحي الشاب. وعبد الإله جريد حيث يذكر في رسالته الجامعية عن الكتانيين، أن مؤسس جمعية الاتحاد والترقي هما الشيخان محمد الكتاني ومحمد خير الدين التونسي بناءا على مصادر هامة ذكرها، وعلال الفاسي أفادنا إفادات عديدة عن هذه الجمعية حيث يذكر في كتابيه «الحركات الاستقلالية» والديمقراطية وكفاح الشعب المغربي من أجلها» أنه بعد مجهود البحث والتنقيب عن جذور سبب تأسيسها وتسميتها بجمعية الاتحاد والترقي، نذكر في هذا الشأن أنها أخذت تسميتها من المنظمة العثمانية الشهيرة التي تأسست في سنة1324هـ- 1906م من شبان أتراك مدنيين وعسكريين بمدينة سالونيك اليونانية ومبادئها ارتكزت على ثلاث محاور اعتبرتها أساس التطور والنهضة وهي «دستور حرية مساواة»، ويؤكد عبد الإله جريد أن علاقة الكتانيين مع جمعية الاتحاد والترقي العثمانية مثبتة تاريخيا. وعلال الفاسي حيث أكد أن أحمد بناني أخبره أن محمد الكتاني أوصى بتأسيس جمعية الاتحاد والترقي[1]، والمنوني يذكر أيضا أن الشيخين محمد وعبد الحي الكتاني التقيا بالشيخ محمد خير الدين التونسي مبعوث تركيا، وكان أحَد أعضاء جمعية الاتحاد والترقي العثمانية، ويخبرنا المنوني أيضا أن خير الدين التونسي بعد مكوثه بمراكش سنتين، ونتيجة لمؤامرة فرنسية أُبعد عن المغرب.[2]

ويشير علال الفاسي أن الفكرة الدستورية التحررية التي انتشرت في الأراضي العثمانية وصلت إلى المغرب بشتى الوسائل» [3]

(1) انظر علال الفاسي «الديمقراطية وكفاح الشعب المغربي من أجلها. نشر مؤسسة علال الفاسي 2009 ص 28.

(2) انظر محمد المنوني «مظاهر يقظة المغرب» ج 2 ص 310.

(3) انظر علال الفاسي، المصدر السابق.

إثبات مقرات وأماكن جمعية الاتحاد والترقي بفاس

والمقرات التي كانت تجتمع فيها هذه الجمعية يخبرنا علال الفاسي وهو إبن مدينة فاس قائلا : «ومقر الجمعية الذي كانت تعقد فيها اجتماعاتها في البداية كانت بعرصة الأندلس الساحل ثم بعرصة الفاسيين ببوعجارة ثم بعرصة المهدي بن الطالب الفاسي»[1]

ومما يذكر علال الفاسي أن عبد الكريم مراد ساعد أعضاء جماعة الاتحاد والترقي وأصبح الواسطة بين أعضاء جماعة لقراءة الصحف من نخبة من علماء القرويين بفاس التي كانت ترد عليهم مجموعة من الصحف كانت تصدر بطنجة والمشرق العربي.

وعبد الكريم مراد استوطن فاس عام 1317 هـ - 1899م وهو علامة سلفي نزل على الكتانيين، وكان فقيها علامة سلفي العقيدة... وهو أول من أنشأ مدرسة حرة عربية للبنين والبنات بإعانة زوجته خديجة الحميدية[2].

نخبة من علماء القرويين كتبوا في جرائد مشرقية لمواجهة التدخل الأجنبي ودعوا إلى الإصلاح الشامل

وقد كان يكتب مجموعة من علماء القرويين النابهين في عدة جرائد مشرقية وكتب الشيخان محمد وعبد الحي الشاب وعبد الحفيظ الفاسي وغيرهم كتبوا مقالات في جريدة بيروت التي كان يصدرها عبد القادر الدنا، كما كتب الشيخان محمد وعبد الحي الشاب خاصة في جريدة «المؤيد» لمصطفى كمال التي كانت تعتني بشؤون المغرب والمغاربة. خاصة عن مؤتمر عقد الجزيرة، ومسألة ضرب البيضاء.

عن صحة وإثبات وجود جمعية الاتحاد والترقي

يخبرنا علال الفاسي في رواية شفوية أوردها نقلا عن عبد الحفيظ الفاسي وأحمد بناني وغيرهم من أعضائها.

---

(1) انظر علال الفاسي نفس المصدر ص 29.

(2) انظر عبد الرحمان الحريشي مرجع سابق ص 116.

عن إثبات وجودها الفعلي بمدينة فاس قد أثبت كذا المنوني وجود جمعية الاتحاد والترقي بناءا على رواية شفوية تلقاها من أحد أعضاء هذه الجمعية عبد الحفيظ الفاسي بداره بحي مارسا بالرباط خلال عام 1374 هـ - 1955 م»[1]

وأعضاء جمعية الاتحاد والترقي يذكر المنوني من أعضاء هذه الجمعية السادة محمد وعبد الحي الكتاني والكردودي الفاسي، والمهدي الوزاني، والطالب، الفاسي وعبدالعزيز لحلو قائد تاونات، والحسن الصقلي.

يشير المنوني أن أعضاء هذه الجمعية ساهموا في إنشاء دستور 1326هـ - 1908م.

وعن دستور 1908 ودور الشيخ محمد الكتاني وثلاثة من علماء فاس نشرت جريدة السعادة عدد 207، 6 رجب 1326هـ/ 4 جوييه 1908 الخبر التالي : «كتب إلينا أحد تلاميذ الكتاني بفاس يسألنا عما إذا كان يوجد في مكتبة «السعادة» الدستور التركي» وأكدت السعادة أن الدستور يسهر على كتابته الشيخ محمد وعبد الحي وابن سودة والوزاني والتازي يشتغلون ليل نهار في تحرير ضوابط هذا الدستور.

وقد أطلنا الحديث عن جمعية الاتحاد والترقي لنتبث صحة وجودها بناءا على ما قدمناه من مصادر مختلفة لعلماء كبار مشهود لهم بوثوق شهادتهم.

(جمعية الاتحاد والترقي) شهادة العروي عن كونه لا يثق أنها كانت موجودة

ويبقى التساؤل مطروحا لماذا الأستاذ عبد الله العروي ينفي وجود جمعية الاتحاد والترقي رغم وجود مجموعة من الإثباتات العديدة، ووفرة غنية ومتنوعة من الشهادات الشفوية المتنوعة التي تثبت وجود هذه الجمعية التي وضعت دستورا متميزا، وهل العروي يخالف ما يؤكده في كتاباته بقوله : «أن الرواية المحلية أو الشعبية هي الأصل في المعرفة لكتابة التاريخ الوطني ويؤكد بقوله: وهي ليست رواية استعمارية أو قبل الحماية كما هو الشأن فيما يكتبه مثل «ميشو بلير Michaux Bellaire»

---

(1) انظر محمد المنوني «مظاهر يقظة المغرب» ج 2 ص 361.

الذي وصف المغرب كدولة ومجتمع كيان بدون سياسة وبدون نظم»[1].

ومن الملاحظ أن أي باحث في التاريخ أو التراث العربي الإسلامي والإنساني لا يمكنه الاستغناء عن هذين العالمين محمد المنوني وعلال الفاسي ومصادرهما التي تعد ضرورية لجميع الباحثين في ميدان العلوم الإنسانية.

بديع الزمان النورسي يظهر دور جمعية الاتحاد والترقي الماسوني

والجدير بالذكر عن إنشاء جمعية الاتحاد والترقي المغربية وجذورها الماسونية أن بديع الزمان النورسي أسس الاتحاد المحمدي في سنة1327هـ- 1909م ردا على القومية الطورانية والوطنية الضيقة كجمعية الاتحاد والترقي الماسونية وجمعية تركيا الفتاة، ومن المعروف تاريخيا أن المغاربة في زمان تأسيسها لم يعرفوا حقيقة أهدافها، وبديع الزمان النورسي حين ذهب إلى سالونيك مقر يهود الدونمة التقى عددا من شخصيات الاتحاد والترقي الماسونية، وكان «عما نويل قرصو» رئيس المحفل الماسوني حين التقى بالنورسي وكان يريد أن يدخله إلى جمعية «الاتحاد والترقي» قال قرصو: «كاد هذا الرجل العجيب «النورسي» أن يدخلني في الإسلام»[2].

وبعد حديثنا الموجز عن نشأة جمعية الاتحاد والترقي ننتقل إلى السياق التاريخي لخلع المولى عبد العزيز وبيعة فاس المشروطة لأخيه المولى عبد الحفيظ سلطان الجهاد، وظهور دستور 1908 لجمعية الاتحاد والترقي نشرته في جريدة (لسان المغرب) في أربعة أعداد[3].

من الأسباب التي عجلت ببيعة فاس الحفيظية المشروطة وخلع المولى عبد العزيز

حين اشتدت الأزمة السياسية وكثرت الأهوال، بعد خروج المولى عبد العزيز

---

(1) - انظر عبد الله العروي les origines sociale et culturelle. p 380

(2) انظر عبد الله محمود الطنطاوي كتب قيمة ومنهج الإصلاح والتغيير عند بديع الزمان النورسي، دار القلم دمشق وبيروت، ص.ص. 14-15.

(3) انظر جامع بيضا، وقفات في تاريخ المغرب، منشورات كلية الآداب، الرباط 2001، ص. 493 وما يليها.

مع محلته من فاس إلى مدينة الرباط وإلى الجنوب لمحاربة أخيه المولى عبد الحفيظ المبايع بمراكش والوضع في فاس ينذر بالانفجار بسبب وجود إمامين معقود لهما البيعة في مدينتين، وفي هذه الحالة أكد الماوردي أنه لا يجوز أن يكون للأمة إمامين في وقت واحد، فيخلع الضعيف ويبايع من توفرت فيه شروط حماية بيضة الإسلام والعباد. وقد استشهد الماوردي في هذا المضمار ببيت شعري للأفوه الأودي شاعر جاهلي: من البسيط

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ... ولا سراة إذا جهالهم سادوا[1]

ولإنقاذ الوضع المتردي واحتواء الثورة الشعبية (ثورة الدباغة) بفاس اجتمع الشيخان محمد وعبد الحي الشاب والعلماء والفقهاء والتجار وأصحاب الحرف بضريح المولى إدريس، فطلب الشيخ محمد الكتاني من الكاتب الماهر أحمد بن المواز[2] أن يكتب البيعة الحفيظية، فكتبها خالية من الشروط، لكن الشيخ محمد الكتاني وقف في وجه أحمد بن المواز طالبا إياه بإدخال شروط البيعة الجديدة التي أقلقت المولى عبد الحفيظ واعتبرها تحجير عليه. وكثير من الكتاب والباحثين ذكروا أن البيعة المشروطة للمولى عبد الحفيظ جعلته يحقد على الشريف الكتاني ويذكر أحمد توفيق بقوله «عن الدور البارز للشيخ الكتاني في تقييد البيعة الحفيظية وعن كون السلطان قد خنق عليه بسبب ذلك»[3]

وينقل لنا المؤرخ محمد داود في مؤلفه تاريخ تطوان، مؤكدا بقوله: إنها أهم البيعات التي وقعت بالمغرب، إذ قام الشيخ محمد الكتاني بين الناس وأعلن أنه لا فائدة ترجى من هذا الانقلاب، إذا لم تكن بيعة أمير المؤمنين الجديدة مقيدة بشروط تحقق للأمة أهدافها ومقاصدها، ثم تلى عليهم الشروط التي أعدها محمد الكتاني

---

(1) انظر الماوردي الأحكام السلطانية ص 7 وسعيد بن سعيد دولة الخلافة عند الماوردي عن وحدة السلطة واستمرارية الدولة ص 126 وما يليها. وللمزيد من التفاصيل عن الموضوع انظر «أبو عبد الله بن الأزرق بدائع السلك في طبائع الملك»: ج 1، تحقيق سامي النشار ومساعدوه من ضمنهم محمد العلمي والي، نشر وزارة الإعلام العراق 1977، ص 107.

(2) «هافاس» لدينا نسخة منها مصورة.

(3) انظر أحمد توفيق «تأملات في البيعة الحفيظية المغرب من العهد العزيزي إلى سنة 1912 م المحمدية 21 31- يوليوز 1987 الجزء الأول ص 344.

ومعه جمعية الاتحاد والترقي ودعا الشعب باسم الدين والوطن كي يبايع ملكا ليدافع عن الوطن...»[1]

«هاڤاس» توكد أن أول من بايع المولى عبد الحفيظ بشروط البيعة الشيخ الشاب عبد الحي الكتاني

وتروي «هاڤاس» أن السيد عبد الحي الكتاني هو أول من ذكر اسم مولاي عبد الحفيظ ليبايع على مقتضى شروط أعدها الشيخ محمد الكتاني والشيخ عبد الحي الشاب وجمعية الاتحاد والترقي[2]. وحسب عدة مصادر تاريخية فإن بيعة فاس المشروطة للمولى عبد الحفيظ سلطان المغرب تعد وثيقة تاريخية سياسية تحمل دلالات وقراءات متعددة قد يختلف فيها المؤرخون والباحثون والدارسون وغيرهم كل حسب اتجاهه وميوله لكنهم يكاد يجمعون على أن بيعة فاس سنة 1326هـ- 1908م تعد أهم محطة في تاريخ المغرب السياسي. لأنها تضمنت شروط دستورية شاملة تعد أول سابقة في تاريخ المغرب في العقد الأول القرن العشرين.

الشروط التي وضعها الشيخ محمد الكتاني وردت في بيعة فاس المشروطة للمولى عبد الحفيظ

وفيما يلي أهم هذه الشروط :

1 - الحكم بالعدل

2- اتباع سياسة الحِلم والفضل

3- رفع ما أضر بالأمة من الشروط الحادثة في الخزيرات (الجزيرة الخضراء)[3] الشيخ محمد الكتاني فقد حرر مذكرة رفعها إلى سلطان الجهاد المولى عبد الحفيظ يقترح فيها عرض وثيقة مؤتمر الجزيرة الخضراء على ندوة وطنية لتدرسها تم تعطي رأيها فيها فإن اعترفت بها وقرت بنودها تقدم للمولى

---

(1) انظر محمد داود، تاريخ تطوان ج 10، مطبعة الخليج العربي، 2006، ص 190.

(2) انظر علال الفاسي : الديمقراطية وكفاح الشعب ص 24 وما يليها.

(3) انظر محمد المنوني «المغرب من العهد العزيزي إلى سنة 1912 ، مصدر سابق، ص 102.

عبد الحفيظ ليصادق عليها، ويبق] السلطان غير مسؤول عن نتائجها أمام الشعب ومجلس الأمة. حيث لم توافق الأمة عليها، ولا سلمتها، ولا رضيت بأمانة من كان يباشرها، ولا علم لها بتسليم شيء منها.

4- إرجاع الجهات المأخوذة من الحدود المغربية.

5- إخراج الجيش من المدينتين اللتين احتُل بهما.

6- تطهير المغرب من دنس الحمايات

7- عدم استشارة الأجانب في أمور الأمة

8- إذا دعت الضرورة إلى اتحاد أو تعاضد؛ فليكن مع إخواننا كآل عثمان وأمثالهم مع بقية الممالك الإسلامية المستقلة.

ومن الشروط الهامة في مسألة عقد الجزيرة الخضراء قبولها أو رفضها من قبل السلطان فقد حرر الشيخ محمد الكتاني مذكرة

9- إذا عرض ما يوجب مفاوضة مع الأجانب في أمور سلمية أو تجارية، فلا يبرم أمرا منها إلا بعد الصدع به للأمة، حتى يقع الرضى منها بما لا يقدح في دينها ولا في عوائدها ولا في استقلال سلطانها.

10- اتخاذ وسائل الاستعداد للمدافعة عن البلاد والعباد، لأنها أهم ما تصرف فيه الذخائر والجبايات، وأوجب ما يقدم في البدايات والنهايات.

11- رفع ضرر المكوس.

12- الذب عن حرمات رعاياه ودمائهم، وأموالهم وأعراضهم، وصيانة دينهم وحياطة حقوقهم.

13- تجديد معالم الإسلام وشعائره، بزيادة نشر العلم، وتقويم الوظائف والمساجد، وإجراء الأحباس على عملها القديم، وانتخاب أهل الصلاح والمروءة والورع للمناصب الدينية.

14- كف العمال عن الدخول في الخطط الشرعية، وترك ما أحدث من الجمع المستلزم لاستبداد الرؤساء بتنفيذ مراداتهم في القضايا والأغراض.

15- جميل الصنع بشريف القرابة وتقريب الصالحين، واعتبار مقادير الأشراف وأهل العلم والدين، وإقرار ذوي الحرمة على ما عهد لهم من المبررات والاحترام، وظهائر الملوك والكرام.

16- إبعاد الطالحين وإخساء المفترين والواشين[1]

اجمع علماء القرويين على البيعة المشروطة رغم خلافاتهم في البداية

وقد وقعت خلافات بين العلماء والفقهاء حول هذه الشروط، لكن وافق الجميع عليها، وحينئذ سلمت لابن المواز ليضبطها إلى نص البيعة المشروطة فأضيفت ووقعها الجميع رغما عن كون ابن المواز[2] حاول أن يزيل عنها صيغة الشروط.

ومن الملاحظ أن الشيخ عبد الحي الشاب كان أول من بايع عبد الحفيظ سلطان الجهاد[3] لكن ابن زيدان تجاهل دور الشيخ محمد الكتاني في وضع شروط بيعة فاس في كتابه «اتحاف أعلام الناس»[4] ويشير أن البيعة المشروطة كانت من إنشاء أحمد بن المواز.

كيف كان دعم مؤسسة الزاوية الكتانية للبيعة الحفيظية المشروطة

مجالات الدعم والمساندة الكتانية لبيعة فاس المشروطة متعددة نذكر منها:

---

(1) انظر محمد الباقر الكتاني - ترجمة الشيخ الكتاني الشهيد الطبعة الجديدة 2005 ص 390 وما يليها.

(2) أحمد بن المواز 1341 هـ / 1923 م بن عبد الواحد بن محمد المواز السليماني أديب وشاعر وفقيه المالكية من أهل مدينة فاس، ترأس المجلس الشرعي بالرباط توفي بها دفن بفاس له مؤلفات أشهرها (حجة التدريس) مطبوع ردّ فيه عن الحجوي في مسألة القيام وله (رحلة إلى أصقاع السوسية وديوان الشعر وغيرها) انظر بوجندار «الاغتباط»، ص 283 وابن زيدان إتحاف أعلام الناس، الجزء الأول، ص 484، والزركلي «الأعلام» ، ج 1، ص 165، ونظرا لأهميته العلمية كأديب وشاعر وردت أول قصيدة له في تقريض المفاكهة للشيخ عبد الحي وردت هذه التقاريض ضمن هذه الطبعة. ومن المعلوم أن شروط البيعة الفاسية 1908 كتبها الشيخ الصوفي محمد بن عبد الكبير وأخوه عبد الحي الشاب بعد استشارة كبار علماء فاس وقدمها للعلامة الأديب ابن المواز لكن ابن المواز لم يكتب شروط البيعة التي قدمت إليه، وابن زيدان يشير أن شروط البيعة كانت من إنشاء ابن المواز، والحقيقة أن الذي كتب الشروط هو الشيخ محمد الصوفي ولدينا نسخة تشير أن ابن المواز كتب الشروط الفاسية كما أملاها عليه الشيخ وقد سلمنا هذه النسخة المخطوطة بقلم ابن المواز مشكورا الدكتور الفاضل حمزة بن علي الكتاني قبل أن تنشر في كتاب الشهيد في طبعته الجديدة سنة 2005 بتحقيق الدكتورة الفاضلة نور الهدى الكتاني مع إضافات جديدة).

(3) انظر «هافاس» وكذا المظاهر السامية نقلها المنوني في مظاهر يقظة المغرب ج 2 الملحق 64 ص 349.

(4) انظر ابن زيدان إتحاف أعلام الناس، جزء الأول، ص ؟

1- ضبط الأمن بفاس حين قامت ثورة شعبية عارمة ضد تأخر بيعة علماء فاس للمولى عبد الحفيظ سلطان الجهاد.

2- القيام بنشاط ديبلوماسي مكثف لدعم البيعة الحفيظية.

3- التجربة الإعلامية الكتانية بوسائل تقليدية عادية تدعو إليها الظروف القاهرة الاستعجالية لمواجهة جريدة السعادة الموالية لفرنسا.

قام الكتانيون بضبط الأمن بمدينة فاس حتى لا تقع اضطرابات شعبية خاصة أن المولى عبد العزيز ترك عاصمة مملكته فاس وذهب إلى الرباط والجنوب مع محلته لمحاربة أخيه سلطان الجهاد.

المولى عبد العزيز يغري الكتانيين بأموال باهضة للتراجع عن البيعة الحفيظية

نظرا لمكانة الكتانيين على المستوى الديني والسياسي والاجتماعي قدم المولى عبد العزيز أموالا باهضة لأب الشيخين عبد الكبير ليرجع ابنه إلى الصواب بإلغاء البيعة الحفيظية» والشيخ عبد الحي يخبرنا عن ذلك بقوله : «لطالما خاطبت الدولة العزيزية إذاك الشيخ عبد الكبير ليرد جماح أولاده بالأحمر الرنان والأبيض المدور (المال الكثير والذهب)»[1]. ونفس الخطاب استعملته جريدة السعادة فقد كتب وديع كرم بأسلوب مبني على أدلة شرعية وعقلية ومجاملات رقيقة للتأثير على الشيخين محمد وعبد الحي الشاب ليرجعا إلى الصواب في نظره برفض البيعة الحفيظية المشروطة واستمرت جريدة السعادة في حملتها ضد المولى عبد الحفيظ ففي يوليوز سنة 1326هـ- 1908 م ورد فيها... فيا أيها الأستاذ هل من مصوغ يصوغ لأهل فاس أن يتشبثوا في بيعة رجل لا همَّ له ولا غرض له إلا الدخول إلى العرش..»[2]

(1) انظر الشيخ عبد الحي الكتاني عن ذلك في المظاهر السامية المخطوطة ج 1 ص 105 ص 106.

(2) انظر الزاوية الكتانية عبد الإله جريد ص 472.

دعم البيعة الحفيظية المشروطة ديبلوماسياً بأدب وحنكة سياسية

وفي ظروف تاريخية صعبة قدم الكتانيون نشاطا ديبلوماسيا لمساندة البيعة الفاسية المشروطة للمولى عبد الحفيظ السلطان الشرعي وليس أخوه المولى عبد العزيز.

لقد أسرع الشيخ محمد الكتاني وبجانبه أخوه الشيخ عبد الحي الشاب وأسرته، والكتاب والفقهاء والعلماء بمكاتبة سفراء الدول الأجنبية بطنجة العاصمة الديبلوماسية، وتميزت هاته المراسلات بمجيئها بمفاهيم ومرجعيات من القانون الديبلوماسي وقواعدها المرعية دوليا، ومن الملاحظ أن الشيخ عبد الكبير الكتاني أب الشيخين يظهر من جديد بتوقيعه جاء ضمن توقيع قضاة فاس حتى يعطي للبيعة الحفيظية صبغة إجماع وطلبوا من ملوك ورؤساء الدول وسفرائها أن لا يتعاملوا مع المولى عبد العزيز السلطان المخلوع الذي لا يمثل إرادة الشعب المغربي وأن المولى عبد الحفيظ هو السلطان المبايع من أهل الحل والعقد.

التجربة الإعلامية الكتانية بوسائل بسيطة تدعو إليها الظروف القاهرة الاستعجالية لمواجهة جريدة السعادة الموالية لفرنسا

لقد قامت النخبة المغربية المثقفة وخاصة منها الشيخ محمد وعبد الحي الشاب في نشر مقالات سياسية في الصحافة المشرقية منها جريدة المؤيد المصرية وغيرها، وقد ذكرت جريدة السعادة هذه المشاركة الفعالة في عدد 11 يبراير سنة1325هـ-1907م.

ونشير إلى أهم مشاركة قدمها الشيخان الكتانيان في تجربتهما الإعلامية الصحفية الإسلامية لمواجهة جريدة السعادة ورئيس تحريرها ووديع كرم الذي سب وطعن علماء فاس وفقهائها وشن حربا كلامية ضد البيعة الحفيظية الفاسية.

وقبل الحديث عن أول نشرات شبه صحفية وطنية نشرت بمدينة فاس بعد أن شاعت وانتشرت بيعة فاس الحفيظية المشروطة في البوادي والمدن آنذاك حتى ظهر انقسام المغاربة بين العلماء والطبقات الشعبية وكان للمولى عبد العزيز أنصاره

ومحبوه، وأنشئوا صحف للدفاع عن المخزن العزيزي منها جريدة الصباح التي صدرت بطنجة سنة1324هـ- 1906م صاحبها السيد بن حيون ورئيس تحريرها وديع كرم الذي كان في خدمة المصالح الفرنسية، صدر منها 52 عدداً نشرت باللغة العربية وادعت أنها جريدة سياسية وأدبية وعلمية وتجارية نشرت في أربع صفحات من الحجم المتوسط وشعارها «عند الصباح يحمد القوم السرى»[1]

وكذا أنشأ المولى عبد العزيز جريدة لسان المغرب بإيعاز من الألمان بطنجة سنة 1907، وسنتحدث عنها ضمن دستور 1908 فيما بعد.

وجريدة السعادة فقد أنشأتها فرنسا بطنجة سنة 1904 وسمت رئيس تحريرها ادريس الخبزاوي الجزائري، وفي سنة 1906 عينت رئيس تحريرها بدل الخبزاوي وديع كرم[2] واستمرت جريدة السعادة في الصدور إلى سنة 1956 بعد استقلال المغرب.

أما المولى عبد الحفيظ سلطان الجهاد فكان له أنصاره ودعاته، ولم تكن له صحف تدافع عن بيعته سوى جريدة أنشأها سماها جريدة الفجر، وقد انتقد وديع كرم بشدة بيعة فاس المشروطة وعلمائها، صدر في عدد السعادة المؤرخ في 16 يناير سنة 1908.

وللوقوف ضد الحملة الإعلامية المغرضة على جريدة السعادة الموالية للمولى عبد العزيز ظهرت مجموعة من الأقلام من حركة الإصلاح التي وقفت في وجه فرنسا في دورها التضليلي السياسي الإعلامي وكان من أوائل الردود رد نشرة الطاعون.

رد نشرة الطاعون بعنف على وديع كرم

ويذكر زين العابدين الكتاني أن أول جريدة صدرت سنة 1908 (الطاعون) للشيخ محمد الكتاني للرد باستعجال على جريدة السعادة وعلى رئيس تحريرها وديع

(1) انظر زين العابدين الكتاني الصحافة المغربية ج 1 ص 155.

(2) انظر بوجندار صورة من جريدة السعادة، ودع بوجندار وديع كرم أحد عملاء الإعلام الفرنسي بالمغرب جاء بعنوان (وداع الوديع).

كرم، كتبت (الطاعون)[1] باليد أول مرة على استعجال وطلب الشيخ محمد الكتاني علماء القرويين وتلامذته أن يتجندوا وكان يملي عليهم ردوده على جريدة السعادة. ولم تكن لديهم سوى مطبعة حجرية تقنياتها محدودة، وتأكيداً لما جاء عند عبد الله كنون عن الصحافة ودور النخبة من الشباب المتحمسين للنهضة الوطنية والعلماء الواعين الذين وقفوا في وجه فرنسا وعملائها مثل وديع كرم الماروني[2]

عن رد الكتانيين على جريدة السعادة وحماية البيعة الحفيظية ويؤكد عبد الله كنون ذلك بقوله: «كان على رأسهم الشيخ محمد الكتاني وأخوه الشيخ عبد الحي الكتاني»[3]

وقد وقع الشيخ (الطاعون) في عددها الأول «خدع الطاعون بن الطاعون أخذه الله به» وبعد نشرة الطاعون صدرت نشرات أخرى بأقلام مغاربة وطنيين منهم:

1- العابد بن سودة صاحب «سنان القلم» لتنبيه وديع كرم طبع على الحجر بفاس وصدر له كذا الجيش «العرمرم» لهزم وديع كرم لنفس المؤلف العابد بنسودة وليس لمؤلف مجهول، وكل هذه النشرات طبعت سنة 1908م.

2- جاء «تنبيه المستبد من حيث على جهله يعتمد» لمحمد بن يحي الصقلي طبع على الحجر بمدينة فاس سنة 1908م، ونكتفي بما ذكره علال الفاسي في تعليقه على هذه النشرات وكل ذلك كان ردا على وديع كرم رئيس تحرير جريدة السعادة سنذكره لاحقا.

والشيخ عبد الحي الشاب جاء رده المتميز ضمن ما قدمه لمساندة البيعة

(1) جريدة الطاعون يذكر زين العابدين الكتاني أن محمد الكتاني الصوفي المجاهد أصدر أول صحيفة مطبوعة على الحجر (جريدة الطاعون) في شكل مجلة مختصرة وزعت بانتظام على السفارات الأجنبية وعلماء المغرب بالمجان داعيا إياهم إلى قراءة الصحف الأجنبية والدفاع عن حقوق المغاربة والوقوف في وجه كل الفسدة.

(2) وديع كرم الابن الحميم لفرنسا الشامي مسيحي فهو من الموارنة الذين هاجروا إلى طنجة، والموارنة مشهورون بوفائهم وحبهم الصادق لفرنسا.

(3) انظر عبد الله كنون «أحاديث عن الأدب المغربي» نشر دار الثقافة البيضاء ص 27.

الحفيظية المشروطة والدعوة الإصلاحية لإخراج المغرب من نظام الحكم الفردي إلى نظام الحكم بالشورى والعدل والحداثة السياسية المستمدة من الإسلام المستنير التي لا تتعارض معه.

للإشارة آخر عدد صدر من جريدة السعادة كان بتاريخ 27 دجنبر 1956 وهو العدد 9864 [1]

رسالة المفاكهة نموذج للخطاب الإعلامي الفريد للرد المتميز ضد تزوير الوعي الديني والسياسي

لقد جاءت رسالة «المفاكهة» رداً مركزا متميزا على مقال نشره رئيس تحرير جريدة «السعادة» عدد يوم الخميس 11/ 12/ 1326 هـ/ 1908م ورد بعنوان: الطاعن في الدعوة الحفيظية والداعي إلى أبطالها، ومناصرة المولى عبد العزيز (الملك الشرعي) كما سبق ذكره، واستمر وديع كرم الماروني المخلص للدفاع عن مصالح فرنسا الإمبريالية مبرراً أفعال المولى عبد العزيز وسياسته بالنافعة وإستراتيجيته الدينية المستخلصة من قواعد الشرع الإسلامي ثم تحول وديع كرم إلى شن حربا شعواء على أهل فاس وعلمائها وفقهائها وتجارها وقد لقي هذا المقال الذي يريد صاحبه تزيف الوعي بقلب الحقائق إلى أباطيل مما دفع الأوساط الشعبية المغربية واشتد غضبها، فكان الشيخ عبد الحي الشاب من الذين حملوا القلم للرد على مقال السعادة برسالته: «الاغتباط بأسباب سقوط ملك صاحب الرباط، والذي ظهر في حينه باسم: «مفاكهة ذو النبل والإجادة حضرة مدير السعادة» وقد طبعت المفاكهة عدة طبعات وترجمت إلى لغات عديدة[2].

كيف بين المؤلف اسباب تاليفه لرسالته «المفاكهة»

وقد بين المؤلف أسباب تأليفه لرسالة «المفاكهة» ثم ركز على ضرورة وجود سلطان للمسلمين يحميهم من الخطر الأجنبي، لأن الله ينزع بالسلطان ما لا ينزع

---

(1) انظر جامع بيضا معلمة المغرب ج 15، ص 4983.

(2) انظر معلمة المغرب ج 20، ص 6753 وعبد الله العروي،Les origines social ، مصدر سابق، ص. 397.

بالقرآن، وأن ذلك من مقاصد الشريعة الإسلامية، ثم توجه المؤلف مستعملا أدوات جديدة ككاتب ماهر وصحافي بارع برده العجيب على «السعادة» التي تهجمت على الدعوة الحفيظية التي تمثل أمال المغاربة، ثم تناول البيعة والخلع مبتدءا بالبيعة وشروطها التي هي أساس الدستور الإسلامي في تشكيل السلطة العليا مؤكداً أن سلطة السلطان مكتسبة من البيعة كما أكد الماوردي أن الأمة هي الأصل في عقد الإمامة الكبرى وأن السلطان مسؤول أمام أهل الحل والعقد والشعب، ثم انتقل العلامة الباحث إلى استعراض الشروط التي يجب توفرها في المبايع له شارحا الشروط المتفق عليها وكذا تحدث عن الشروط المختلف عليها في بيعة السلطان، والشروط المتفق عليها هي ثمانية: منها قوة النفس والشخصية المستقيمة لإقامة الحدود، وأن يكون بصيرا بأوضاع بلاده للدفاع عن بيضة الإسلام، والبلوغ.

يثبت المؤلف أن المولى عبد العزيز تعد بيعته غير شرعية لأنه لم يصل بعد إلى سن المسؤولية والحرية، لكن بويع كرها من تدبير الحاجب «ابا حماد» وأصبح سلطانا مفروضا على الأمة.

أما الشروط الغير المتفق عليها لدى فقهاء الشرع والقانون وفقه السياسة فهي الانتساب إلى النسب القريشي وخاصة لبني هاشم وقد تضمنت رسالة «المفاكهة» عدة مباحث مستخلصة من السياسة الشرعية تفيد الباحثين في هذا الميدان.

مسألة السياسة الشرعية في الاستعانة بكافر على مسلم

خاصة مسألة الاستعانة بكافر على المسلم، وهذه نقطة ذات أهمية ركز عليها المؤلف، واعتبر المولى عبد العزيز مرتداً وهي أخطر اتهام وجه له لأن حكم الشرع الإسلامي في المرتد هي أقسى عقوبة تطبق عليه، لكن الشيخ عبد الحي في مذكراته «المظاهر السامية» حيث سبق له أن سمي المولى عبد العزيز بالمخلوع وصاحب الرباط، وفيما بعد غير لهجته بعد معاناته من إذاية من السلطان الجديد المولى عبد الحفيظ وقضى الله ما أراد سنة 1912 ودخل المغرب إلى عصر الحماية، فسمي الشيخ المولى عبد العزيز بالسلطان الحكيم الكريم، ذاكراً الموالاة العزيزية والإحسانات

المتواترة لذوي البيت الكتاني[1]، وبعد أن ذكر مجموعة من الشروط التي تدعو إلى خلع المولى عبد العزيز، كتبديل شرع الله واستعاضته وتغييره بالقوانين الوضعية وإيوائه النصارى ومساعدتهم على المسلمين دون موجب واضطرار ثم يصل إلى نتيجة ذات أهمية أن المولى عبد العزيز وصل إلى السلطانة بالتغلب والاستبداد دون مبدأ الشورى للوصول إلى الحكم بطرق شرعية.

ونلاحظ أن الشيخ عبد الحي الشاب في رسالته «المفاكهة» لم يفته الرد على وديع كرم من موقفه المختل حين دافع على المولى عبد العزيز المخلوع ووزير ماليته الذي تلاعب بمالية المخزن ويزيد موضحا تفشي ظاهرة اللصوص الرسمية بقوله: «لم يكتف هذا الوزير المالي، فاستخدم إخوته في أهم مصالح الدولة، فشتت وفرق باقي المكوس، والينابيع على باقي أقاربه». خاصة منها الأموال التي تركها «ابا حماد ووضعها في خزانة المخزن بالقصر الملكي قبل وفاته كما أكد ذلك ابن زيدان في إتحافه وعلال الفاسي في حفريات دستورية.

ومما يذكر المؤلف في «المفاكهة» عن التبذير المالي بقوله: «فمن نظر إلى الأموال التي خلفها أبوه المقدس، والعدة والذخائر التي صارت له من أجيال، وجلبت له من وراء أودية وجبال، فقد ضيعها... لاستخدامه من كان معروفا بالسرف والفجور... ويتحول المؤلف إلى الاستيعاذ بالله قائلا: «فيا عباد الله، أي دين يسوغ هذا» قائلا لجريدة الشقاوة[2]: «وأي عقل يستبيح مثله فضلا عن شرائع الجاهلية والإسلام؟ !! والشيخ الشاب نلاحظ أنه يستعمل عبارات من مصطلحات القانون الدولي والصحافة وعلم النفس المرضي مثل عبارة المالخوليا.

(1) انظر عبد الحي الكتاني «المظاهر السامية» المخطوطة، ج 2، ص 149.

(2) وردت هذه العبارة في مسودة عبد الحي. وكذا نقل هذه العبارة عن الشيخ عبد الحي الشاب مؤلف النشرتين سنان القلم، والجيش العرمرم للرد على وديع كرم.

- وقد أراد وديع كرم رئيس جريدة السعادة بعد أن بويع المولى عبد الحفيظ بفاس وفشل دوره في نقده للسياسة الحفيظية واقترب من السلطان ناظما أبياتا شعرية لكن المولى عبد الحفيظ طلب منه أن يلقي قصيدته على مسامعه وهو في موكبه الرسمي ممتطيا صهوة فرسه، وقد رد عليه المولى عبد الحفيظ ببيت شعري مخاطبا إياه بقوله:

خطيب القوم هل أبصرت شخصا مديرا للشقاوة بالسعادة ؟

وهكذا نلاحظ استعمال عبارة الشقاوة التي استعملها عبد الحي في مفاكهته المخطوطة . انظر علال الفاسي الديموقراطية وكفاح الشعب، مصدر سابق، ص 142.

استعمل هذه العبارة مجازا للدلالة على حالة مرضية لأتباع المولى عبدالعزيز وجريدة السعادة ورئيس تحريرها وديع كرم الماروني الدرزي الذي يعطي فتاوى إسلامية وهو لا يفقه في الدين شيئاً، لأنه مريضا نفسيا ويزيد المؤلف في نقده لسياسة المولى عبد العزيز التي أدت إلى خلعه مثل جلبه المغنيات واللاعبات من الإفرنج ومن مصر ودعا المغنية الشهيرة سلطانة، والبلاد تهددها أطماع الدول الأوروبية، وقد كان بالمرصاد له مجموعة من الشعراء والأدباء بنقد مثل هاته الأفعال والمغرب والمشرق العربي يعانيان من ويلات الدول الاستعمارية، فأنكل على المولى عبد العزيز بإخلائه إلى المجون واللهو نذكر منهم شاعر النيل حافظ إبراهيم ت 1932 في مطلع قصيدته التي انتقد بها المولى عبد العزيز.

عبد العزيز لقد ذكرتنا أمما　　كانت جوارك في لهو وفي لعب
ذكرتنا يوم ضاعت أرض أندلس　　الحرب في الباب والسلطان في اللعب

وعن اللهو والمجون يخبرنا «كابرييل فير» أن المولى عبد العزيز كان له بلاط خاص باللهو والمجون[1]

وبعد أن استدل المؤلف بمجموعة من الأفعال والتصرفات التي لا ترضي الله ولا العباد خاطب الجريدة بقوله: «فأي ظلم أيتها السعادة[2] أكثر من هذا وأي غش يتصور فوقه؟ !! فما للأمة لا تخلع بيعته، ولا تزيل حرمته؟ !! فليس للمرء عدو غير من يورده مورد الضلال ويوقعه في ظلام الخيال»[3].

وأما عن البصيرة بأمور الحرب من شروط الإمامة الكبرى جاء في «المفاكهة» بقول المؤلف : «أما سد الثغور، فهل تشد الثغور بغير القلاع؟ وقد تهدمت في أيامه فما أصلحها ولا تعمر القلاع بغير المدافع...».

(1) انظر كابرييل فير في الصحبة الحميمية للسلطان سابق الذكر: «المفاكهة وردت فيها مجموعة من الردود، صفحة ؟، وما بعدها.
(2) في المخطوط وردت الشقاوة الفرنسوية بدل السعادة.
(3) انظر المفاكهة ص ؟.

وعن جلساء المولى عبد العزيز المخلوع يذكر المؤلف بقوله : «فإنه استبدل مجالسة أهل العلم والاقتباس من ضياء مشكاتهم بالأرذال المتجردين عن المعارف واللطائف».

ويستمر في نقده بقوله : «عن كل الأفعال الرديئة التي تدعو إلى خلع المولى عبد العزيز ثابتة بناء على قواعد الشرع وفقه السياسة الإسلامي.

وينتقل بنا المؤلف في حديثه المسهب إلى بيعة المولى عبد الحفيظ المشروطة التي التزم بها والملقب بالغازي سلطان الجهاد والتحرير نصره الله، ويزيد المؤلف في التنويه به في لقبه : «عالم السلاطين وسلطان العلماء من بين ملوك الأرض» ويستدل الشيخ عبد الحي الشاب بتفوقه العلمي والمعرفي ويخبرنا كيف التقى بجلالته بمراكش سنة 1321 هـ/ 1903م فذكر المجلس الذي يعده من أسعد الأيام حين التقى بالمولى عبد الحفيظ سلطان العلماء وسلطان الجهاد بقوله : «فوجدته كما قلت في كتابي الذي ألفته من أجله هناك» المنهج المنتخب الذي ألفه الشيخ عبد الحي الشاب عن السلطان المولى عبد الحفيظ «الدر المنتخب المستحسن فيما أسنده سعادة مولاي عبد الحفيظ بن السلطان مولاي الحسن (مخطوط يوجد في الخزانة الصبيحية سلا)[1] .

وسمي إجازة المولى عبد الحفيظ بالطنانة لأنها جاءت في عدة كراريس وليست كالإجازات العادية التي تكتب في بعض الأحيان في ورقة واحدة فقط.

وخلاصة لما ذكره الشيخ عبد الحي الكتاني الشاب في رسالته «المفاكهة» أن المولى عبد العزيز قد اختل النظام بوجوده وتصرفه الغير المرضي، وأنه كان من مبذري الأموال في ملاذه وشهواته النفسانية» ويستخلص بقوله : «أن الأمة أجمعت الكلمة من الكافة والخاصة من أعيان علماء المغرب الأقصى وساداته ووجهائه وأئمته... إلى رفض تلك البيعة التي كانت له معقودة وبالحرم الإدريسي مشدودة».

---

(1) عبد الحي الكتاني استجاز أكثر من خمسمائة شيخ في المشرق والمغرب نذكر منهم في المغرب العلامة محمد المنوني والفقيه أبو بكر محمد التطواني وقد بلغ إلى الرتبة العلمية الأولى من رتب علماء القرويين سنة 1907م . انظر معلمة المغرب، ج 20، ص 52-67.

نلاحظ من خلال ما ذكره مؤلف المفاكهة في كثير من كلامه أنه بالغ في تجريحه للمولى عبد العزيز بأن وصفه ب(خيانة شعبه) دون تبرير موضوعي ينسجم مع الواقع والإكراهات والظروف القاهرة التي كانت تواجه المغرب وحكامه آنذاك ومن الملاحظ أن من مواقفه الوطنية الهامة وقوفه في وجه مشروع طايندي المضر بمصالح المغرب، وبعد كل ما قدمه الشيخ عبد الحي الشاب من دعم سابق للمولى عبد العزيز الذي أسقطته الأمة وبايعت أخاه السلطان العالم المجاهد ويقارن بينهما، قائلا «أن المولى عبد العزيز المخلوع والمولى عبد الحفيظ المبايع بينهما، ما بين الجهل والعلم من تباين المراتب» واختلاف الوجوه في تولية المناصب»[1].

والشيخ عبد الحي الشاب عالم موسوعي لا شك في ذلك وشاهد على عصره دافع على البيعة الحفيظية دينيا وسياسيا، وعرض نفسه للخطر حين ذهب لمشرع الشعير ومعه عبد الكريم مراد كما سبقت الإشارة إلى ذلك ويقسم عبد الحي بالله ليبرهن عن صدق إيمانه أن المولى عبد الحفيظ الملك الشرعي وليس أخوه الذي تفاقمت في عهده الأوضاع الاجتماعية السياسية والاقتصادية والعسكرية إلى أسوأ الأحوال، ويقدم ولائه والتزامه والشعب المغربي معه، وأن المولى عبد الحفيظ هو الملك الشرعي المعول عليه لإنقاذ البلاد رغم وصولها إلى مرحلة السقوط، وقد انتقد الشاب الشيخ عبد الحي العالم نظرية ابن خلدون وأطوار الدولة وأعمارها كما انتقدها أبو عبد الله ابن الأزرق في كتابة: «بدائع السلك في طبائع الملك»[2]

لقد عقد الشيخ عبد الحي الشاب الأمل في سلطان الجهاد والشعب مجند من ورائه إذ يقول في «مفاكهة» بلغْتَ النجدة إلى أن رام نشل شعبه من وهدة السقوط وردّ مجد سلفه إلى الشيبة بعد هرم... ويزيد قائلا وهو من يتفاءل الناس باسمه في حفظ هذا الدين القديم، ورسمه عالم السلاطين وسلطان العلماء مولانا عبد الحفيظ الغازي، فلبت الناس هذه الدعوة المجابة»[3]

---

(1) انظر المفاكهة، ص 20 وما يليها.

(2) انظر ابا عبد الله ابن الأزرق : «بدائع السلك في طبائع الملك»، ج 1، تحقيق د. سامي النشار منشورات وزارة الإعلام، العراق 1977، وقد كنت ضمن مساعديه في تحقيقه كما ورد ذلك في مقدمة طبعته الأولى والثانية.

(3) انظر المفاكهة، من الملاحظ أن هذا النص ورد ضمن البيعة المشروطة الفاسية مع اختلاف بسيط انظر مفاكهة ص 24، والمنوني مظاهر بيعة المغرب، مصدر سابق ج 2، ص 349 الملحق 64.

فالشيخ يحاول إنقاذ ما يمكن إنقاذه، وأن يصون الخليفة الجديد الذي كان في حاجة إلى الشرعنة، ويصحح السلطان نفسه بالدين والعدل وإصلاح ما أصاب المغرب من انحلال.

جمعية الاتحاد والترقي وبيعة فاس الحفيظية المشروطة وجريدة لسان المغرب

عاشت جمعية الاتحاد والترقي الحلم الدستوري بعد خلع المولى عبد العزيز 1908، وبيعة أخيه المولى عبد الحفيظ في 4 يناير من نفس السنة من قبل أهل الحل والعقد بفاس، ويشير عبد الهادي بوطالب أن البيعة كعنوان لنظام ملكية دستورية وردت في شكل عقد بين الملك وشعبه[1]

وتطورت في 11 أكتوبر 1908 بالإعلان عن مشروع دستور لملكية برلمانية.

- جريدة «لسان المغرب»[2]، تزعمت بنشر الدستور المقترح طالبة من المولى عبد الحفيظ للدخول إلى نظام ملكية دستورية ديمقراطية شورية صدر في 4 أعداد من 10 أكتوبر إلى فاتح نونبر 1908، ومجموع بنود الدستور المقترح بلغت 93 فصل كتبت بصياغة قانونية محكمة وبنيت على أربع أصول وهي كالتالي:

1- الاعتماد على ثوابت النظام السياسي المغربي المستمد من الشريعة الإسلامية وفقه مالك وأعرق الديمقراطيات العربية والغربية.

2- الأصل الثاني إقرار أسس ثابتة لإنشاء نظام برلماني يعبر عن خبرة حضارية مغربية مبنية على الأركان الأساسية للتقدم والازدهار.

3- إقرار الحرية وحقوق الإنسان والاهتداء بها.

---

(1) انظر عبد الهادي بوطالب عن مشروع دستور 1908 في كتابه «النظم السياسية العالمية المعاصرة».

(2) أسس فرج الله نمور وأخوه ارتور نمور جريدة لسان المغرب في طنجة بتاريخ 8 فبراير 1907 بمساعدة المطبعة الكاثوليكية لليسوعيين في بيروت، والمولى عبد العزيز هو الذي أنشأها بإيعاز من الألمان انظر جامع بيضا: رسائل مفتوحة إلى السلطانين المولى عبد العزيز والمولى عبد الحفيظ «وقفات في تاريخ المغرب» منشورات كلية الآداب الرباط، 2001، ص 493 وما يليها.

4- إقرار قواعد لضبط آليات الحكم في ظل ملكية دستورية برلمانية والبرلمان المقترح في دستور 1908 يعتمد على إقرار نظام المجلسين:

1- مجلس يسمى منتدى الشورى

2- مجلس الشرفاء

والقول في عدم التوازن بين المجلسين يشرح عبد الإله فونتير هذه المسألة بقوله: «فإن اعتبار منتدى الشورى مهامه مجرد استشارية فهو أمر مخالف للصواب... وإن السلطة التشريعية تخضع في ممارستها لستة شروط.

عدم الإجحاف بحقوق الأمة، أو أضرار ببيت المسلمين وأملاك الدولة... وعدم المساس بالدين الإسلامي، واستقلال البلاد، وعدم الإضرار بحقوق السلطان – وغيرها من الشروط التي تنص على التوازن بين المجلسين مجلس الشورى ومجلس الشرفاء[1].

ويحدثنا محمد حسن الوزاني أن دستور 1908 عثماني الأصل نشرته جريدة «لسان المغرب» لا أقل ولا أكثر ويبرهن على ذلك بمقارنة نصوصه أنها من أصل مشرقي بحكم المصطلحات المشرقية والعثمانية مؤكدا بقوله :»أيا ما كان، فإن هذا المشروع كان ترديدا لصدى الحركة الدستورية في تركيا على عهد رجالها الأحرار أعضاء جمعية الاتحاد والترقي[2]» .

ورأي علال الفاسي عن الفكرة الدستورية التحررية يشير أنها انتشرت في الأراضي العثمانية ووصلت إلى المغرب بشتى الوسائل كما يقال الحقيقة يخدمها أصدقاؤها وأعداؤها على السواء[3].

---

(1) انظر عبد الإله فونتير العمل التشريعي بالمغرب ج 1 سلسلة دراسات وأبحاث جامعية 2002، ص ص ص 99-100-101.

(2) - انظر محمد حسن الوزاني مذكرات حياة وجهاد ج 1 إصدار مؤسسة محمد حسن الوزاني نشر دار الغرب الإسلامي 1982 ص 96 وما يليها.

(3) انظر علال الفاسي الديمقراطية وكفاح الشعب المغربي من أجلها ص 10 وما يليها.

ويزيد شارحا في نفس الصدد أن المولى عبد الحفيظ لم يرضه ما كتبته جريدة لسان المغرب عن مطالبة قادة المغرب الأحرار بإنشاء برلمان ودستور لنظام ملكية برلمانية لكن المولى عبد الحفيظ ، تضايق لما نشرته جريدة لسان المغرب واعتقل رئيس تحريرها نمور وأخيه وأقفل المطبعة، وكان ذلك بإيعاز من فرنسا التي كانت تدير المؤامرات لإيقاف التطور الدستوري بالمغرب حتى تستطيع الهيمنة عليه واستعماره.

بعد إعطائنا لمحة عن تطور مشاريع دستورية، ننتقل ونشير إلى السياق التاريخي ولمحة عن الشيخ محمد الكتاني وتصفيته وكيف وقع ذلك.

وعبد الحق المريني مؤرخ المملكة المغربية يشير في كتابه لمحات تاريخية عن الحركة الدستورية بالمملكة المغربية أن أسباب فشل مشروع إنشاء دستور في العصر الحفيظي منها مقاومة الدسائس الأجنبية والفتن الداخلية التي أدت إلى آفة عقد الحماية من سنة 1912 إلى غاية استقلال المغرب بنضاله وكفاح المغفور له محمد الخامس ومن ورائه شعبه الأبي المخلص لله والوطن والملك[1].

السياق التاريخي لمحنة الشيخ محمد الكتاني وتصفيته وكيف وقع ذلك

1) التقى الشيخ محمد الكتاني مع السلطان مولاي عبد الحفيظ بمنطقة «يطو»

لقد لبى الشيخ محمد الكتاني النداء الوطني الديني حين توصل بالرسالة السالفة الذكر من السلطان الجديد قبل أن يغادر «مشرع الشعير» للخروج من المأزق الصعب الذي كان جاثما على أنفاس المغرب محتلا مدنه وقراه من قبل القوى الأجنبية.

الأسباب الحقيقة هي أعمق من هذا:

لقد سبق الشاب عبد الحي الالتحاق بالسلطان «بمشرع الشعير» والشيخ محمد الكتاني شيخ الطريقة الأحمدية ذهب هو الآخر إلى «زمور» موضحا وشارحا

(1) انظر عبد الحق المريني «لمحة عن الحركة الدستورية بالمملكة المغربية بالمطبعة الملكية الرباط 2011 ص 8 و9.

لأعيان قبائلها الوضعية الصعبة التي مر ويمر بها وطنهم المغرب داعيا إياها بالقيام بالواجب الديني الجهادي لإنقاذ البلاد من السقوط في يد الاستعمار، وأن السلطان الشرعي هو المولى عبد الحفيظ سلطان الجهاد وعليهم أن يبايعوه.

وقد انتخب الشيخ محمد الكتاني جيشا من هذه القبائل وقصد بهم مخيم المولى عبد الحفيظ مع الذين كانوا رهن إشارة السلطان وطاعته[1]».

وعن أهداف المولى عبد الحفيظ ونواياه فإنه لم يعلن عنها حين بويع سلطانا بمراكش وبعدها بفاس، لأن المولى عبد الحفيظ في أول وهلة استسلم للفرنسيين لأنه أخذا بمبدأ المهادنة والاستسلام.

فقد تخلى المولى عبد الحفيظ عن مبدأ الجهاد والمقاومة وهو في طريقه إلى تحرير الشاوية والدار البيضاء، فابتعد عن طريقهما لتخليه عن فرض الجهاد حتى لا يقع في مواجهة عسكرية مع الجيش الفرنسي الذي أعطيت له أوامر بأن لا يعترض القوة العسكرية الحفيظية بناءا على اتفاق سري بين سلطان الجهاد والجنرال داماد «D'amade» الذي أعطيت له أوامر بأن لا يعترض على القوة الحفيظية بناءا على اتفاق سري والتزامه دفع الدين الذي التزم به المخزن العزيزي والدعيرة التي فرضت على المغرب نتيجة حرب الدار البيضاء والشاوية وقبول شروط الخزيرات وغيرها من الشروط المجحفة.

ومن الملاحظ أن نهاية الجهاد والمقاومة في كل من تافيلالت والشاوية والدار البيضاء ومناطق أخرى من التراب المغربي جاءت بالأوامر السامية من المولى عبد الحفيظ.[2].

(1) 2 انظر ترجمة الشيخ الكتاني الشهيد المسماة أشرف الأماني ترجمة الشيخ سيدي محمد الكتاني الطبعة الجديدة مزيدة ومنقحة، 2005، ص 410.

(2) انظر رسائل حفيظية منها رسالة للشريف الحبيب بن المعطي العلوي طالبا منه إيقاف الجهاد والمقاومة. انظر محمد المنوني مظاهر يقظة المغرب الحديث « نشر دار الغرب الإسلامي لبنان، ج 2، ص 277.

أسباب التنافر والكراهية ناتج عن البيعة الفاسية المشروطة بين المولى عبد الحفيظ والكتانيين

أبعاد لقاء التنافر والتصادم الذي أدى في آخر المطاف إلى تصفية الشيخ عام 1327هـ/ 1909م

عن ملامح وارتسامات وجه المولى عبد الحفيظ حين التقى بالشيخ محمد الكتاني يخبرنا عنها صاحب «كباء العنبر» المصدر السابق ذكره بقوله: «التقيا معا في محل المسمى (الفتيوة) «يطو» في قبيلة بني مجليد ناحية مكناس، وأن المقابلة لم تطل» ويخبرنا أحمد المنصوري عن كيف كانت مقابلة المولى عبد الحفيظ للشيخ محمد الكتاني إذ يقول: «وتقابلا وجها لوجه تقابل الأشباح ولكن بعدما تشاما لم يجد كل منها تآلفا للأرواح، لأن الأرواح أجناد مجندة ما تعارف ائتلف وما تناكر منها اختلف».

وهذا اللقاء كان بسبب الرسائل السلطانية التي أرسلها المولى عبد الحفيظ للأخوين الشيخ محمد الكتاني والشيخ عبد الحي، ثم يزيد المنصوري قائلا: « حتى دخلا العاصمة مكناس وهناك بدأت المنافرة ثم المشاجرة التي أدت للمغامرة وأن لعبة السياسة لعبة قذرة» والمنصوري يقصد بالمغامرة[1] هي تصفية الشيخ محمد الكتاني والتحاقه بالرفيق الأعلى. ونلاحظ أن سبب المنافرة هو بيعة فاس المشروطة التي ظنها سلطان الجهاد هي تحجير عليه وسلطان بلا سلطة لأن المولى عبد الحفيظ لم يكن مستعدا التخلي عن سلطاته المطلقة في إطار نظام ملكية الحكم الفردي المطلق.

بعد أن أشرنا بإيجاز إلى أهم الأحداث التي عاشها الشيخان محمد وعبد الحي الشاب وزاويتهما الكتانية الأحمدية في ظل حكم السلطانين المولى عبد العزيز (1312هـ-1894م/ 1326هـ-1908م) وبداية حكم المولى عبد الحفيظ سلطان الجهاد (1326هـ-1908م/ 1331هـ-1912م) ووقوفه ضد الحركة الإصلاحية الدستورية وتصفيته للشيخ محمد الكتاني 1909 م، وبذلك تم إطفاء شعلة الإصلاح والتجديد الدستورية، وكانت هذه المشاريع الإصلاحية تفرضها الظروف الصعبة التي كان

(1) انظر أحمد المنصوري «كباء العنبر» تحقيق محمد بن الحسن نشر المندوبية السامية للمقاومة وأعضاء جيش التحرير، ط 2004، ص 179.

يمر بها المغرب لكن الأحداث الداخلية والخارجية لعبت دوراً فعالا في كل ما حدث من أضرار البلاد والعباد.

خاصة بعد جلسات دروس الإمام البخاري وخلاف الشيخ محمد مع السلطان المولى عبد الحفيظ في مسائل فقهية وعقائدية ومسألة سفر الشيخ وأخوه عبد الحي الشاب وأسرته وأتباعه إلى قبيلة بني مطير التي أدت في الأخير إلى تصفية الشيخ نتيجة لمؤامرة دبرها السفير الفرنسي رينول الذي أبلغه خبر قتل الشيخ ولدينا شهادة وردت ضمن وثيقة هامة سنوردها فيما يلي:

كل وثيقة تعبر عن مرحلة تدعو إلى قراءة جديدة للتاريخ قد تسلط الأضواء على جوانب معينة تساعد المؤرخ والباحث على فهم قضايا شائكة أكثر وضوحاً لخدمة الحاضر، ومن هنا يمكن أن نقول هل شهادة الفقيه الروندة الثقة العدل الموثق ذو الوزارتين (العدلية والمعارف) تلقى وثيقة شهادة من الشاعر عبد الله القباج تـ 1365هـ - 1945م في سلا والروندة تـ 1366هـ - 1946م دفين شالة الأثرية بالرباط.

هل شهادة الفقيه الرندة التي تلقاها من الشاعر عبد الله القباج تعد وثيقة تاريخية هامة تكشف عن وشاية كاذبة في شكل مؤامرة استعمارية عجلت بثورة شعبية وإبرام عقد الحماية المشؤوم سنة 1331هـ/ 1912م.

الوشاية الكاذبة وردت ضمن سياسة التضليل التي دبرها السفير الفرنسي «أوجين رينيو Regnault- E، وترجمانه قدور بن غبريط كان من أكبر عملاء فرنسا[1]. إذ ترجم ما قاله رينو للشيخ محمد الكتاني مؤكداً له أن السلطان مولاي الحفيظ ينوي قتله وتصفيته، وطبعاً هذا افتراء، وكَذِب من صنع رينو على الشيخ محمد الكتاني

(1) قدور بن غبريط ولد بالجزائر بسيدي بالعباس 1868م بصفته أكبر عملاء فرنسا منذ دخوله للمغرب من طنجة 1892، قام بعدة مهام لصالح فرنسا، ترجم عقد الحماية التي فرضت على المغرب 1912م، رافق المولى عبد الحفيظ إلى فرنسا بعد تخليه عن الملك، نظم رحلة لمحمد الخامس طيب الله ثراه إلى فرنسا ولقائه مع رئيس جمهوريتها عام 1951، توفي قدور بن غبريط 24 جوان 1954 وهو ماسونيا دفن 24 جوان وبعد الظهر قامت الشرطة الفرنسية بباريس بمصادرة كل ملفاته ووثائقه، وهنا نرى الدور الخطير الذي لعبه قدور بن غبريط في سبيل خدمة للاستعمار الفرنسي قبل تولية المولى عبد العزيز السلطنة انظر:
«kadour ben ghabrite» Hamaza ben driss Otmani, édition Marsam, 2010, p. 265.

لكن بعد خمسة أيام أو نحوها خرج الشيخ باكراً إلى بلاد بني مطير قرب مدينة إفران مع أسرته، وأخوه عبد الحي الشاب وأتباعهما، لكن السفير رينو أسرع وأبلغ المولى عبد الحفيظ بخبر فرار الشيخ الكتاني وأنه يريد إرجاع الحكم للأدارسة كما سبق لميشو بلير أن روج هذه الرواية الاستعمارية 1908 للقيام بالثورة من بلاد الأمازيغ، فعجل السلطان المولى عبد الحفيظ بإرسال خمسمائة من الخيل ورجال الحركة، وأتوا بالشريف الكتاني دون أن يقوم الشريف بأي عمل يخل بالنظام. لكن ما إن رأى السلطان الشيخ وأسرته أمر بتعذيبهم وإدخالهم إلى السجن، فعذبوا عذاباً مبرحاً بوحشية حتى التحق الشريف بالرفيق الأعلى، ودفن ليلا حتى لا يعرف خبره.

1 – شهادة الروندة المدونة في كناشته

النص : «أخبرني السيد الحاج عبد الله القباج الكاتب المدعو «الشاعر المطبوع» أن سفير فرنسا كان أوائل أيام مولاي حفيظ بفاس. وكان بين الشاعر المذكور وبين الشريف الأجل العلامة العارف سيدي محمد بن سيدي عبد الكبير الكتاني اتصال ظاهر، واتصال بين الشاعر والسفير المذكور؛ فقال له السفير يوما: ما يريد هذا الكتاني صاحبك؟ يريد أن يكون سلطانا؟ فقال: لا، ولكن يريد احتراما له ولزواياه وأصحابه. فقال: إن كان لا يريد إلا هذا فليزم أن يكون كذا وكذا لما قلت آنفا، فهل يمكنك أن تأتي به لمحلك ونجتمع معه في هذا المعنى. فجعل معه موعدا بدار الشاعر فجاء السفير صحبته السي قدور بن غبريط، ثم ورد الشريف معه أخوه السيد عبد الحي لا غير مجيئا سريا، فقال السفير للترجمان: قل له ماله يفسد علينا الناس ويفشي سوء سمعة دولتنا؟ فأنكر الآخر، فأحضر له مكاتب بخطه لأهالي القصر ومكناس وغيرهم بتحذير الناس وتشويه سمعة المحذر منه، فتلاوما قليلا ثم قال له: تريد أن تكون سلطانا؟ قال: لا قال له: إن هذا السلطان بين أسلافه وبين دولتنا عهود وقوانين نسعى في إجرائها معه وهو يريد أن يقتلك ! وأنت ما تريد؟ إلى أن التزم له السفير أن يكون مستشارا مع السلطان لا يبرم شيئا إلا بموافقته وأن يستخدم جميع أصحابه بما يناسبهم من الخدمات المخزنية وتحترم

سائر زواياه ويكون الكل في حمايته. فاتفقا عليه ريثما يكتب السفير لدولته...، وبعد خمسة أيام أو نحوها خرج الشريف ليلا لبلاد البربر. فكان من أمره ما هو معروف، ومنه أن الشريف المذكور بما فيه إخوته وأولادهم وسائر خدمهم وما شعر بذلك أحد. ويقال بأنهم خرجوا متفرقين من أربعة أبواب.

ولما وجه مولاي عبد الحفيظ السلطان الطلب في قبلهم خمسمائة من الخيل عليهم القائد... فوصلوا إليهم بأوائل بلاد البربر لم يتوغلوا فيها، ويقال إن سبب تأخرهم أن سيدي عبد الكبير أبا سيدي محمد رحمهما الله تعالى امتنع صباح ذلك اليوم من الركوب بحد السفر متعللا بأنه لا يركب حتى يصلي الظهر وامتنع من أن تفوته صلاة ضحى ذلك اليوم فبسبب تأخرهم ذلك، فبمجرد ما ساروا أدركوهم فترجل القائد وكبراء من معه عند رؤيتهم للشريف سيدي محمد وأدوا له مراسم التحية كما يفعلون بالسلطان ثم خاطبوه برفق ولين وإجلال يطلبونه بأمر السلطان لهم أن يشخصوا إليه مكرمين لغرض. فلما صار أولئك القبائل يتشاورون فيما بينهم في الامتناع من رجوعه قال لهم الشريف: لابد من امتثال أمر السلطان فرجعوا بهم مكرمين إلى أن وصلوا إلى أن رآهم السلطان بالمكبرة والشرفاء راكبون، أزعج من المخازنية من أنزلهم إلى الأرض ووجد هناك الحداد فجعل في أرجلهم أكبالا وأوصلوهم إلى السلطان في مشهد عظيم إنا لله وإنا إليه راجعون؛ فوجدوا عنده علماء فاس فأدخله عليهم فصاروا يناضلونه فمنهم المشط والمتوسط إلى أن أمر بهم للإشحان إلى أن قتل الشيخ الفقيه العلامة المتبحر سيدي محمد رحمه الله تعالى وأسكننا وإياهم فراديس الجنان ومن علينا من فضله بالرضا والرضوان آمين»[1].

وبعد أن مررنا بمأساة قتل الشيخ محمد الكتاني هناك شهادة تاريخية ثانية وهي معاصرة لمحنة الشهيد الكتاني أوردها محمد الطيب بن عبد الرحمان في مخطوطه: «المذكرات الشرفية» مكتوبة بخط المؤلف. ونبدأ بما أخبرنا به صاحب المذكرة عن وصول خبر خروج الشرفاء الكتانيين ليلا بني مطير؛ وهي كالتالي.

(1) انظر الصديق الروندة «العلامة محمد بن عبد السلام الروندى» طبع ربا نيت 2010، صص 142-143. وقد سلمني مشكورا نسختين من هذا العمل الجليل لجده.

2 – نص شهادة الشرفي:

«وفي يوم السبت 27 صفر الخير أعلاه وصل للمخزن في فرار الشرفاء الكتانيين لناحية البربر بجميع عيالهم ومتاعهم فهيأ الحركة فوراً للإتيان بهم وذهبت إليهم ووجدتهم مقيمين عند بني مطير، فطوقتهم المحلة والعسكر، فأراد بني مطير الدفاع عن الشرفاء، فمنعهم سيدي الكبير والد سيدي محمد وقبل أبناؤه الرجوع إلى فاس والمثول لدى السلطان معبرين عن طاعتهم له.

– وفي يوم الثلاثاء مهد ربيع النبوي رجعوا كلهم بعيالهم في أسوأ حالة مع المحلة، وأدخلوا دار المخزن، الرجال ومن معهم من الأصحاب في السجن والنساء والمتاع في ناحية أخرى بدار المخزن بعد سلبهم الحلي، والأمر لله ولاحول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

في يوم الجمعة 11 العيد النبوي من عام 1327، أفرج عن نساء الشرفاء الكتانيين وكذا الصبيان وإمائهم ما عدا ثلاثة من الإماء حيث أمر بجعلهم في جملة إماء دار المخزن مع حيازة جميع متاع الشرفاء. أما الرجال فوضعوا مقيدين بالحديد في سجن الخصيصات والمولى سبحانه يلطف بنا وبهم وبالمسلمين آمين. جعل سيدي الكبير وولده سيدي عبد الحي في مكان واحد في السجن، وأبعد عنهما سيدي محمد في مكان آخر حين أريد الفتك به بالضرب بالسوط في كل يوم وبتجويعه تارة وتارة يعطى له شيء من خبز الشعير، وبقي على هذه الحالة إلى أن قبضه الله تعالى وأسكنه فسيح جنات الفردوس، تغمده الله برحمته وذلك يوم الاثنين 12 من ربيع الثاني عام 1327، وبقي بلا دفن من عشية اليوم المذكور إلى عشية الغد، وجهزه السيد الحاج بريك خليفة باشا فاس الجديد حفيد بن بوشتى بن البغدادي الجامعي، وحضر دفنه بالروضة التي بإزاء باب قبيسة المعروفة بباب الساكمة وصلى عليه رحمه الله».[1]

---

(1) انظر كتاب الدكتور حمزة الكتاني مرقون «أحداث إرجاع الشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني إلى فاس» سلمني إياه مرقونا نتمنى من الأستاذ الفاضل أن يقوم بنشره لتعميم الفائدة خاصة عن محنة الكتانيين وقتل شيخ الزاوية الكتانية الشيخ سيدي محمد الكتاني من الصفحة 1 إلى الصفحة 3.

ومن يقرأ الروايتين عن مأساة الشرفاء الكتانيين لا يستعصي عليه فهم التاريخ الذي وقعت فيه تصفية الشيخ محمد الكتاني منذ أكثر من قرن من الزمان.

وعن كيف عُذب الشيخ بوحشية يخبرنا الشيخ المؤرخ عباس بن ابراهيم السملالي ورد في نص أخبره به الحاجب السلطاني المرحوم محمد بن الحسن بن يعيش: «إن السلطان عبد الحفيظ لما بلغه خبر موته تحت التعذيب، لم يتق بذلك، فأرسل حاجبه يومئذ الحاج أحمد الكريسي إلى البنيقة التي توفي فيها ليتأكد من موته، فدخل الحاجب المذكور إلى البنيقة، وكانت هي الأولى المجاورة لباب القصر من مشور باب البوجات (وقد هدمت أخيراً) فغرز في الأصبع الكبير من رجله اليمنى إبرة كبيرة من النوع المسمى عندنا في فاس بالسكوري، فلما لم يتحرك أيقن بموته، وعاد إلى السلطان فأكد له موته»[1].

وهناك شهادة أخرى تثبت براءة الشيخ محمد الكتاني من التهم التي نسبت إليه أوردها المؤرخ الحجوي المعاصر للحدث في كتابيه «الحق المبين والخبر اليقين بما في قراطيس حجة المنذرين بما يخالف الدين» مطبعة النهضة تونس. و»طيب الأنفاس في تاريخ بعض الزوايا وأضرحة فاس» هذا مخطوط ضمن مجموع الخزانة الحسنية رقم 232. إذ يقول الحجوي في «الحق المبين»: «وجهت إلى الشريف الكتاني تهمة أنه يريد الملك لنفسه، وهذا عندي هذيان من القول» وفي «طيب الأنفاس» يقول: «قتل سيدي محمد الكتاني ضحية السياسة لا طلبا للملك»[2].

بعد التعذيب اللاإنساني تمت تصفية الشيخ محمد الكتاني الصوفي المصلح بسجن القصر الملكي بفاس كما مر بنا سلفا،

هل كان العلامة عبد الحي الشاب وهو في المعتقل سيعرف نفس المصير بالتعذيب حتى الموت؟، خاصة أن رواية شفوية كانت رائجة في الأوساط الشعبية والعروي يؤكد أن الأصل في المعرفة التاريخية هو الرواية الشفوية المعاصرة كما سبق

---

(1) انظر العباس بن ابراهيم السملالي «الإعلام بمن حل بمراكش واغمات من الأعلام» الجزء السابع ط 3، 1417 – 1997 ص 151.

(2) انظر آسية بن عدادة: «الفكر الإصلاحي في عهد الحماية» نشر المركز الثقافي العربي، ص 334.

ذكره وهناك شهادة شفوية سمعتها من أحد الشيوخ وهو محمد بن الفقيه اليوسفي الفاسي وقد بلغ من العمر حوالي مائة سنة يقول فيها وهو جد متألم: نسمع بين الناس في مدينة فاس أن الشيخ عبد الحي كان سيلقى نفس المصير الذي عرفه أخوه الشهيد، وكان دليلهم في ذلك هو أن أخاه عبد الحي لا يقل خطورة عن أخيه، ويرددن مثلاً شهيراً «إذا ماتت الدابة يبقى ذيلها يتحرك»، لذلك يجب تصفيته، وقد أكد لي هذه الرواية وتناقلتها أجيال. وسمعت نفس الرواية من الأستاذ عبد السلام المنجلي السنوسي وهو مهندس معماري من فاس من بيت علم، سمع هذه الرواية من أبيه.

عالم صوفي مقاوم مصطفى ماء العينين من شيوخ المولى عبد الحفيظ لا يرفض له طلب في إطار الشريعة الإسلامية تدخل لإطلاق سراح العلامة عبد الحي من المعتقل

نصوص مطوية من محنة اعتقال الشيخ عبد الحي الكتاني

سننقل ما أورده في هذا الصدد محمد المختار السوسي في مؤلفه المعسول لأننا نتعامل مع الوقائع بتفصيل عن كيف أطلق سراح العلامة عبد الحي الكتاني من معتقله إذ يذكر المختار السوسي بقوله: «وفي سنة 1327 هـ أرسل ماء العينين ابنه الهبة إلى مولاي عبد الحفيظ بفاس، وإذاك أطلق على يد الهيبة الشيخ عبد الحي الكتاني من السجن بعد قتل أخيه الشيخ محمد[1]».

عبد الحي الكتاني يعبر عن محنته من خلال كتابه «وسيلة الولد الملهوف إلى جده الرحيم العطوف»

كتاب «وسيلة الولد الملهوف إلى جده الرحيم العطوف» ألفه عبد الحي الكتاني وهو في المعتقل بفاس بعد قتل أخيه سنة 1327هـ/ 1909م

حتى نقترب لفهم الحالة النفسية التي كان عليها العلامة عبد الحي الشاب وهنا تشتد آلامه وتغمره موجة من الحزن والتصوف تظهر آثارها بموضوع في كتابه

(1) انظر محمد المختار السوسي المعسول، طبعة المغرب، ج 4، ص 98.

ألفه في السجن مع عائلته: «وسيلة الولد الملهوف إلى جده الرحيم العطوف» يقول فيه: «إن بحار الأهوال لما تلاطمت أمواجها وصنوف الأنكاد لما تسابقت أفواجها وقدر الله ما قدر من الاعتقال ومكابدة مشاق أو حال الأحوال رغب إليَّ العشير الذي غلط الزمان بمصاحبته، فرافقته وشاركني في المحنة وشاركته محل الولد بل الأخ المواخي في الفرح والنكد السيد السريُّ الماجد... إمام زمانه وسيد أهل عصره وآوانه الفقيه المفسر المحدث الصوفي أبي المكارم مولانا عبد الكبير بن الإمام العارف أبي المفاخر مولانا محمد بن مولانا عبد الواحد الكتاني فرج الله كربتي وكربته،... أن أكتب كلمات في الصلاة على مصدر الإفاضات ﷺ نستدفع بها حر الأكدار ونستحلب بها صافي ألطاف الأقدار وكل ما فيه شرور وانبساط، وبه يتم بهاء كل بساط. وأن أرتبها على حروف المعجم ليتم بذلك ما يستعجم، وأن أسلك فيها مسلك الاقتصار والتقريب لتسهل تلاوتها عقب كل صلاة من كل حبيب، فلبيت دعوته وأجبت رغبته لما أتحققُه من فضائل الصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم وشرف وكرم التي منها أنها تحل العقد، وتفرج الكرب. وتنيل الرغائب. وحسن الخواتم وتنجي من جميع الأهوال والآفات. وتقضي بها جميع الحاجات»[1].

ذكرنا هذه المقدمة التي أشرنا إليها أعلاه كتبها الشيخ للتخفيف على نفسه من محنة الاعتقال والأهوال وقد تساعد الباحث والقارئ لمقاربة أسباب الأزمة النفسية التي عاشها الشيخ مدى حياته.

كيف تأزمت شخصية الشيخ عبد الحي الكتاني؟

ورغم تاريخ الزاوية الكتانية الديني والنضالي لإصلاح المجتمع والدولة لإنقاذ المغرب من السقوط وضياع سيادته واستقلاله، قتل الشريف الصوفي وهو تورط ومسؤولية تاريخية وجريمة سياسية أخلاقية على مرتكبيها، والشيخ عبد الحي الكتاني صار أسيراً ومليئاً بالمرارة والأسى، وما شهادة أحد كبار علماء مصر العلامة

(1) انظر «الصلوات الكتانية» وردت ضمنه «رسالة الولد الملهوف إلى جده الرحيم العطوف» للشيخ عبد الحي الكتاني نشر دار الكتب العلمية ط 1، 2004، ص 104.

محمود محمد شاكر حين زاره الشيخ عبد الحي الكتاني بمصر في طريقه إلى الحج سنة 1352هـ/ 1933م أي بعد ما يقارب 21 سنة من إبرام عقد الحماية، فقد وصف العلامة محمود محمد شاكر ملامح الشيخ الكتاني الجسمانية وسجاياه وصبر أغواره النفسية، وجه للعلم والعلماء وينتقل بنا ويخبرنا عن نفسه المتألمة المتخنة بالجراح والتي أصبح أسيراً لها إذ ورد في هذا النص ما يلي:

وهذا السيّد المباركُ المحقق العلم الإسلامي وعمدة التاريخ العربي «محمد عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني الإدريسي» واحد فاس، وكبير مراكش، والعلمُ الشامخُ بين أعلام الأمة الإسلامية في هذا العصر ما بين الصين إلى رباط الفتح من المغرب الأقصى.

ويمكن أن نقول من البداية: أن شهادة الأستاذ محمود محمد شاكر كأحد كبار علماء مصر وكمحلل سيكولوجي لشخصية عبد الحي الكتاني تعد مقاربة للتعرف على سماتها النفسية المجهولة.

وما عساي أقول في رجل... كلما أمسكت القلم لأكتب عنه تهيَّبته من غير خوف كما يتهيب المؤمن قالة الحق تحيك في قلبه، خشية أن يجور فيها لسانه، أو أن يعدل بها سامعها عن وجه قصد إليه. وأنا حين أكتب هذه الكلمة- بعد أن لازمت الرجل أيامه ولياليه في القاهرة، وأخذت عنه، وقبست من نوره وعلمه وخلقه الغض، واستشيت ريا شمائله – أجدني كالذي انتقل بروحه من عالم كثيف فيه من ثِقل المادة ما يهيض جناح الطائر، إلى عالم من الرُّوحانية المصفاة التي ألقت أوزار المادة إلى مثارها ومعدنها من الأرض، وحلقت في جو السماء بين نسمات النفحة الإلهية وفتنة الجمال العلوى... الجمال الذي ينتظم الكون كله بأفلاكه وكواكبه ودقة تدبيره وحكمة أمره.

وصف جسماني للشيخ عبد الحي الكتاني:

رجل منضر الوجه كالوردة الزاهية فيها سر الجمال الإلهي الذي لا يذبل، مشرق الجبين كنور الفجر الصادق الذي لا يكذب، وضاح الثنايا كالأقحوانة

المبتسمة في ربيعها من الطل والندى، صافي العينين كالماء النمير في مجرى من البلور، كثّ اللحية محفوف الشارب أهدب الأشفار أبلج الحاجبين في شعرهما وطف، ضخم الهامة سابق الهيبة بادي الحنان، في جسمه بسطة تذكرك بها تقرأ في صفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه. هذا هو السيد الشريف «الكتاني» عالم الشريعة الإسلامية وهذه صفته أول ما تكتحل عيناك بطلعته.

اثر الزمن ونوائبه عليه

هو في الثامنة والأربعين من عمره، ولكن تطالعك هذه السنوات القلائل من عينيه بالكَبرة الملطفة بشباب القلب، المخففة بحياة النفس العزيزة المتألمة المثخنة بالجراح من أحداث الدهر وعواديه، ينظر إليك حيناً نظرة العالم المتمكن الأمين المتثبت الذي شغله العلم عن الحياة المادية الغليظة، فتحملك نظرته هذه من مجلس بسيط وديع إلى بحر من العلم يفتنك هدوءه كما يروعك اصطخابه إذا ازدحمت فيه أسباب الحركة العلمية. وينظر إليك حينا وهو يستمع هادئاً نظرة المشفق الحريص الذي يود أن يراك مصيبا لم تخطىء. وأنت لا تزال في مجلسه بين أنواع من النظرات لها معانيها، ولهذه المعاني أسبابها.

الأسباب والبواعث التي تميزت بها شخصيته النيرة

ولهذه الأسباب بواعثها، ولهذه البواعث محركاتها، وهذه المحركات خفايا من وراء النفس، منقمعة مكتومة لا تنفذ إليها إلا نظرات أروع وقاد قد ابتلى دقائق النفس الإنسانية بالممارسة والذهن المتوقد الذي يرى من آيات الله آيات من البلاغة الإلهية التي تمس الروح مسة تيار كهربائي ترعش به أعصاب الإنسانية وتنتفض.

ويصف مجالسته وبحره الفائض بالعلم بقوله:

«أنت من مجلسه في مجلس الحافظ لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، والفقيه الذي قلب آيات الفقه الإسلامي بالبصر والبصيرة، والمؤرخ الذي انفتق له السور عن تاريخ العرب والأمة الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها، والألمعي ذي

الدهاء الذي ركبت الأحداث في نفسه آلة إحساس دقيقة تحس بالبعيد إحساسها بالقريب ولا تكاد تخطئ إلا بمقدار ما في النفس الإنسانية من أسباب الخطأ الذي لا تنفيه إلا العصمة التي لم يقض الله لأحد من الناس أن يبلغها. وهو وراء ذلك أحد المتصوفة الذين عرفوا حقيقة التصوف لا أوهامه التي ملأ بها الدخلاء ساحة التصوف، وفي هذا الصدد ينتقد الشيخ عبد الحي الكتاني في كتابه «المخطوط المظاهر السامية» أشباه المتصوفة والطرقية.

وأحد الذين يزنون العلم الحديث وما نشأ عنه من أحوال الاجتماع بميزان يفرق بين الخير والشر والحق والباطل، فهو يطلع عليه اطلاع المتبصر الذي لا يرضى لنفسه أن يكون من الغوغاء أتباع كل نظرية هوجاء لا قرار لها على حال.

«ولهذا الرجل إحساس علمي عجيب، فهو لا يكاد يسمع بأديب أو فقيه أو عالم أو فيلسوف إلا جن إليه وقلق إلى رؤيته، ورغب في التحدث إليه وسبر غوره، فلا تصرفه شواغله وهو في دار الغربة عن أن يقدم أهل العلم- أيا كانوا- بالزيارة بل تراه يبدؤهم بها. ويرحل من بلد إلى بلد لأن فيه عالما جليلا قد قرأ آثاره أو سمع به. وأنت فظن كيف تقدر رجلاً من أقصى المغرب بفاس، لا يذكر أمامه اسم عالم أو غيره في مصر أو الشام أو الجزيرة العربية أو العراق أو الهند أو الأفغان أو الترك إلا عرفهُ وقص لك من أخباره وعدد لك من كتبه».

مكانة الشيخ عبد الحي العلمية وعلاقته بالمخطوطات والكتب والمكتبات:

«وكان يبحث عن المغمورين الذين لا يعرفهم أهل بلدهم فهو يجن إليهم باحثا عنهم فهو مكتبة متنقلة».

وهنا نذكر مكانة الشيخ العلمية في محاضرته التي ألقاها في دمشق عن المكتبات والكتاب والعلم والعلماء ومشكورا الأستاذ بنبين على إخراجه لهذه المحاضرة التي ألقاها الشيخ ارتجالا في مجمع اللغة العربية في دمشق في كتاب هام أصدرته الخزانة الحسنية بالرباط في طبعة منقحة سنة 2005.

ويزيد شاكر قائلا:

«ومن هؤلاء الناشئ والمغمور الذي لا يعرفه أهل بلده على حين أنه منهم بمنزلة البنان من راحته. بل... يسمع اسم الرجل يراه أمامه فيطمئن قليلا ثم يسأله من أي بلدة هو فما يجيبُ حتى يسأله عن علماء هذه البلدة من مات منهم ومن حي وعن كتبهم كيف كان مصيرها، ثم يعدد له بعض ما ألفوا... ويذكر له روايته عنهم إن كان روى عنهم شيئا من حديث رسول الله ﷺ أو غير ذلك».

عن أوصاف ما تميزت به خزانته يؤكد شاكر بقوله:

«فمن أجل هذا الإحساس العلمي المركب فيه أتيح له أن يجمع مكتبة في داره بفاس تعد من أغنى المكاتب الخاصة وأنفسها في العالم العربي كله، فيها من النفائس والنوادر والغرائب ما لا يوجد في غيرها. وهو لا يكاد يسمع بكتاب نادر حتى يسارع إلى استنساخه أو تصويره بالفوتوغراف. وها هو قد نزل مصر فجمع من شوارد المخطوطات ونوادرها أشياء كانت بين سمع دور كتبنا وبصرها ثم غفلت عنها. ويجلس هذا الرجل في نزله فيأتيه الوراقون بالمخطوطات حديثها وعتيقها فيما يفتح أحدها حتى يعرف ما الكتابُ ومن صاحبه ويفرح بالكتاب النادر فرح الذي ضن عليه الزمن طويلا ثم جاد. وبالله أشهد صادقاً لكأني أرى الكتاب بين يديه يكاد يحن إليه حنين القلب الممزق المفطور إلي سبب من أسباب سلوته وراحته، ولكأني أراه يمسك الكتاب براحته كما يمسك أحدنا الشيء فيه من آثار قلبه وحبه وآماله ورغباته ما فيه، ويلقى عليه نظرة عاطفة تكاد تحييه من عطفها وحنانها وحدبها وأشواقها».

«هذا هو الرجل العالم المتيم بالكتب، الذي يطلع جاهداً على آثار الناس وما ينشرون في الكتب والصحف والمجلات ويعى أسماءهم ويسأل عنهم ويرغب في رؤيتهم ويرحل إليهم بادئاً بالزيارة. وفي هذا الرجل رجل آخر قد جعلت من عيني جاسوسا مقتدرا نفاذا يتتبع نظراته وحركاته وما يبدو على وجهه وجبينه من آيات التغير والتبدل حتى عرفته أو كدت».

حدثنا عنه فقالتا: هذا رجل في عظم هامته واتساع جبينه والتماع عينيه دليل على قوة مستحكمة شديدة. وهذه القوة- مع ما فيها من شدة - هادئة وادعة مسالمة، تتريث مفكرة، فلا تظهر ولا تستعلن إلا ساعة الجد حين تعلم أن قد دنا أوانها، وأن موضع الفصل قد استبان، وأنها لن تخطئ. وهو رجل في أسالة خده ورقة نظرته شاهد على طيب الخلق، ودماثة الكنف، وحسن العشرة، وكمال الحنان والعطف، وهو رجل في تفاج ثناياه وانطباق شفتيه وطول صمته - إذا لم يدع إلى كلام - وعمق نظراته في هذا الصمت برهان على الصبر في كل ملمة ومع كل أحد. قالتا: ثم هو رجل حلو النفس صادق مخلص أمين على ما يؤتمن عليه رضي الشمائل في كل حين... أما تراه يبتسم ابتسامة رقيقة لا تكاد تخلص إلا عن قلوب الأطفال المبرئين أو الكرام الصالحين فإذا ضحك اهتز جميعه لأن ضحكته تصدر عن قلبه الطبع الكريم الذي يتحكم في كل عضو من أعضائه.

وعن محنته ومعاناته يقول شاكر: «وهو يعد رجل كتوم يحمل الآلام بين جنبيه وهي تمزق قلبه وتفتك فيه. ينظر النظرة المترامية في مفاوز الماضي البعيد فيرجع بالذكرى الأليمة، وعلى نظراته معنى البكاء الذي لا يجد في الدمع ترجماناً أو معينا». وهذه وحدها نظرة لو ألقيت على جبل أصم لا يألم لوجد لها مسّاً كمسّ الرحمة في القلب الرقيق. ويخيل إليك وهو يغض من طرفه ويرخي جفنيه أن الصبر والجلد والرجولة الصادقة أرادت بذلك أن تخفي عنك نظرات هي أحاديث أيام، أشفق على نفسك أن تسمعها أو تلمَّ بها.

وتراه حين يتكلم حتى في العلم يفيض حناناً ورقة وكرماً ووفاء ثم يشتد بعد تمهل حتى يأخذ عليك نفسك هيبة ووقارا من ورعه وتقاه، ثم تتعرف فيه إذا خالطته ذهناً قد اجتمعت له أسباب الإحاطة بأحوال الناس في كل أمة وجيل ثم يدق يكاد يغمض عليك إذا لم تلق إليه بسمعك وبصرك وقلبك جاهداً متفهماً. وإن تعجب فعجب لهذا الرجل الذي اتسع أفقه حتى ألف ما أناف على مائتي كتاب فيها موضوعات عجيبة لم يسبق إليه بمثل تحقيقه ودقته على الأسلوب الذي يفهمه عن أهله ومن عرف مذاهب القوم في كتبهم ومؤلفاتهم.

كلمة مقتضبة في رجل بحر كريم الأصل والمنصب سليل جدنا رسول الله ﷺ وصفوة من هذه الأمة العربية التي تدفقت في الأرض تدفق السيل من رؤوس الجبال فأنبتت في كل أرض نباتاً حسناً زكا مغرسهُ وطاب ثمره. كلمة نصل بها أرحاما تقطعت أو كادت في زمن توالت علينا أحداثه واستمرت علينا عواديه وتركنا لُطماء[1]. انتهى النص.

لقد نقلنا هذه الترجمة كاملة لأنه من الصعب أن نصل إلى حجم ما وصل إليه شاكر حسب علمنا.

وبعد ما أشرنا إليه لمقاربه وصف لشخصية عبد الحي الكتاني وما يحمله من أحزان وهموم قتل أخيه، واحتلال بلاده وضياع استقلالها لا نعلم بدقة عن أسباب مواقف الشيخ عبد الحي وعدائه للمخزن المغربي علما أن مواقفه قبل الحماية واضحة لا غبار فيها، فقد حارب الفرنسيين وعملائهم بالجسد، والقلم حرب المجاهدين الكبار، إذ كان سنداً مادياً ومعنوياً للمولى عبد الحفيظ في بيعته ملكا شرعيا على المغرب كما سبق ذكره.

بعد أن تتبعنا ما قدمه لنا الشيخ العلامة محمود محمد شاكر من رؤية تاريخية مختلفة على ما هو معروف لدينا عن ترجمة وملامح شخصية ونفسية الشيخ عبد الحي الكتاني وجزء من مسيرته العلمية ومحنته التي بقي أسيرا لها مدى حياته.

يجدر بنا في آخر هامش من «المفاكهة» أن نشير إلى بعض الملامح العلمية للعلامة عبد الحي الكتاني الذي كان زاخرا لنشاط متمكنا من العلوم والمعارف المنتشرة في عصره وهو في عنفوان شبابه، متميز في فن كتابة النشرات في شكل الصحافة الملتزمة الرائدة حملت همّ الوطن والدفاع عن كيانه بأسلوب مستنير بعيد عن السقوط في الحضيض.

(1) انظر الأستاذ محمود محمد شاكر «جمهرة مقالات (الأستاذ محمود محمد شاكر)، عادل سليمان جمال مقالات محمود محمد شاكر الناشر مكتبة الخانجي القاهرة 2003 ج 2 ص 630 وما يليها.

فرسالة «مفاكهة» ذوي النبل والإجادة حضرة مدير جريدة السعادة تعد مدرسة في الإعلام والوطنية الصادقة والنهج الإسلامي المستنير بأخلاقية مهنة صاحبة الجلالة «الصحافة» وصاحبه عبد الحي عالم موسوعي لاشك في ذلك شاهد على عصره دافع عن المولى عبد الحفيظ دينيا وسياسيا وعرض نفسه للخطر بسبب بيعته ويقسم بالله أنه الملك الشرعي وليس أخوه المولى عبد العزيز الذي تفاقمت في عهده الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية إلى أسوأ الأحوال، وأن المولى عبد الحفيظ هو الملك الشرعي المعول عليه لإنقاذ البلاد رغم وصولها إلى مرحلة السقوط ضاربا عرض الحائط نظرية ابن خلدون التي تقول أن الدولة حين تصل إلى مرحلة الشيخوخة تسقط كما انتقدها ابن الأزرق في كتابه: «بدائع السلك في طبائع الملك» بعد كل ما ذكرناه عن دعم وتأييد الشيخ عبد الحي لبيعة المولى عبد الحفيظ وخلع أخيه المولى عبد العزيز يبقى التساؤل قائما لماذا عدم الاهتمام لمعرفة عداء الشيخ عبد الحي الكتاني للمخزن المغربي؟

عن مسألة عداء الشيخ عبد الحي الكتاني للمخزن المغربي

يمكن أن نقول أن طرحنا لهذا السؤال ليس اغتباطيا أو حتى اختياريا بل فرضته المادة التاريخية الغامضة وعداء عبد الحي للمخزن المغربي في آخر زمانه والذي ترك أثرا علميا متنوعا يعد فريداً من نوعه حتى على مستوى المشرق العربي، ويبدو لمقاربة معرفة هذه الشخصية يتطلب قراءة تحليلية نفسية لغوية لمحاولة معرفة مكونات هذه الشخصية وذلك بقراءة مؤلفاته التي ألفها بعد عهد الحماية لأن ما كتبه قبل هذه الفترة يعتبر نوعا من الكتابة الملتزمة دينيا ووطنيا واجتماعيا لمحاربة التدخل الأجنبي بكل أبعاده وخصائصه، وإن هذا الطرح لا يدعي الريادة بقدر ما يدعي نداء إلى مثقفي المغرب والمشرق وذلك لكسر الحواجز الغامضة عن هذه الشخصية الكبيرة، وهدفنا حتما ليس إيراد الطرائق بل التعمد في طلب الحقائق، والصمت هو نوع من التجني على تاريخ المغرب، إذ عدم الاهتمام بأحد كبار علماء زمانه الشيخ عبد الحي هي نظرة ضيقة في الفكر والثقافة وتجنّي ومساهمة في طمسها وضياعها، وهو نوع من الغبن وظلم من ذوي القربى لتراث أسلافنا.

كيف تعاملنا مع إخراج رسالة «المفاكهة»

اعتمدنا في إخراجها مع توثيق النص المطبوع على الحجر نسختين سنة 1908، ومسودة مخطوطة بقلم المؤلف ينقصها بعض الأشعار مشرقية، فيها بعض المصطلحات تتميز عن النسختين المطبوعتين على الحجر، وقد أشرنا إلى بعض المخطوطات التي لها صلة بالموضوع كانت في ملك الشيخ عبد الحي مثل «بدائع السلك في طبائع الملك» لأبي عبد الله بن الأزرق، ومخطوطة الأنوار الجالية لابن الصرفي التي تعتبر لحد الآن من المخطوطات المفقودة كانت في ملكه ووظف إحدى نصوصها في المفاكهة. ولاحظنا على ذلك في الهوامش مع تخريج الآيات والأحاديث والأقوال المأثورة الأمر الذي ضاعف من حجم النص الأصلي بإضاءات بعض الهوامش التاريخية، حاولنا قدر المستطاع شرحها لمقاربة فهم أحسن حسب السياقات التاريخية لها.

ليست هذه الطريقة جديدة في ميدان التحقيق بل بالنسبة لمصادر الأجنبية أُلفت في هذا المضمار مازال معمولا بها منهجيا لدى كثير من المحققين قبل زمن المؤلف أو في عصره، وشهادات هامة لا تخلو من فوائد تاريخية ووثائق ومستندات ألحقناها مع الملحقات في آخر الرسالة نظرا لأهميتها وقلة المصادر في الموضوع.

أما فيما يخص التحقيق فقد واجهتنا أن طبعة «المفاكهة» سنة 1908 بفاس، وردت فيها حروف مطموسة مما يصعب معرفة بعض الكلمات، وقد سلمنا هذه النسخة مصورة مشكوراً الأستاذ حمزة بن علي الكتاني ومسودة المفاكهة بقلم المؤلف.

ورسالة «المفاكهة» تطرح من جديد وقائع معاصرة لم تدرس بعد بما فيه الكفاية. لأن العلامة عبد الحي الشاب كان من الفاعلين الهامين في فترة حكم السلطانين المولى عبد العزيز وخاصة فترة حكم أخيه المولى عبد الحفيظ.

لقد كتب عبد الحي الشاب في جريدة «لسان المغرب» مشروع دستور 1908 إلى المولى عبد الحفيظ، لكن المولى عبد الحفيظ لم يرد الانتقال إلى الشرعية الدستورية خاصة مقال مطول بعنوان: «كتاب مفتوح إلى حضرة السلطان المولى عبد الحفيظ».

وعن رأي العلامة عبد الحي الكتاني الشاب وكيف يتصور مبدأ الشورى الذي يقترب من النظام الديمقراطي الغربي، وكان برأيه يمثل رأي المعارضة الدينية التي كانت تنادي بالإصلاح الشامل للنظام المغربي الذي أصبح عاجزا على مسايرة التطور والتقدم الإنساني، إذ يقول عبد الحي الكتاني: «... أن تتفق في الأمة هو أن تعتقد أولا بقدرتها على إبداء الرأي والقيام بالعمل». ويزيد قائلا: «ولكن هذه الفكرة لا تخامر ذهن عبد العزيز المقتنع بأنه صاحب كل سلطة غير مقيدة ومطلقة على الناس وطبعا هذا الرأي يقدم فكراً جديداً خرج على ما هو تقليدي في ممارسة السلطة في تاريخ المغرب السياسي»[1].

وعبد الحي الشاب في المفاكهة يوجه نقداً لممارسة سلطة مطلقة، وهو يريد أن ينبه المولى عبد الحفيظ للدخول إلى نظام ملكية دستورية التي جعلت الشعب يناضل من أجلها بصدق وإيمان.

عن كيف تفوقت رسالة «المفاكهة» من حيث الموضوع والأسلوب على نشرات 1908م

فالعلامة عبد الحي الشاب اختار عنوانا للرد على وديع كرم بطريقة فيها نوع من المداعبة، يريد أن ينبه حاسة القراء وإيقاظ هممهم أكثر جاذبية للقراءة، بينما نجد غيره من الكتاب الذين كتبوا في نفس الموضوع وفي نفس الزمان 1908، اتصفت كتاباتهم بعناوين في رسائلهم بالشدة والغلظة، كرسالة أحمد بن سودة جاءت بعنوان: «سنان القلم في الرد على وديع كرم» وكذا في مؤلفه الذي جاء بعنوان: «الجيش العرمرم للرد على وديع كرم» ونشرة «تنبيه المستبد» لمحمد بن يحي الصقلي.

ومؤلف العلامة عبد الحي الشاب يتميز بالإيقاع والوضوح وملاءمته مع الموضوع وهو ليس عنوان رمزي سريالي بعيد المرمى، لأن عبد الحي الكتاني عالم موسوعي يشهد له بذلك كبار علماء المغرب والمشرق وكبار علماء الاستشراق.

---

(1) انظر الطيب الأزرق مشروع دستور جماعة «لسان المغرب» دراسة تحليلية نقدية مجلة تاريخ المغرب، العدد الأول، 1981، ص 118.

علال الفاسي ينبهنا عن تفوق المفاكهة على غيرها من الكتابات الإعلامية الصحافية التي ألفت في نفس الموضوع سنة 1908

وينبهنا علال الفاسي عن تفوق «المفاكهة» علميا على نشرتي أحمد بن سودة ونشرة محمد بن يحي الصقلي بقوله: «وإذا أردنا الإنصاف يجب أن نعترف بأن الرسالة الوحيدة من بين هذه الرسائل أو النشرات التي تستحق الدرس والاهتمام هي «مفاكهة ذوي النبل والإجادة في الرد على جريدة السعادة»، التي ألفها السيد عبد الحي بن عبد الكبير لما اشتملت عليه من أفكار حسنة، ويعتبر «تنبيه المستبد» الذي كتبه السيد محمد بن يحي الصقلي مجرد تأييد وتقريض المفاكهة...

أما سنان القلم والغريب أن في صفحاتها الأخيرة قصيدة عصماء في مدح مولاي عبد الحفيظ وتهنئته بالملك يقول علال الفاسي: «عثرت عليها بنصها في ديوان أحمد الكاشف[1]. الشاعر المصري الذي طبع ديوانه قبل النشرة المذكورة»[2].

ويمكن أن نكتفي بتقديم مقتطفات من تنويهين متميزين برسالة المفاكهة الأول للمولى عبد الحفيظ سلطان الجهاد وسلطان العلماء والثاني لعبد الحفيظ الفاسي.

تنويه المولى عبد الحفيظ بالمفاكهة وصاحبها الشيخ الشاب عبد الحي الكتاني الذي أجازه بمدينة مراكش سنة 1903

وهي كانت بسبب البيعة في كثير من القرى والأمصار، تناقلتها الناس، وطبعت بفاس مراراً، وهذا جواب السلطان المذكور عنه بنفسه. لقد لقب المولى عبد الحفيظ الشيخ عبد الحي بالفقيه المحدث الأنور ورسالته بمفاكهة الزمان:

---

(1) أحمد الكاشف بن ذي الفقار بن عمر الكاشف شاعر مصري، من أهل القرشية (من الغربية بمصر) مولده ووفاته فيها قوقازي الأصل، قال خليل مطران: «الكاشف ناصح ملوك، وفارس هيجاء ومفزع أمم، ومرشد حيارى». انظر الأعلام الزركلي، نشر دار العلم الملايين، ج 1 ص 124.

(2) انظر علال الفاسي «الديمقراطية وكفاح الشعب»، أعداد عبد الرحمان الحرشي نشر مؤسسة علال الفاسي ص 146

«محبنا الأرض الفقيه المحدث الأنور السيد عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني سددك الله، إلخ... وبعد فقد بلغ كتابك الجامع المانع، المنبئ عن صدق طويتك، وخلوص نيتك في محبة جنابنا الشريف، والغيرة على حرم ناموس الإسلام، وبذل المجهود في الذي منه بأسنة الأقلام، وحصلت بذلك مزية عظيمة تدخر لك في أصلاب الدفاتر وتبقى عوائد مآثرها متلون الآيات لك بين يدي الأوائل والأواخر. فأصبح لك في مفاكهة الزمان، وأضحى بها أبديته في رقيق القول صنفا ونصحا، وعددنا ذلك من إخلاص خدمتك في حديث الرسول الله ﷺ بحب القلب وشكر اللسان. إذ عن ذلك ينشأ صفاء الباطن، ونزاهة السجية، وتنوير القلب، الذي هو بيت الأسرار، معشش سائر الأنوار المافية للأغيار، والمستلزمة العصمة من هوى الأكدار. نفعك الله بعلمك، وفتح بصيرة قلبك، لدرك حقيقة نتائج فهمك، وقل ما قررته في كتابك البديع علمانه وعرفنا مضمنه، ونحن منه على بال وبصيرة في جناك وجانب أخيك الشيخ الأنزه أسعده الله، وما كان الاعتقاد بشيمتكم الطيبة غير ذلك ولا نحن متشوقون لكشف غطاء عن خفية في شأنكم، ولا قط حال الظن بكم عن مركزه في شيء من الأحوال الخاصة والعامة»[1].

ومن رجال العلم والصحافة القدامى بالمغرب السيد عبد الحفيظ الفاسي يقول في تنويهه بالمفاكهة لعبد الحي: «حمل على مدير جريدة «السعادة» بجيش جرار من الأدلة الصحيحة والحجج القطعية، وبيّن الأسباب الموجبة لمبايعة أمير المؤمنين مولانا عبد الحفيظ والأسباب الموجبة لخلع المولى عبد العزيز» جاءت ضمن تقريظ المفاكهة[2].

بعد نهاية المدخل التاريخي ننتقل إلى تحقيق نص «رسالة المفاكهة».

(1) انظر عبد الحي الكتاني المظاهر السامية، ج 2، ص 32.

(2) انظر التقاريط الواردة في المفاكهة ، وزين العابدين الكتاني «الصحافة المغربية نشأتها وتطورها»، نشر وزارة الأنباء، ص 202.

قبل قراءة نظرة موجزة عن حياة حافظ المغرب الشيخ عبد الحي الكتاني التي كتبناها ننصح القارئ بقراءة ما كتبه العلامة محمود محمد شاكر لفهم أكثر ترجمة شخصية عبد الحي العلمية والنفسية في إطارها التاريخي والأحداث والمحن التي عاشها انظر «مفاكهة» من ص 88 إلى ص 93.

نظرة موجزة عن حياة حافظ المغرب الشيخ عبد الحي الكتاني

- ولد بفاس عام 1302 هـ 1883م
- أخذ العلم عن كبار علماء فاس وعن أبيه العلامة الشيخ عبد الكبير الكتاني وغيرهم.
- عين بظهير ملكي مع كبار علماء القرويين الذين يقرؤون الحديث بالضريح الإدريسي وهو لم يتجاوز العشرين من عمره، رفض التدريس بجامعة القرويين عندما بدّل وغيّر الفرنسيون النظام التعليمي بها.
- شارك في بيعة المولى عبد الحفيظ سلطان الجهاد وخلع أخيه المولى عبد العزيز.
- له مؤلفات عديدة في مختلف العلوم خاصة علوم الحديث والقرآن والتاريخ، وغيرها من العلوم ومن الكتب التي كتبها لمواجهة تيار إسقاط الخلافة الإسلامية في العصر العثماني سنة 1924مثل كتاب علي عبد الرازق «الإسلام وأصول الحكم»، بكتابه المتميز «التراتيب الإدارية» الذي طُبع عدة طبعات وله مؤلفات بلغت حسب ما يذكر حوالي خمسمائة مؤلف من كتب ومقالات في مختلف الصحف والمجلات في المغارب ودول المشرق .
- والشيخ عبد الحي الكتاني يقول عنه المراكشي في إعلامه : «إن الشيخ عبد الحي الكتاني شهرته في الديار المشرقية تفوق شهرته في المغرب».

- بعد أن عاش الشيخ عبد الحي في ظل السلطانين المولى يوسف ومحمد الخامس سطان الجهاد وبطل استقلال المغرب، ونحن نذكر بإيمان وصدق أننا ندين ونشجب ولا نتفق ولا نقبل من وقف وتآمر مع الاستعمار في أوائل غشت 1953م لخلع محمد الخامس ضد الشرعية التاريخية والدينية لأن محمد الخامس ملك الجهاد الحقيقي، وقد اختار المقاومة والنفي خارج وطنه والتضحية بأسرته وعرشه في سبيل وطنه وشعبه ودينه، شعاره التضحية وهي أسمى مبدأ عند جلالته بدل الاستسلام والخضوع للمستعمر البغيض.

- وأول ما قام به محمد الخامس بعد إحراز المغرب على استقلاله أصدر ظهير 7 مارس 1956 وقد جاء ليلغي ظهير 8 يوليوز 1954 الذي كان يسمح بمقتضاه للخلفاء والباشوات في المدن بممارسة القضاء في المجال الجنحي وبعد فصل السلطة القضائية عن السلطة التنفيذية وتأسس المجلس الوطني الاستشاري 1956-1959م، كما نص دستور 1908 في نص عن فصل السلطات: «كف العمال عن الدخول في الخطط الشرعية وترك ما أحدث عن الجمع المستلزم للاستبداد الرؤساء وتنفيذ مراداتهم في القضايا والأغراض» كالقواد والبشاوات والعمال الذين كانوا يستغلون نفوذهم للفساد والإفساد والرشوة والمحسوبية فضلا عن جهلهم بالشريعة والقوانين.

- والشيخ الحافظ عبد الحي الكتاني توفي بفرنسا قرب مدينة نيس عام 1382هـ - 1962م في عصر جلالة الملك الحسن الثاني باني المغرب الحديث

- من مؤلفاته في فترة شبابه كتاب «المفاكهة».

- للتذكير فقد ذهب الشيخ عبد الحي الكتاني مع أتباع الزاوية الكتانية «المشرع الشعير» ومعه الشيخ عبد الكريم مراد واضع دستور الإصلاح السياسي للمولى عبد العزيز والمولى عبد الحفيظ معرضا الشيخ عبد الحي نفسه

للخطر لمساعدة سلطان الجهاد المولى عبد الحفيظ وفتح الطريق له للدخول إلى فاس عاصمة المملكة المغربية.

ليس من الوطنية ولا المنطق التاريخي التجني على تاريخ المغرب من خلال إهمال الكتابة عن آخر حفاظ المغرب وأحد كبار علماء زمانه الشيخ عبد الحي الكتاني والاهتمام بما تركه وهي نظرة ضيقة في الفكر والثقافة وإساءة لتاريخ المغرب العلمي والثقافي.

ومن تقاليد الثقافة الغربية الاهتمام بما تركه علماؤها مثل كبير فلاسفة الغرب الألماني «مارتن هايدجر توفي 1976» وهو واحد من أعظم فلاسفة ألمانيا وربما أهم فيلسوف القرن العشرين وموقفه من النازية وتنظيره لها، لا يمكن أن يُنعت بعدم التروي والمسؤولية وإعفاءه منها مهما كانت الظروف، للتوسع أكثر انظر «يورغن هابرماس»، هايدجر والنازية، ترجمة عز الدين الخطابي، منشورات عالم التربية، 2005.

وقواعد الإسلام في التربية والأخلاق تنص على ذكر محاسن الميت قبل ذكر مساوئه، فأين نحن من هذه الأخلاق السامية الإنسانية !!!

تصدير

لرسالة الشيخ عبد الحي الكتاني :
مفاكهة ذوي النبل والإجادة
حضرة مدير جريدة السعادة

جامع بيضا
أستاذ التاريخ المعاصر
جامعة محمد الخامس-أكدال الرباط

في سنة 1904، بعد أن تخلت بريطانيا عن منافسة فرنسا في المغرب بموجب الاتفاق الودي، أقدمت المفوضية الفرنسية بطنجة على تأسيس جريدة عربية تخدم مصالحها كوسيلة من وسائل ما كان يسمى آنئذ بالتغلغل السلمي. وكان اختيار اسم «السعادة» لهذا المنبر الإعلامي يدخل في إطار التلويح بالفأل الحسن للمغاربة وبعهد الإصلاح لبلادهم تحت نفوذ حكومة باريس.

ولما كان لابد من قلم عربي يعمل على تمرير هذا الخطاب دون إثارة مشاعر الريب لدى القراء المغاربة «فقد لجأت المفوضية بادئ الأمر إلى استقدام فقيه جزائري يدعى إدريس الخبزاوي يقوم بتحبير الورق تحت إملاء الموظفين الفرنسيين. ولما ظهر أن أسلوبه لم يكن ناجعا لافتقاره لتجربة سابقة في الميدان» فقد تم استبداله سنة 1906 بصحفي شامي محترف، وهو الماروني وديع كرم. ومنذ أن وطئت قدما هذا الرجل أرض المغرب خدم بوفاء أولياء نعمته ووظف مؤهلاته الصحفية في التجاسر على كل من كان قلبه ينبض غيرة بالوطنية والاستقلال. وهكذا أصبحت

«السعادة» قناة استعمارية تمرر مختلف المشاريع الهادفة إلى جعل مصير المغرب مرادفا لما آلت إليه كل من تونس والجزائر. وازداد هذا التوجه إصرارا عندما احتد الصراع بين السلطان المولى عبد العزيز وأخيه المولى عبد الحفيظʼ فناصرت «السعادة» الأول بحجج شتى احتلت فيها المرجعية الدينية النصيب الأوفر.

وعندما شعرت صفوة من الوطنيين بخطورة الدور الذي تلعبه جريدة «السعادة»، أصبحوا ينعتونها ب«الشقاوة» وبادروا إلى معاكسة براهينها ومهاجمة مشاريعها ومناوشة مديرها وديع كرم. وفي إطار ردود الفعل هذهʼ قام بعض العلماء الكتانيين بفاس بتحرير كتيبات سجالية، وفي مقدمتها ما يلي:

مقالة من سنان القلم لتنبيه وديع كرم: لمحمد بن العابد بن سودة (طبعة حجرية، فاس، 1908).

تنبيه المستبد من حيث على جهله يعتمد: لمحمد بن يحيى الصقلي (طبعة حجرية، فاس، 1908).

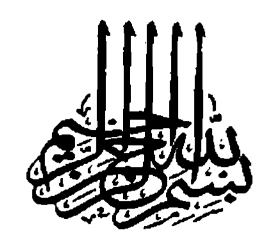
الجيش العرمرم لهزم وديع كرم (مخطوطة لمجهول، 1908)

مفاكهة ذوي النبل والإجادة حضرة مدير جريدة السعادة: لعبد الحي الكتاني (طبعة حجرية، فاس، 1908).

يعلم ذووا الاختصاص في المصادر التاريخية الغميسة أن المطبوعات الحجرية تكاد تكون في حكم المخطوط نظرا لندرتها من جهة، ولصعوبة قراءتها واستغلالها من جهة أخرى. وقد تنبه إلى ذلك الباحث المقتدر السيد محمد العلمي والي، صاحب مكتبة عالم الفكر بالرباط، وأبى إلا أن يشمر عن ساعد الجد لينفض الغبار عن إحدى تلك المصادر التي تتضمن فوائد جمة عن حقبة حرجة من تاريخ المغرب المعاصر. ذلك أن العقد الأول من القرن العشرين، وفترة الصراع العزيزي الحفيظي بالخصوص، شكل منعرجا خطيرا إذ تحددت فيه بصفة جلية عناصر فقدان المغرب لاستقلاله ودخوله مرحلة الهيمنة الاستعمارية. وقد حالف التوفيق

السيد محمد العلمي عندما انتقى «المفاكهة» من بين الكتابات المذكورة أعلاه. فهذا التأليف زاخر بالمعلومات التي تعكس المناخ السائد حينئذ عندما كانت ثلة من الإصلاحيين تحاول الوقوف في وجه الأطماع الاستعمارية ومن والاها. وكان صاحب هذا التأليف، وهو عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني (1883- 1962)، من أولئك الرواد الذين انشغلوا مبكرا بمصير البلاد أمام التهديد الأجنبي. فهو من مشاهير العلماء في عصره، راسخ القدمين في الفقه واللغة والأدب والأنساب والتاريخ... حتى نعت ب «المكتبة المتنقلة». و للوقوف على ذلك، يكفي الانتباه إلى العدد غير اليسير من أمهات الكتب التي أحال عليها في «المفاكهة». كما كان واسع الاطلاع على مجريات الأمور شرقا وغربا بفضل ما كان يستخلصه من المجلات والجرائد العربية والأوروبية التي كان مولعا بقراءتها.

وعلاوة على حسن اختياره للمصدر المزمع تحقيقه ودراسته، فالسيد محمد العلمي مسلح بثقافة فقهية ونحوية متينة من ذلك النوع الذي لم يعد يوفره اليوم نظامنا التعليمي، وهو ما سمح له بسبر أغوار نص معقد تتقاطع فيه الأمثال المأثورة بالأشعار والأحاديث النبوية والآيات القرآنية، الخ. ولا يخفى على الملمين بعملية التحقيق ما يشكله كل كذلك من عراقيل تقع على عاتق المحقق مهمة تجاوزها من أجل إخراج النص من حالة الغموض إلى حالة السلاسة والوضوح. وهو ما تأتى لنا فعلا بفضل عمل مضن قام به الباحث مشكورا ليضع رهن إشارة القراء مصدرا محققا ترقبوه منذ عقود.



حلاوة الصدق وحنظلية الكذب[1]

المقدمة

باسمك اللهم الكريم، الرحمن الرحيم، نتوسل إليك في مغفرة ذنوبنا وسيئات أعمالنا، ونستدرئ بك في نحور أعدائنا. «**من يضلل الله فلا هادي له. ومن يهده فلا مضل له**»[2]. ونصلي ونسلم على صاحب البعثة العامة، والدعوة التامة، المرسل لهداية الضلال، ودفع الخَبَال، وإرشاد الحيارى. وردع من مارى، وعلى آله وأصحابه ليوث الوغى الذين جاهدوا في إعلاء كلمة هذا الدين إلى حد أعجزوا به من تلاهم، واستوهن مطالع أخبارهم من سبقهم. رضي الله عنهم ورضوا عنه، ﴿ أُولَئِكَ حِزْبُ اللهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[3]..

أما بعد؛ فإن الله لما ألهم هذه الرعية الموفقة. ذات السعود المحققة. النظر في أمر مولاي عبد العزيز بن السلطان[4] مولاي الحسن بما ثبت لديهم من اختلال

---

(1) زيادة في الطبعة الحجرية كذا وردت في المخطوط «حلاوة الصدق وحنظلية الكذب».

(2) ورد هذا الحديث في افتتاحية حجة الوداع التي قالها الرسول ﷺ يوم عرفة عام 10 هـ/ 631 م.

(3) سورة المجادلة58/ 22.

(4) السلطان عبد العزيز بن السلطان المولى الحسن، بويع بعد وفاة والده (1311 - 1894) وكان لا يزال صغيرا ودام ملكه 14 سنة 1325هـ/ 1908م. انظر: بن الحاج حمدون السلمي، «الدرر الإبريزية في المناقب العزيزية». يؤكد السلمي في مؤلفه المخطوط (بويع المولى عبد العزيز دون أن يطلبها)، أورده، ذ. البوعصامي عبد العزيز جامعة مولاي علي الشريف أعمال الدورة الثامنة «السلطان المولى عبد العزيز» نشرة وزارة الثقافة يناير 2003، ص57. انظر: الظروف الصعبة التي عاشها المولى عبد العزيز منذ تولية الملك إلى سنة1906م/ 1221هـ كتاب: «تنبيه المعرب عما عليه الآن حال المغرب» للحسن بن الطيب بوعشرين. إعداد وتصحيح ذ. العلامة المؤرخ محمد المنوني. و«اللسان المعرب عن تهافت الأجنبي حول المغرب» (طبعة1971). و«ذخيرة الأواخر والأول فيما يتضمن من أخبار الأول» لمؤلفه أبو حامد العربي

النظام بوجوده ودوام تصرفه الغير المرضي، وتبذيره الأموال في ملاذه وشهواته النفسانية، وتمكينه وزراءه الغاشين من امتصاص أموال الرعية وبنائهم بها القصور المشيدة، وتعمير الخزائن بما يفوق الوصف والحال، بعد أن كانوا كبقية الناس.

مع ما انضم إلى ذلك من تبديله أحكام الشرع، وخيانته لشعبه[1]، ومجاملة من لا يرضاه الله ولا الرسول للوداد، وتهاونه بالدين إلى درجة أن جهز للغازين جيشا لردعهم، والفت في ساعدهم؛ فكسرت تلك الراية المنكوسة - والحمد لله- ونشت ذلك الجمع، فبقي بين أهل الرباط كطرف لحم لا يتحرك، وليست له قوة على الصغيرة من فعال الملوك فضلا عن الكبيرة إلى غير ذلك مما أوجب فرار قلوب الرعية منه فرارا لا يصفه واصف، ولا يقف على حده مستكشف، ولا يرجع به في قلوبهم إلى ما كان إلى أن يلج الجمل في سم الخياط؛ وهولا يلج، وهم لا يرجعون إلى طاعته والدخول تحت ألويته[2].

بن علي المشرفي توجد منه نسخة بخزانة الشيخ عبد الحي الكتاني بفاس نقلت إلى م.و. بالرباطعدد 2659، ترجمة، «دليل مؤرخ المغرب الأقصى»بن سودة،ج.1/ ص150-151. و«الذهب الإبريز في محاسن السلطان مولاي عبد العزيز» لعبد الله بن رشيد العراقي ت 1348هـ 1929م. نفس المصدر، ترجمة 553. وابن زيدان، الدرر الفاخرة بمفاخر الملوك العلويين بفاس الزاهرة، المطعبة الاقتصادية، الرباط، 1937، سماه «السلطان أبو فارس عبد العزيز بن الحسن». أما بالنسبة للكتب الأجنبية نشير إلى بعضها:

- Martin, «Quarte siècles d'histoire Marocaine» Edition la porte . Voir Chapitre 9 , P. 367 et suivants.
- DR Louis Arnaud « Au temps des Mehallas ou le Maroc de 1 860 à 1912 » Edition Casa Blanca;
- Walter, Haris « Morocco That was Londrs » 1921. وترجم إلى اللغة الفرنسية سنة 1929 بعنوان:
- Walter B.HARRIS. « Le Maroc disparu, Anccdotes sur la vie intime de Moulay Hafid, de Moulay Abdelaziz et de Raissouli ».

(1) بالغ الشيخ الكتاني في تجريحه للمولى عبد العزيز بأن وصفه بـ(خيانة شعبه) دون تبرير موضوعي ينسجم مع الواقع والإكراهات التي كان يعيشها المغرب وقتها. ومن الملاحظ أن المولى عبد العزيز كثيرا ما كان يرفض المقترحات التي تقدم إليه والتي تكون ضارة بمصالح المغرب، وفي هذا المضمار رد المولى عبد العزيز على غابريل فير Gabriel Veyere حين طلب منه هذا الأخير (مصوره الخاص) قبول المشروع الفرنسي العسكري والمالي الذي جاء به سان روني طايندي Tayandi إذ قال له فير: « يا مولاي عليك بقبول هذا المشروع الذي سيقدم إليك حتى لا تعرض بلدك ونفسك للموت مؤكدا له أن فرنسا تملك أسلحة حديثة وجنودا من تونس والجزائر وهم على الحدود المغربية . فرد عليه المولى عبد العزيز بتلقائية ووطنية صادقة قائلا له: « إن الجندي المغربي يشهد له التاريخ بالبطولة وتفوقه على غيره في الحروب « Gabriel Veyere, Au Maroc, dans l'intimité du Sultan, 1905»: انظر: . 241-242 ص. «في الصحبة الحميمية للسلطان» (المولى عبد العزيز) .

للإشارة يحكي غابريل فير في كتابه المذكور أعلاه عن المغرب، أسرارا سياسية عسكرية اقتصادية واجتماعية هامة ينفرد بها عن غيره من الكتاب الأجانب.

(2) في الطبعة الحجرية ألويته «المخذولة».

أجمعت الكلمة من الكافة والخاصة من أعيان علماء المغرب الأقصى وساداته ووجهائه وأئمته- سدد الله أقوالهم، وزين بالإخلاص أفعالهم - إلى نقض تلك البيعة التي كانت له معقودة، وبالحرم الإدريسي[1] مشدودة، وبوجوه المسلمين مشودة؛ فكسرت ثنيتها، وأقلعت رباعيتها، وفل ضرسها؛ فزال عن كافة المومنين - والحمد لله - ما كان بصدورهم يختلج، ورفع الله عن قلوبهم الظلم الذي كان بهم ولج، فالحمد لله على رحمته العامة لعبيده، وفضله الشامل لجنوده.

وحيث[2] علم الناس أن مقصود الشارع فيما شرع من المعاملات والمناكحات، والجهاد والحدود، وإظهار شعائر الدين في الأعياد والجمعات والجماعات إنما هي مصالح عائدة إلى الخلق معاشا ومعادا، وذلك لا يتم إلا بإمام يكون من قبل الشارع، يرجعون إليه فيما يعن إليهم؛ فإنهم -مع اختلاف الأهواء وتشتت الآراء وما بينهم

(1) يقع الحرم الإدريسي بمدينة فاس التي بنيت على يد المولى إدريس الثاني سنة 192هـ / 769 م، هذا ما أخبرنا به بعض المؤرخين كصاحب: «روض القرطاس» لابن أبي زرع الفاسي تحقيق عبد الوهاب بن منصور الطبعة الأخيرة سنة 1999م، ص.46 وما يليها، والحسن بن الطيب بوعشرين في كتابه: «التنبيه المعرب عما عليه الآن حال المغرب» السفر الأول تقديم وتصحيح العلامة المنوني/ دارالنشروالمعرفة 1994 م، ص115. لكن أكد بعض المؤرخين الأندلسيين كابن سعيد المغربي وابن سماك العاملي صاحب: «الحلل الموشية في تاريخ الدولة المراكشية»، في كتابه: «الزهرات المنثورة في نكث الأخبار المأثورة» المطبوع بمدريد.وفي «الزهرة»رقم75،ص.116، أن باني مدينة فاس هو إدريس الأول (تاريخ اختطاط فاس القديمة172هـ/ 749م) انظر: «أعمال الأعلام» لسان الدين ابن الخطيب تحقيق أحمد المختار العبادي ومحمد إبراهيم الكتاني/ طبعة دار الكتاب الدارالبيضاء/ ص.198-199، وانظر مفاخر البربر لأبي علي صالح الإيلاني، ط 2 2008، ص 24 هامش * : تثبت أن مؤلف كتاب الحلل الموشية ليس مجهولا، بل هو ابن سماك العاملي الأندلسي تلميذ لسان الدين بن الخطيب.

ولقد اتخذ علماء المغرب الضريح الذي يضم الحرم الإدريسي ومسجده بفاس مكانا مقدسا ومهابا وخَشُوعا ولما تتميز به من فعل مهام قضائية ومجالات روحية وعقائدية وعلى مستوى المبادئ الإنسانية أيضا. تعقد فيه بيعة سلاطين المغرب لأن باني هذه المدينة دعى لها في خطبة الجمعة بالبركة والخير فأمن المغاربة على دعائه، واتخذوه نبراسا في شؤونهم الدينية والدنيوية، وبعض من خطبته إدريس الأكبر في المغرب. انظر: كتاب: «الإمام إدريس مؤسس الدولة المغربية». مطبوعات الجمعية المغربية للتضامن الإسلامي. الرباط ص 11-41. نشرت في كتاب المولى إدريس بن ادريس الأزهر لإبراهيم علي حسن طبعة 2 دار الثقافة سنة 2000 ونقتطف آخر ما جاء في هذه الخطبة:(اللهم إنك تعلم أني ما أردت ببناء هذه المدينة مباهاة ولا مفاخرة ولا سمعة ولا مكابرة، وإنما أردت ببناءها أن تعبد بها ويتلى بها كتابك، وتقام بها حدودك وشرائع دينك وسنة نبيك ﷺ ما أبقيت الدنيا، اللهم وفق سكانها وقطانها للخير وأعنهم عليه، واكفهم مؤونة أعدائهم وأدر عليهم الأرزاق، وأغمد عنهم سيف الفتنة والشقاق والنفاق، إنك على كل شيء قدير). «روض القرطاس». ص.59.

(2) في الطبعة الحجرية «حين» علم الناس

من الشحناء؛ قلما ينقاد بعضهم لبعض، فيفضي ذلك إلى التنازع والتواثب - رأوا بموجب الفراسة الصادقة، والإلهامات الخارقة، أن لا كفؤا لهذه المرتبة السنية، والمكانة السامية؛ إلا مولانا الإمام الذي بهرت سعوده، وشدت له من كل قطر قبل طلبه وفوده، فأثنت عليه الكافة من الناس بأنه ابن بجدتها العريق، وجديلها المحكك الحقيق.

ولا ضير؛ فبينه وبين أخيه المخلوع من الفرق ما بين الجهل والعلم من تباين المراتب، واختلاف الوجوه في توليته المناصب، فأنعم به من رجل بلغت به النجدة إلى أن رام نشل شعبه من وهدة السقوط، ورد مجد سلفه إلى الشبيبة بعد أن هرم[1] ورجع إلى الهبوط، ألا وهو من يتفاءل الناس باسمه في حفظ هذا الدين القويم ورسمه، عالم السلاطين وسلطان العلماء، أبو المعالي السلطان بن السلطان بن السلطان بن السلطان: مولانا عبد الحفيظ الغازي[2]، دام له التوفيق، وسعد كل فريق. فلبت الناس هذه الدعوة المجابة، وأسرعوا إلى تلقي تلك الصيحة المستطابة، فنرجو الله تعالى أن يجعل في ذلك ارتقاء الإسلام، وإحياء دين النبي عليه السلام،

---

(1) استند الشيخ عبد الحي الكتاني على ابن الأزرق في هذا النص في: «بدائع السلك» المتعلق بالعوائق المنذرة بمنع دوام الملك، ج.1/ ص.201 وابن خلدون في مقدمته فيما يتعلق بالشوكة. في أن الدولة لها أعمار طبيعية كالأشخاص، حين تهرم الدولة تسقط. ص 158.

(2) السلطان عبد الحفيظ الغازي بن السلطان المولى الحسن حكم بين 1325-1330/ 1908-1912 بويع بمراكش سنة1907 وفي فاس سنة 1908 وتوفي في 22 محرم 1356هـ/ 1938م ومدة إمارته دامت4 سنوات كان فيها عقد الحماية 1330هـ/ 1912م. ومن المصادر المغربية المخطوطة لترجمته: «**الدرر اللفظية في المملكة الحفيظية**» و«**الإيضاح في مشروعية أيام المولى عبد الحفيظ ورعيته**» لمؤلفه محمد بن إبراهيم السباعي المتوفى 1332هـ/ 1914م مخطوط خ ع ضمن مجموع 9337 و«**نصيحة الإسلام**» للشيخ محمد بن جعفر الكتاني طبع بأمر السلطان مولى عبد الحفيظ 1326هـ/ 1908م بفاس وأعيد طبعه بمطبعة بدر بالرباط 1989/ تحقيق إدريس الكتاني. و«سنان القلم لتنبيه وديع كرم» لمؤلفه محمد العابد بن أحمد بن سودة المري الفاسي المتوفى 1359هـ/ 1940م/ المطبعة الحجرية 1335هـ/ 1908م. و«الجيش العرمرم لهزم وديع كرم» الذي يعد لنفس المؤلف، قد أتبت نسبة ذلك العلامة المؤرخ المنوني انظر: «مظاهر يقظة المغرب الحديث»، تأليف العلامة المؤرخ محمد المنوني، الجزء الثاني، نشر المدارس بالبيضاء. ص.347. وفي كتاب: «العز والصولة في معالم نظام الدولة» لابن زيدان، المطبعة الملكية1381هـ1961/ م، ص8-28 وص 370 وما يليها، ولنفس المؤلف انظر: « إتحاف أعلام الناس البيعة الحفيظية وأسباب خلع المولى عبد العزيز»، ط.1410،2/ 1990الدار البيضاء ج1/ ص.448. والدرر الفاخرة لمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة لنفس المؤلف ص 117 وما يليها.

وهناء القلوب والرعية، وانخذال الأطماع الأشعبية. ﴿رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَداً[1]﴾..

فحين طرق سمع أتباع المولى المخلوع - صاحب الرباط- ما أجمع عليه الخاص والعام، وارتضاه الكل من العوام؛ أصابهم شبه الماليخوليا[2]، وأصدروا منشورات ينكتون بها في عضد الأمة، سعيا في بقاء المفاسد الجمة، ويأبى الله أن يصيبنا شلل أو يعترينا خلل، رد الله كيدهم في نحورهم، وجعل تلك الوريقات خاتمة سوء عملهم.

فأردنا- بحول الله- أن نتنزل إلى الكلام مع أصحابها، ورفع الجلباب عن سفسطاتها، وإزاحة تشغيباتها، وردع كافة المعولين عليها، بلسان الفقه والسياسة، والرشاقة التي اتخذها كل متكلم أساسه، وإلى الله المشتكى من قوم يسمعون فلا يعون، ويعون فلا يفهمون، ويفهمون فيجحدون، أولئك رفاق الشيطان، حزب الضلال، الذين أفسدوا وجه الإنسانية والعلم.. فأقول والله المستعان:

اسباب تأليف رسالة المفاكهة

نشرت جريدة السعادة في عددها الصادر يوم الخميس حادي عشر حجة من

---

(1) سورةالكهف اللآية 10.

(2) عن الماليخوليا: جاءت بعض النصوص الخاصة بالنفس الإنسانية عند ابن سينا (ت.428هـ/ 1036م) في كتبه منها: «الشفاء» و«الإشارات والتنبيهات» و«النجاة»، وهي مختصر لكتاب «الشفاء»، وتقع في 16 فصلا عن النفس.

ويقول أبو بكر الرازي (ت.311هـ/ 923 م) الطبيب والفيلسوف عن الماليخوليا: يغلب عن النفس بغثة الهم والفزع واليأس من الخير حتى أن أحدا ظن أنه صار خروفا أو ظن أنه ديكا أو خاف من وقوع السماء عليه ويميز الرازي بين الماليخوليا والوسواس فيقول أن الماليخوليا ليست بوسواس ولكنها تفزعه وتؤدي به إلى جنون.«المصدر الحاوي الكبير في الطب»/ ط 2، ج1/ ص114/ حيدراباد- الهند. وفي كتاب «تذكرة داوود الأنطكي» (ت.1008هـ/ 1599م) مطبعة عبد السلام محمد بن شقرون / المطبعة العثمانية المصرية 1356هـ ج3/ ص24-149. يقول:الماليخوليا فساد الدماغ والعقل أو تشوش الفكر وبناء الخلق وسدة الظنون وكثرة التخيلات فهي الماليخوليا المطلقة. وفي تعريف للدكتور رشدي فكار الماليخوليا (سوداوية) حالة اكتئاب شديد، يطبعها القلق والأرق. تتميز بآلام معنوية حادة وهبوط في النشاط الحركي والنفسي. «معجم علم الاجتماع وعلم النفس واللأنتروبلوجيا». مجلد1 باريس گوتنبر/ ص141». والشيخ عبد الحي الكتاني يستعمل عبارة الماليخوليا مجازا للدلالة على الحالة المرضية لأتباع المولى عبد العزيز ومؤيديه حين علموا ببيعة المولى عبد الحفيظ السلطان الغازي.

السنة الجارية قلاقل وترهات، وسفسطات باديات، يشتم فيها أهل فاس؛ وسماهم فيها زنادقة، وقال: «إنهم جحدوا النعمة في خلعهم المولى عبد العزيز». وشهد بأنهم: «ثوار طابت لهم الحياة بالفوضى[1]، وتعودوا الارتزاق من أبواب النهب والسلب» والخرافات والخزعبلات، وأنهم: «من المارقين[2] الثوار؛ تجب محاربتهم..».

وعمد إلى أعيانهم؛ فألزق بهم كذبات وعجائب، وولدهم أشياء ما كانت تخطر لهم على بال، ولا قصدوها قط بحال من الأحوال، فتبا لقوم يأخذون بالظنة، ويبنون على الأوهام، ثم يصورون المحال في صورة الواقع المطروق..

ولكن؛ ما خلا عصر عن أنصار الحق، ومشيدي هذا الدين القويم بالصدق، زيدت في عمرهم الأعمار، وبقيت أعمال الأبرار، آمين.

ثم استرسل صاحب الجريدة[3] في توجيه أفعال المولى المخلوع[4]، والرد على الناقدين عليه، وتفنيد ما استندوا إليه على زعمه، وغير ذلك من طغيانه البهتاني، وتزويقه الألفاظ التي قصد بها إرضاء أشياع المولى المذكور، والتحصيل لشيء مما تسلفوه.

فلذلك نراه نافح عن السلف، وحرض المغاربة على تقديم ما يغني عنه عن السلف، حيث يعلم أن له فيه نصيبا، بل نصائب، وهيهات؛ لينظر خطة غير الجاسوسية، وصناعة غير التزوير، ومن ينتصر لهم دون أصحاب الرباط، فقد أفلت شمسهم، وانتقل ظلهم ولات حين مناص ﴿وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ[5]﴾.

---

(1) في الطبعة الحجرية «عمدوا إلى أعيانهم وكبرائهم».

(2) مرق السهم من الرمية خرج من الجانب الآخر، وهو من باب دخل ومنه التسمية، الخوارج مارقة، لقوله (يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية). الصحاح مادة مرق، وجمع الكلمة مُرَّاق. والخوارج في التاريخ: هم الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في صفين بعد قبول التحكيم، وفيهم قال رسول الله ﷺ «إن بعدي من أمتي قوم يقرءون القرآن لا يتجاوز حلاقهم، يخرجون من الدين كما يخرج السهم من الرمية، ثم لا يعودون فيه. هم شر الخلق والخليقة» وقد ظهر صدق الحديث في الخوارج.

(3) في الطبعة الحجرية صاحب «الشقاوة» دون ذكر الجريدة.

(4) في الطبعة الحجرية «المخلوع دون المولى».

(5) سورة الرعد 13/ 42.

وها أنا أتكلم معه في مقاصد كلامه، وأمهات خطابه، باختصار وملاحظة العبارات الجامعة، متنكبا التطويل وما ينحو نحوه، وهذا حين الشروع فيما قصدناه، مؤديا من تبيان الحق ما طوقناه:

شروط الإمامة(1)

اعلم-أولا- أن الأمور التي إذا حصلها الرجل جازت توليته شرعا، وتعينت مبايعته طبعا؛ كثيرة، لكن المتفق على اشتراطها في الملك - كما قال الآمدي، ونقله الأبي(2) في شرح مسلم: ثمانية:

الأول: أن يكون مجتهدا في الأحكام الشرعية؛ ليستقل بالفتوى وإثبات الأحكام.

الثاني: أن يكون بصيرا بأمور الحرب، وتدبير الجيوش، وسد الثغور؛ إذ بذلك يتم حفظ بيضة الإسلام. ولهذا؛ لما انهزم المسلمون كلهم؛ ثبت صلى الله عليه وآله وسلم، وقال مرتجزا(3):

أنا النبي لا كذب   أنا ابن عبد المطلب

الثالث: أن يكون له من قوة النفس ما لا تهوله إقامة الحدود، وضرب الرقاب، وإنصاف المظلوم من الظالم.

---

(1) وهي جملة الشروط التي قال بها العلماء وهي في: «منتهى الإرادات» لابن النجار، ج2/ ص495 و«المنهاج» ص518، و«شرح العقائد النسفية»، ص185 و«الأحكام السلطانية» لأبي يعلى/ ص20 و«غاية المرام» ص383، و«الفَرْق بين الفِرَق» للبغدادي/ ص211، و«المسامرة» ص162-163، و«المغني في أبواب التوحيد» ج20/ ص201، و«الفصل في الملل والأهواء» لابن حزم ج4/ ص110 و«فضائح الباطنية» للغزالي/ ص180-181، و«الاقتصاد في الإعتقاد» و«الأحكام السلطانية» للماوردي/ ص5-6، و«المواقف وشرحه» 8/ 350، و«بدائع السلك في طبائع الملك» لابن الأزرق وللشيخ الكتاني فضل في تلخيص هذه الشروط والاستشهاد بها.

(2) أبو عبد الله محمد بن خلف المعروف بالأبي الوشتاني الفقيه الراوية النظار أخذ عن بن عرفة وبه انتفع، له شرح على صحيح المسلم سماه: «إكمال الإكمال»، «شجرة النور الزكية في طبقة المالكية» ترجمة 874 / ص244.

(3) هذا الرجز قاله الرسول ﷺ في غزوة حنين لما بلغت «بعض الفارين مكة وكل هذا رسول الله واقف مكانه» أخرجه البخاري 2864، 2874، 2930، 4315، انظر الخضري بك نور اليقين دار العربي ص 168.

الرابع: أن يكون عدلا ثقة ورعا، حتى يوثق بما يصدر عنه، ولأنه أحفظ لبيت المال وصرفه في مصارفه.

الخامس: أن يكون بالغا.

السادس: أن يكون ذكرا.

السابع: أن يكون حرا؛ لشغل العبد بحقوق سيده، ولاحتقار الناس له، والأنفة من الدخول تحت حكمه.

الثامن: أن يكون نافذ الحكم مطاعا، قادرا على من خرج عن طاعته.

قال الآمدي[1] : «وأما الشروط المختلف فيها؛ فهي ستة: الأول:القرشية. الثاني:أن يكون هاشميا. الثالث: أن يكون عالما بجميع مسائل الدين.الرابع:أن يكون أفضل الموجودين. الخامس: أن يكون صاحب خوارق؛ عالما بجميع اللغات والحرف. السادس: العصمة؛ وهو أضعفها».

فهذا مجموع ما شرطه الناس قديما وحديثا في الملك المبايع ابتداء، وقد اختلف فيما بعد الثمانية؛ فمن يشترطها- أيضا - ومن لا يشترط إلا الثمانية المسطورة؛ وعليها وقع الاتفاق.

(1) اللآمدي أبو الحسن بن أبي علي انظر كتاب «غاية المرام» / المعارف 1914/ ص383. و«الفرق بين الفرق» للبغدادي/ ص211. و«الأحكام السلطانية» لأبي يعلى/ ص20، و«المغني في أبواب التوحيد» للقاضي عبد الجبار شيخ المعتزلة،ج20/ ص.201، القسم الأول. و«الأحكام السلطانية» للماوردي، ص.5-6. و«الاقتصاد في الاعتقاد» للغزالي / ص137-138، و«التمهيد» لابن عبد البار/ ص.184. وعن انعقاد البيعة وشروطها انظر:«كفاية الطالب الرباني لرسالة بن أبي زيد القيرواني» ج1/ ص.188-189. وهامشها. طبعة مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة طبعة2003.

شرح الشروط وبيان نواقضها[1]

1- الاجتهاد

أما الشرط الأول - وهو الاجتهاد: فنحن لا نشترطه في صاحب الرباط ولا في غيره، ولكن نشترط بدلا عنه مطلق العلم؛ إذ به صلاح الأحوال وقيام الأمور، وسير الزمان، فإن أكثر الناس حاجة للتفقه؛ أكثرهم عيالا وأتباعا، وحشما وأصحابا، والخلق مستمدون من السلطان ماله من الخلائق السنية، والطرائق العلية، مفتقرون إليه في الأحكام، وقطع التشاجر وفصل الخصام..

فهو أحوج[2] خلق الله إلى معرفة العلوم، وشخص بلا علم كبلد بلا أهل، ومن أحوج الناس إلى مجالسة العلماء وصحبة الفقهاء، ودراسة كتب العلم والحكم، ومطالعة دواوين العلماء ومجاميع الفقهاء من السلطان؛ لما أنه قد نصب نفسه إلى ممارسة أخلاق الناس، وفصل خصوماتهم، وتعاطي حكوماتهم، وكل ذلك يحتاج إلى علم بارع، ونظر ثاقب، وبصيرة بالعلم قوية، ودراسة طويلة.

فكيف يكون حاله لو لم يعد لهذه الأمور عدتها، ولم يقدم لها أهبتها مثل المولى المخلوع[3]؟!!؛ فإنه استبدل مجالسة أهل العلم والاقتباس من ضياء مشكاتهم بالأراذل المتجردين عن المعارف واللطائف، وقد قال بعض الحكماء:

«كل عز لا يوطده علم مذلة وكل علم لا يؤكده عقل مضلة».

إذا لم يكن مر السنين مترجما ... عن الفضل في الإنسان سميته طفلا
وما تنفع الأعوام حين تعدها ... ولم تستفد فيهن علما ولا عقلا
أرى الدهر من سوء التصرف مائلا ... إلى كل ذي جهل كأن به جهلا

---

(1) شروط الإمامة وشروط الاختلاف فيها جاءت بتفصيل لدى إمام الحرمين أبي المعالي عبد المالك بن عبد الله الجويني في كتابه «الغياثي غياث الأمي في التياث الظلام» في الباب الأول في معنى الإمامة ووجوب نصب الأئمة ص22 وما يليها تحقيق ودراسة د.عبد العظيم الديب/ مطبعة نهضة مصر. وبن الأزرق في»بدائع السلك وطبائع الملك» وللشيخ الكتاني في رسالته هاته.

(2) استند الشيخ الكتاني على بن الأزرق مع اختلاف في اللفظ. إذ النص عند الكتاني:»أحوج خلق الله إلى العلوم» وعند ابن الأزرق: «السلطان أحوج الخلق إلى العلم». ج1/ ص426.

(3) إبراهيم حركات «المغرب عبر التاريخ» ج3/ ص287.

ونحن إذا نظرنا إلى مرتبة صاحب[1] الرباط من بين الملوك؛ نجده فارغ الجراب من ضروريات العلم وأقرب شيء إلى الفهم، ولا أظن اثنان يختلفان في أن عدم التدرع بالعلم هو الذي أوصله إلى الحالة التي هو عليها الآن، فلو كانت له يد في العلوم الدينية أو التفننات[2] العصرية لفاق من غيه، ونشل من ظلامه، ولكن؛ اللهم عفوا!!!.

فإذا جئنا إلى أخيه مولانا السلطان عبد الحفيظ الغازي[3] – نصره الله ونصر

(1) صاحب الرباط: المراد به السلطان المولى عبد العزيز الذي سماه مؤلف كتاب أربعة قرون من تاريخ المغرب بالفرنسية (المهبول)، (قارن بين استعمال مارتان وبين الشاعر المجهول العامي في استعمال كلمة المهبول) . و يبدو أن مارتان نقلها من شعر الملحون، الذي وردت فيه هذه العبارة في البيت التالي:
ذاك الولد المهبول: أصلو من أناضول (الفرخ يشبه أخواله). أحمد أشربو:« التصوف في أشعار مولاي عبد الرحمان بن أحمد» ندوة الملحون والتصوف ملتقى سجلماسة الثالث لفن الملحون1990 إقليم الرشيدية المطبعة الجديدة وزارة الشؤون الثقافية الرباط / ص18.
ونحن لا نتفق مع هذا الطرح الذي يشوه سمعة ملوك المغرب.
A.G.P. Martin «Quatre Siècles d'Histoire Marocaine au Sahara de 3711504 /413- à 1902- Au Maroc de 1894 à 1912» Chapitre IX Le Sultan Mahboul 18941904- p.367.

(2) نلاحظ هنا أن الشيخ حدد مواصفات وشروط فقهية وأصولية في اختيار السلطان، ويظهر أن هذا الطرح يعاكس الواقع والظروف العصيبة والحرجة التي عاشها المغرب إبان حكم المولى عبد الحفيظ الملك العالم الغازي والذي لقب بالسلطان الغازي لإنقاذ البلاد والعباد، لكنه عجز على تنفيذ أي شرط من الشروط الملتزم بها في البيعة.

(3) عن الخلع والبيعة والشروط التي التزم بها المولى عبد الحفيظ الملقب بالغازي ملك الجهاد منها:
1 – إلغاء الديون
2 – عدم الاعتراف بالتزامات مؤتمر الجزيرة الخضراء
3 – إحداث مجلس الشورى
4 – إخراج الجيوش الأجنبية من المغرب والدفاع عن الوطن
5 – لا يبرم أي معاهدة إلا بموافقة الأمة
وأخيرا قراءة دعوة الجهاد في المساجد، وقد جاء خلع المولى عبد العزيز ضمن البيعة الحافظية عند بن زيدان في أتحافه بعد أخذ فتوى العلماء في المخلوع وتلت بيعة مراكش وبيعة الجديدة وآسفي وأعلن بفاس خلع السلطان المولى عبد العزيز، ج1. ومن الغد بويع المولى عبد الحفيظ وكان ذلك على شروط مندرجة في عقد البيعة، كما أشرنا إلى بعضها أعلاه، وهي من إنشاء محمد الكتاني وكتبها أحمد بن عبد الواحد بن المواز- المصدر: وثيقة هامة ستنشر ضمن الوثائق في آخر الكتاب. وانظر كتاب(العز والصولة في معالم نظم الدولة) لابن زيدان،ج1/ ص.370، وما يليها المطبعة الملكية1381 هـ/ 1961م وعن بيعة مراكش1907، ص390، وبيعة فاس، انظر:
Abdellah Laroui «Les origines sociales et culturelles du nationalisme Marocain (1830-1912)» Centre Culturel Arabe, p. 393.

وجاء لدى الباحث أحمد عبالك في ندوة السلطان مولى عبد الحفيظ في عمله المتميز بعنوان: « قراءة في نص البيعة الحافظية «ما نصه:» إن العلماء الذين بايعوا المولى عبد الحفيظ للجهاد ولقبوه بالملك الغازي

به – وجدنا في لقبه:عالم السلاطين وسلطان العلماء، من بين ملوك الأرض كفاية إيضاح، وغاية شرح ترجمته العلمية.

وناهيك بموضوعاته العدة في كل فن وما حبره تحبيرا، ولقد جالسته – نصر الله جيوشه – بمراكش في رحلتي إليها عام إحدى وعشرين بعد ثلاثمائة وألف، في يوم من أسعد الأيام؛ فوجدته- كما قلت في كتابي الذي ألفته من أجله هناك:» المنهج المنتخب المستحسن»[1] : «ممن تشد إليه الركبان، ويعقد على فضله باليدين، بحر علم وفضل، ذا طريق سهل، عذب المنهل، صافي العارض المنهل...الخ».

فما ذكرنا في ذلك المجلس الزاهر فنا إلا أفاد فيه وأجاد، واستطرد من أنواع العلوم ما يبهر العباد، وما تعمر به البلاد، وما كان الموجب لتنزله- أحاطه الله باسمه السامي- لاستدعائي لشريف أعتابه – إذ ذاك- إلا جنسية العلم، وشغفه بلقى من يقال إنه من خدمته.

وبالجملة فلو لم يكن لأهل فاس ومراكش موجب للخلع إلا التجرد من صفات العلم لكان لهم الحق والصوت الأغلب...

خلعوا المولى عبد العزيز «لم يكونوا قد وضعوا ذلك عن تثبيت أو قصد وإنما كانت غايتهم دفع الضرر الذي أصبح يتهدد البلاد ص51 جامعة مولاي علي الشريف السلطان مولاي عبد الحفيظ، منشورات وزارة الثقافة، 2001، دار المناهل.

(1) «المنهج المنتخب» الذي ألفه الشيخ عبد الحي عن السلطان المولى عبد الحفيظ. – «الدر المنتخب المستحسن» فيما أسندناه لسعادة مولى عبد الحفيظ بن السلطان مولى الحسن (مخطوط يوجد في الخزانة الصبيحية بسلا). وفيه وردت إجازة الشيخ للمولى عبد الحفيظ إجازة علمية بمراكش.

البصيرة بأمور الحرب[1]

وأما الشرط الثاني- وهو أن يكون بصيرا بأمور الحرب، وتدريب الجيوش، وسد الثغور: فإذا نظرنا إلى حالة المولى عبد العزيز[2] من هذه الجهة وجدناه الواحد الذي هدم الأبراج التي شيدها آباؤه وخسروا فيها نفيس ما جبي إليهم بضياعها وإهمالها، وعدم تفقد ما يلزمها من ترميم ونحوه، وهذه المدافع التي في الأساكل قد تلاشى القديم منها والحديث، ومنها ما هو وكر لذوات الجناح في مثل طنجة التي هي أعظم الأساكل في المغرب على الإطلاق.

وناهيك في هذا الباب إهماله ذاك البرج الهائل بالرباط، الـذي يستدل به على عظمة سلطنة بانيه؛ وهو مولانا المقدس سيدنا السلطان الحسن بن محمد[3] - روح الله روحها- فقد أنفق عليه أموالا باهظة وقارب التمام؛ فأوقف بناؤه أيام جلوس

---

(1) عن البصيرة في الحروب وشروطها، انظر بن الأزرق في:» صفة الحروب«. جاءت مفصلة في ج.1، ص.157 ومايليها. وعن أزمة الجيش المغربي وانعدام صلاحيته يقول الحجوي: «لا يأتي بخير فقد هتك الحرم وفتك بالضعفاء وهذا الجيش هو حيوان مفترس..» مصدر، «انتحار المغرب الأقصى بيد ثواره» ص.40. تحقيق الخلوفي محمد الصغير. وعلال الخديمي في كتابه «المغرب في مواجهة التحديات الخارجية»1851 - 1947 وموقف مجلس الأعيان الذي كان يدافع عن مصالح المغاربة في مواجهة مصالح الأجانب لحماية أنفسهم وتجارهم ص.40. والباقر الكتاني في كتابه: «محمد الشهيد» الذي كان يدعو أعيان المغرب إلى إصلاح الجيش المغربي بجلب خبراء عسكريين من البلاد الإسلامية وطلب فرض التجنيد الإجباري بصفته شيخ الطريقة الكتانية وعضو فعال لمجلس أعيان المغرب ص192). هذا وقد كانت ألمانيا تقف ضد مصالح فرنسا رغم علاقات القرب الجغرافي بينهما لإفشال مشروعها الإصلاحي الذي فرضته على المولى عبد العزيز. أنظر:

Ghennan(Y)» Les relations franco allemandes» : Alger 1876 p.234 n°1.

(2) في الطبعة الحجرية يذكر بدل المولى عبد العزيز «المخلوع».

(3) السلطان الحسن الأول بن محمد بن عبد الرحمان بن هشام بن محمد بن عبد الله بن إسماعيل العلوي، بويع سلطانا إثر وفاة والده بمراكش عام 1290هـ/ 1873م، توفي بتادلة، يوم3 ذي الحجة،1311هـ/ 1894م، في ظروف غامضة وحمل في تابوت إلى رباط الفتح حيث دفن في ضريح جده السلطان محمد بن عبد الله. وردت مؤلفات كثيرة عن ترجمة الحسن الأول وأوضاع المغرب في عهده نذكر منها: «فتوحات الوهبية» الحسن بن عبد الرحمان السملالي، ت.1309هـ/ 1891م، وكتاب «الدر المنتخب» لأحمد بن الحاج السلمي في 14 مجلد. 1348هـ. وقد حقق بعض الأجزاء مع دراسة لمخطوط يتعلق بعصر الحسن الأول مؤخرا أحمد أشرخان في كلية الأدب بالرباط. و«المسك الباهي»: عبد الله بن عبد السلام الفهري توفي 1929 م، و«البستان الجامع» لمحمد بن إبراهيم السباعي ت.1332/ -1914 و«الاغتباط في تراجم أعلام الرباط» لبوجندار، طبع 1407/ 1987، ج 2/ ص. 295 - 297 وكذلك في دورية «الوثائق» ج.3 / .ص/ 11 وما يليها.

هذا المولى[1] على عرش السلطنة، وبقي ناظره تجرى عليه المرتبات إلى الآن من يوم مات مولاي الحسن بما يبنى به برجا آخر تقريبا.

أما سد الثغور[2] ؛ فهل تسد الثغور بغير القلاع؟ وقد تهدمت في أيامه فما أصلحها. ولا تعمر القلاع بغير المدافع، فما التفت إلى إصلاحها ولو ببناء رق من قصب يحميها من برد الشتاء وحر المصيف، فضلا عن أن الضرورة الوقتية[3] تلزمه اقتناء المدافع من الطراز الجديد المحدث، ولولا أن أبا حمارة قام لاختلاس الملك من يده؛ لما حصل المغرب لما يوجد به الآن من أقل القليل من المدفع الجديد.

فلو فرضنا أن صاحب الرباط جمع سائر شروط الملك إلا عدم استعداده لعدوه الذي يريد التقام بلاده؛ لكان وحده موجبا لخلعه ونقض عهده. فأي سلطان لم يتحافظ على مواقع حدوده مع جواره إلا هو؟!!!، وهلا بدأ من الإصلاح باتخاذ الحياطات في الحدود، فإنه من أهم المطالب الفرنساوية المتوجهة إليه!.

---

(1) في الطبعة الحجرية «المخلوع».

(2) الثغور ج ثغر: المكان الذي يخاف منه هجوم العدو، وهو مأخوذ من ثغر الجدار يستعمل لحماية المدينة القائمة على شاطئ البحر أو غيرها من المدن. وقد أورد العلامة محمد المنوني في مظاهر «يقظة المغرب الحديث» أن السلطان المولى الحسن أعاد بناء وتأسيس الأسطول المغربي الذي بدده السلطان عبد الرحمان بن هشام وأصبح المغرب بدون أسطول ج 1/ ص 87. وعن وضعية الأسطول المغربي ومحاولة التخلص منه في عصر المولى عبد العزيز انظر كتاب:
Leonhard Krow ; « Neuf années au service du Maroc » ; traduction et notes Maunique Miège et Jean Louis Miège, ed. la porte p. 10.

(3) يستعمل الشيخ الكتاني هنا مصطلحا أصوليا في باب المصالح العامة في السياسة النافعة وهي الضرورة الوقتية لحماية البلاد من الخطر الأجنبي، وكذا استعمل نفس الحكم الفقيه المشاور أبو الوليد بن رشد (الجد) 520هـ حين استوفده من قرطبة الأمير علي بن يوسف بن تاشفين إلى مراكش لعقد البيعة لابنه تاشفين لكن الفقيه قدم شرطا في البيعة للأمير قائلا له: (لا يحل لك سكنى هذه المدينة دون سور والعدو قريب منك) الفتوى أو الحكم اللذان طبقهما كل من الفقيهين هما من مقاصد الشريعة التي وضعها الشرع في كل حكم لرعاية مصالح البلاد وجلب المنفعة ودفع المضرة طبقا لمقتضيات الضرورة. انظر مفاخر البربر لصالح عبد الحليم الإيلاني، الطبعة الثانية، 2008، تحقيق عبد القادر بوباية/ نشر دار أبي رقراق/ ص146. والحلل الموشية، وهذا النص أوردناه في هامش إضافة من الناشر محمد العلمي والي.

قوة النفس[1]

وأما الشرط الثالث- وهو أن يكون له من قوة النفس ما لا تهوله إقامة الحدود، وضرب الرقاب، وإنصاف المظلوم من الظالم: فهذا شيء لم يخطر على قلب أحد من رعيته قيامه به من يوم ولي، حتى كاد العامة يظنون أنه نزل عليه وحي خاص ناسخ لحد السرقة والزنا والشرب والقذف...ونحو ذلك، إذ لم نسمع أن أحدا أقيم عليه حد قط ولو تحقق بها تحقق.

نعم قتل ابن زاكور[2] في ابن عم له لما خشي وقود الفتنة من الفلاليين، وقتل الشريف العلمي المجذوب قاتل النصراني بباب القرويين، مع أن العلمي المذكور غير مقتول شرعا ولا قانونا؛ فإنهما يحكمان بعدم مؤاخذة المعتوه، وقد كان الرجل كذلك..

وقد لطم خد سفيرنا ابريشة[3] بصبانيا من يد نصراني؛ فأقيم له العذر بأنه أحمق؛ فيها لغا لاغ.

فلو أنا اعتذرنا أمام الدولة المتجنس بها ذلك النصراني المقتول بما اعتذرت به إصبانيا لنفعنا وسلمنا من الوحشة التي حصلت بقتل ذلك المعتوه، وقد كانت أول فضيحة نفرت بها قلوب المغاربة، وأول ما اطلع عليه الناس من خبث طواياه؛ فإنه لم يشاور العلماء - على عادة آبائه - مع أن الدين الذي به يتعبد حجر كل أحد إلى العلم والعلماء.

(1) عن العدل وقوة النفس، انظر ما جاء في هذا المعنى عند أبي الربيع في كتابه «سلوك الملك في تدبير الممالك» منها: العدل به تكون العمارة ويدوم الملك. والعقوبة تحرس الرياسة، تحقيق ناجي التكريتي، دار النفائس، بيروت1980/ ص138. وعند بن الأزرق «سياسة السلطان»: لا طاعة له في معصية الله تعالى، ج2/ ص96 وما يليها.

(2) عن قصة ابن زاكور وقتله انظر كتاب : «التنبيه المعرب عما عليه الآن حال المغرب» السفر الأول الحسن بن الطيب اليمني بوعشرين الخزرجي تقديم وتصحيح العلامة المنوني، مطبع الرباط، 1994، ص 93.

(3) وردت قصة السفير المغربي بريشة بتفصيل في «إتحاف أعلام الناس» لابن زيدان، ج1/ ص397. وما يليها، لكن الشيخ الكتاني اعتبر الحكم بقتل المعتوه هي إهانة دبلوماسية للمغرب وتنازل غير قانوني لم تطبق فيه الأعراف الدولية التي تنص على تطبيق سياسة في هذه النازلة بالمثل ولا الحدود الشرعية الإسلامية والحجوي في كتابه «انتحار المغرب الأقصى بيد ثواره» قال : «إن قتل العلمي نوع من التهور من قبل المولى عبد العزيز»، انظر محمد صغير الخلوفي ، «انتحار المغرب الأقصى بيد ثواره»، مطبعة المعارف الجديدة، 1995، ص 163.

وبالجملة، فإذا كان لا يطبق الحدود الشرعية؛ فأي فائدة لنصبه؟!، فإنما ينصب السلطان لأجل ذلك وشبهه.

ومن وصية أردشير[1] لابنه: « إن الملك والدين أخوان، لا غنى لأحدهما عن الآخر، فالدين أسٌّ، والمُلك حارس. وما لم يكن له أسٌّ فهو مهدوم. وما لم يكن له حارس فضائع!. يابني؛ اجعل حديثك مع أهل المراتب، وعطيتك لأهل الجهاد، وبشرك لأهل الدين، وسرك لمن عناه ما عناك، ولتكن من أهل العقل، وكان يقال: الدين والسلطان توأمان».

العدالة والثقة والورع[2].

وأما الشرط الرابع - وهو أن يكون عدلا ثقة ورعا، حتى يوثق بما يصدرعنه، ولأنه أحفظ لبيت المال وصرفه في مصارفه: فلا أدري كيف أصف إخلال صاحب الرباط بهذا الشرط اللازم، فقد تلكأ لساني ووقف قلمي متحيرا من شدة ما أصف..

ولكني أفرغ ذلك في مقابلة كلام الجريدة الفرنساوية؛ فإنها قالت:«أي ظلم تذكرونه لمولاي عبد العزيز[3] ؟، أليس هو الملك الذي سارت في أحاديث حلمه ورأفته الركبان؟، وأي سياسة لم يحسن تدبيرها إلا ثقته بأمته وأهل فاس؟!» .

(1) جاءت هذه الوصية عند ابن عبد ربه في كتاب «العقد الفريد»، ج1/ ص47. وعند الشيخ أحمد بن عبد المنعم الضمنهوري في كتاب «النفع الغزير في إصلاح السلطان والوزير»/ ص42/ ط.1992،الإسكندرية.
وعن الوصايا انظرأبا القاسم محمد بن سماك العاملي صاحب «الحلل الموشية في ذكر تاريخ الدولة المراكشية» وللمزيد من التفصيل عن مؤلف «الحلل الموشية» ابن سماك العاملي والذي كان معروفا لدى صالح بن عبد الحليم الإيلاني علماء المغرب منذ حوالي قرنين انظر«مفاخر البربر» لمؤلفه صالح بن عبد الحليم الإيلاني، تحقيق عبد القادر بوباية نشر دار أبي رقراق، ط 2، 2008 / ص20 / هامش* وهي إضافة من الناشر محمد العلمي والي، الذي أظهر ابن سماك العاملي هو مؤلف الحلل الموشية وليس هو لسان الدين بن الخطيب!، مخطوطه «رونق التحبير في حكم السياسة والتدبير» الذي بدأ في تحقيقه أستاذنا سامي النشار لكن عاجلته الوفاة رحمه الله اعتمادا على نسختين مصورتين من مخطوطتين إحداهما كانت في ملك الشيخ عبد الحي الكتاني بالخزانة العامة رقم1121 ك ضمن مجموع. 2 انظر كتاب بن الأزرق «بدائع السلك في طبائع الملك»، ج1/ ص109. تحقيق سامي النشار وكنت ضمن معاونيه مع الأستاذ عبد المجيد الصغير والأستاذ شعبان أصرف، طبع بالعراق في جزئين سنة1977 وجاءت عند ابن الأزرق وصية الملك أردشيرلإبنه،ج1/ ص108.

(2) عن العدالة والثقة والورع أنظر «مقدمة بن خلدون» في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»،ج2/ ص746. تحقيق عبد الواحد الوافي، طبعة القاهرة مصر.

(3) انظر ص.109، هامش4.

أقول: أما كون الركبان سارت بحلمه ورأفته؛ فيقال ذلك؛ ولكنا لا نراه لا عن حلم شرعي، ولا عن رأفة إنسانية، بل لشغله في لذاته، واستغراقه الأوقات في شهواته كان لا يتفرغ لتأديب من يعصيه، ولا إطاعة من يخرج عليه. وعلى من يظهر حلمه؟، هل على أهل فاس الذين لو بطش بواحد من ذوي الوجوه ممن ينتقد عليه منهم لما وصل ملكه إلى هذا الحين؟!.

ما كان يظهر حلم عبد العزيز إلا لو تمكن من شريكه أبي حمارة؛ لأنه الذي أتى بالذنب عنده الذي لا يغفر حتى كأنه أشرك مع الرب ربا غيره، أما غيره؛ فما أتى ما يستوجب به عليه حلما، ولا ظهر بمظهر يعد الغض عنه رأفة.

وأما أي ظلم نذكره للمولى عبد العزيز؛ فأي ظلم أكثر من ظلمه للإسلام والمسلمين الذين جعلوه واسطة بينهم وبين الله، وقلدوه زمام أنفسهم؛ فباع البلاد، وهان الرقاب، وقتل أعداء الدين الآلاف من بني وطنه؛ فما اتعظ لذلك رأسا ولا دفع في دفعه فلسا.

بل جند جندا يقاتل به بقية أولئك القوم الذين دبوا عن الوطنية والدين، وحاربوا حرب الأبطال، ودافعوا دفاع الدول العظام؛ فأي غش كغشه هذا للإسلام، وأي ظلم كظلمه رعيته بترك العدو يسبي منهم ويقتل كيف شاء؟!

لم يفتح لهم مدارس يتعلمون فيها فيدرؤون في وجه الجهل.

● ولا التفت إلى الأحباس[1] فعمرها وبحث عن الذاهب منها بحق وما لا.

---

(1) يريد الشيخ عبد الحي الكتاني في هذا النص أن يبرهن أن المولى عبد العزيز لا تجوز بيعته، وخلعه تفرضها الضرورة الشرعية لقصوره عن تدبير نفسه، فكيف يمكنه إدارة شؤون الحرب والمالية، لا حضر الدروس العلمية كالمولى عبد الحفيظ الملقب بـ (سلطان العلماء والجهاد) والذي أجازه الشيخ عبد الحي الكتاني إجازة علمية بمدينة مراكش. ومن المعروف تاريخيا أن المولى عبد العزيز كان من مستشاريه الهامين كفقيه وعالم سياسة وشيخ الزاوية الكتانية، محمد الكتاني، انظرص2/ هامش1. وعن الأحباس والوقف ونظامه الذي اكتسب خصائصه من وظيفة اجتماعية متنوعة وهو ما يسمى بـ (الصدقة الجارية) وقد اتسع تطبيقه، اقتضته الشريعة الإسلامية والتقدم الحضاري بعد نشر الإسلام إلى الآن. انظر: «الموسوعة الفقهية» الكويت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية 1986. وللمزيد من المصادر موسوعة في أربع مجلدات للعلامة محمد بن عبد العزيز بن عبد الله : «الماء في الفكر الإسلامي في الأدب العربي» نشر وزارة الأوقاف المغربية 1996. ولنفس المؤلف صدر أخيرا : «الثقافة الإسلامية في رعاية الوقف» في جزئين، طبع بني زناسن سلا/ 2005م، و«نظام الوقف والمجتمع المدني في الوطن العربي» ندوة نظمها مركز دراسات الوحدة العربية بيروت 2003م.

● ولا تنزل لحضور دروس العلماء حتى يحصل لهم نشاط فيجدون.

● ولا أجاز على مؤلف في موضوع جديد قط؛ فمات العلم بذلك.

● ولا ظهر قط بمظهر الفروسية فيقتدي الناس به.

● ولا اختبر أمرا بنفسه.

● ولا طاف على الأزقة والشوارع يتفقد الصالح من محلات المرور وما لا.

● ولا أزال منكرا بنفسه؛ ولكنه لا يعرف معروفا ولا منكرا.

● ولا جلب إلى بلاده صنائع أوروبا وأغناهم عن الجلب منها كما فعل محمد علي باشا[1] رأس العائلة الخذيوية بمصر، أول ما نهض بتخطيط مملكته الجديدة؛ فأثمر غرسها، وطاب، وأكلناه في جملة من دخل مصر.

بل أهمل صاحب الرباط كل شيء، حتى بطلت سائر حرف بلاده وانتقل منها شريف علومهم، وتوقفوا في أصغر شيء على غيرهم، حتى أصبحت دولته بين الدول، وأمته بين الأمم في أحط الدرجات، وفي الحضيض الأوهد من السفليات مع أن إليه جباية الأموال، وتصرف البضائع والنفائس. فما أوصى له بذلك قرآن ولا جاءه عليه نص في سنة الرسول الأعظم، صاحب هذا الشرع الطاهر.

فغاية ما صنع بأموال المغرب أن فرقها بين من كان يجتمع إليه من الرعاع[2] الذين لم يظهروا قط بمظهر الكمال، ولا عدوا في صفوف الرجال فاجتباهم إليه، وسلطهم على شعبه ينهبون ويأكلون، فينهبون ويدخرون.

دون ما خص به نفسه فما عاد نفعه عليه نفعا مؤقتا من جلب المغنيات اللاعبات من الإفرنج وغيرهم، وبناء القصور والدور، والتفنن في الملابس

(1) محمد علي (1769-1849): ولد باليونان، ألباني الأصل مستعرب (احترف تجارة الدخان فأثري، وكان أميا وتعلم القراءة في الخامسة والأربعين من عمره مؤسس السلالة الخديوية بمصر، اشترك في معركة «أبوقير» سنة 1799م. وقضى على المماليك وعين واليا على مصر1805 م، وانتصر على الجيوش البريطانية بقيادة فريزر سنة 1807م، ووجه حملة إلى الجزيرة العربية سنة 1811م. ومحمد علي هو باني مصر الحديثة ومؤسس نهضتها. ت. بالإسكندرية. انظر مؤمن المحمدي «الباشا محمد علي الكبيرباني مصر الحديثة»، نشر كنوز 2011.

(2) الرعاع هم سفلة القوم والرعاعة هو من لا فؤاد له ولا عقل.

والمراكب الإفرنجية وجلب الحيوانات[1]؛ فإرث أبيه لا يصل به الاقتدار على هذا، ولا على أقل منه.. كل هذا وأطماع الدول تهددنا صباحا وعشية..

وقد كان لجلبه مغنيات مصر رنة عظيمة في الشرق، حتى قال أحد نوابغ المصريين إثر سفر جوقة الطرب إلى فاس:

عبد العزيز لقد ذكرتنا أمما ... كانت جوارك في لهو وفي لعب
ذكرتنا يوم ضاعت أرض أندلس ... الحرب بالباب والسلطان في اللعب
فاحذر على التخت أن يسري الخراب له ... فتخت سلطانة أعدى من الجرب[2]

وقال المصري الآخر:

لاموا الفتاة وما سرت بطبولها ... إلا لتوقظ أمة نعسانة
لما رأت سلطانهم في نشوة ... راحت تدير شؤونهم سلطانة

وقال الآخر من ختام قصيدة له:

أجمعوا أمرهم عليك؛ فما با ... لك في سرح الظباء الهيف
عجب الناس والأئمة في الدين ... لفعل الشريف وابن الشريف[3]

فأي ظلم- أيتها السعادة- أكثر من هذا، وأي غش يتصور فوقه؟!!.فما للأمة لا تخلع بيعته، ولا تزيل حرمته؟!. فليس للمرء عدو غير من يورده مورد الضلال، ويوقعه في ظلام الخبال[4]؛ لأن القلوب جبلت على حب من أحسن إليها،

---

(1) جاء وصف دقيق للحياة المترفة التي كان يحياها السلطان مولاي عبد العزيز زمان ملكه، في بلاط اللهو انظر: كابريل فيير Gabriel Veyre. الصحبة الحميمية للسلطان المولى عبد العزيز»، صص 51-52.

(2) انظر ج 2 من ديوان حافظ إبراهيم شاعر النيل ص6/ هامش3 و4 : لقد وصف المولى عبد العزيز أنه كان مشهورا بالإخلاء إلى المجون واللهو فأنكر عليه المسلمون فعله ولهوه المفرط، ونشرت صحف عديدة مشرقية مستهجنة ومستقبحة هذا الصنيع من سلطان مسلم لم يحم مملكته وهذه الأبيات التي انتقد فيها شاعر النيل حافظ ابراهيم السلطان المولى عبد العزيز لم ترد في مخطوط المفاكهة.

(3) الشوقيات المجهولة: جمع د. محمد صبري أشعار شوقي المجهولة التي نشرت في عدد من المجلات والصحف المصرية بلا إمضاء أو بإمضاء مستعار، ج 1/ ص22، دار المسيرة/ مصر1904/ 1932.
ومن الملاحظ أن المولى عبد العزيز كان شغوفا بالتطور والحداثة (إلى درجة المبالغة وصرف الأموال في غير محلها) والمجتمع المغربي حينذاك لم يكن مهيئا لقبول أي تغيير في الأنماط والسلوكات المستحدثة.

(4) الخبل: بسكون الباء الفساد والفتنة.

وبغض من أساء إليها، فما غمطنا[1] له حقا، ولا أنزلناه عن مرتبته صدقا، بل وجد نفسه حيث أنزلها، وبحث عن ظلفه بنفسه، حتى وقع في شر يومه وأمسه، فلتنظر الجريدة مستنصحا غير المغاربة؛ فإنهم قاموا من سنى نوماتهم، واستيقظوا من ظلام جهالتهم[2]...

وأما قولها:»أي سياسة لم يحسن تدبيرها؟!»؛ فلتخبرنا بالسياسة التي أحسن تدبيرها؛ نخبرها بما لم يحسنه، فإنا أعرف به، وذلك أنا ما رأيناه أحسن تدبير شيء أسند إليه في سائر مهمات الملك...

فمن نظر إلى الأموال التي خلفها أبوه المقدس، والعدة والذخائر التي صارت له من أجيال، وجلبت له من وراء أودية وجبال؛ وجده قد ضيعها. ويدلك لذلك: استخدامه في ماليته من كان معروفا بالسرف والفجور؛ ففجر في أموال المغرب، وامتص من ثدي كل ينبوع حتى أفرغه، فملأه في البنوك وولى على داخل وخارج الأساكل من دفع له الآلاف، وأرسل منها أضعافها بقيمة متهاودة.

فيا عباد الله؛ أي دين يسوغ هذا، وأي عقل يستبيح مثله فضلا عن شرائع الجاهلية والإسلام؟!!.

ثم لم يكتف هذا الوزير المالي بما ذكرنا؛ فاستخدم إخوته في أهم مصالح الدولة؛ ففشلت، وفرق باقي المكوس[3] والينابيع على باقي أقاربه؛ فلم نسمع قط

---

(1) غمط يغمط غمطا احتقره وازدرى به وغمط النعمة لم يشكرها. والكلمة في الأصل: غمصنا والصحيح غمطنا.

(2) يؤكد الشيخ هنا أنه لم يصف المولى عبد العزيز في رده على جريدة السعادة إلا بما فيه من تقصير وعدم كفاءته بتسيير مملكته؛ حيث أنزل هو نفسه في شر يومه، لذلك أصبح خلعه شرعيا لا خلاف في ذلك.

(3) عند مبايعة السلطان المولى سليمان كان إلغاء المكوس من بين الشروط التي انعقدت عليها ولايته، وقد سجل الجبرتي المؤرخ المصري المعاصر ما وقع في مبايعة كافة المغاربة على (نصرة الدين وترك البدع والمظالم) المكوس: انظر محمد المنوني «مظاهر يقضة المغرب الحديث»، ج1 / ص 379. وكان من معارضي المكس العالمان محمد بن الحسن الجنوي التطواني ومحمد التاودي بن سودة المري الفاسي، نفس المصدر، انظر: «المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل أفريقيا والأندلس والمغرب» تأليف أبي العباس أحمد بن يحيى الونشريسي ج6 / ص152.
وعن تدبير أموال الدولة والوزراء، يقول محمد بن الحسن الحجوي: «المذكرة الوجدية أو انتحار المغرب بيد ثواره» جلهم خلو من المعلومات التي تؤهلهم لإدارة دفة مملكة واسعة ذات منازع ورؤوس غليظة وقلوب حديدية سريعة التقلب ومتشاكسة.

أن حضرة مولانا المخلوع التفت إلى ذلك ولا فكر فيه قط. فصار لهذا الرجل أشياع كشيعة قاتل الحسين[1] بما يفرقه فيهم من الأموال التي أخذت من ضعاف المسلمين كرها أو طوعا.

وهذا دون ما جلبه على المغرب من الضرر في السكة المضروبة في أيامه؛ فقد أدخل في ذلك من الغش والخديعة للإسلام والوطن ما أستحي من وصفه الآن، ولكن لا نعدم من يفقهه ويفرق بين علو صرف سائر السكك الموجودة في الدنيا على سكك المغرب! فـ ﴿إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّـا إِلَيْهِ رَاجِعونَ﴾[2]..

فهل هذه [هي] السياسة التي تحسنها الجريدة وتسألنا عما أخطأ فيها؟!!. فإن كانت المرادة؛ فقد أظهرنا له مالا يختلف اثنان أنه تمدن أخرق، وتفضل أحمق، ولا أرى لحلم المولى عبد العزيز هذا من أنموذج سوى سكوته عن أمثال هؤلاء، مع أنه حلم لا يقبله الله، لأنه في غير محله. فهذه حرمات الله لا يجب أن تنتهك، وقد كان

لقد استند الشيخ الحافظ الكبير عبد الحي بتصرف علمي دقيق على بن الأزرق في «بدائع السلك» في الباب المتعلق بعوائق الملك المانعة من داومه ما نصه: (إذا كثر الترف اضطر السلطان إلى الزيادة فيه ومقدار الجباية لا يرقى بذلك وإن زاد فيها بإحداث المكوس) ويستمرا بن الأزرق في باب حفظ المال عن آفة المكوس إذ يقول: (لقد كثرت نفقة السلطان في خاصته لانغماسه في نعيم الترف وعوائد الحضارة)... كثرت نفقات أرباب الدولة لأخذهم بها أخذ السلطان في ذلك وسلوكهم على نهج من تقدمهم من المتوفين: ضعف الحامية عن جباية الأموال له من الأعمال القاسية بما أدرك الدولة من الهرم. وقد اعتمد ابن الأزرق على ا بن خلدون في مقدمته في هذا النص. واستند الشيخ كما سبق ذكره على ابن خلدون وابن الأزرق. نفس المرجع، مع إضافة مقاصد الدين الضرورية ص224. وعن الزكاة التي يستخرجها الحاكم ظلما يقول الونشريسي في ج1/ ص387. في فتواه ما نصه : « وسئل السلطان الجائر الظالم يأخذ العشور يأكلها (كذا) ويغرم الناس بلا حق وأودع عند رجل ذلك المال فقبله منه مدارات. فأجاب إن أكره على الإيداع ولم يجد منه بدا ولا امتناعا وأكره على الأخذ منه لم يلزمه غرم. والمقام في بلد لابد فيه من هذا غير طيب والله ولي التوفيق». وعن موقف شيخ الجماعة الذي لم يخش لومة لائم في مسألة المكس أبو إسحاق إبراهيم التادلي الرباطي ت1311هـ/ 1893 م حين زاره في منزله وزير السلطان الحسن الأول وطلب منه تسريح مكوس الأبواب.

وقد امتثل السلطان لهذا المطلب الشرعي وأزال المكس من المملكة. وقد وردت هذه الرواية بتفصيل في كتاب عبد الله الجراري «شخصيات مغربية» أبو إسحاق إبراهيم التادلي الرباطي ص.29 و30 / طبعة دار النجاح. وانظر أيضا كتاب «الاغتباط لتراجم أعلام الرباط» لبوجندار أيضا. وفي هذا المعني جاء عند حكيم المعرة أبو العلاء المعري عن المكس ما نصه: أرى ملوكا لا تحوط رعية فلما تؤخذ جزية ومكوس

(1) الحسين بن علي بن أبي طالب قتل يوم السبت بكربلاء عام61هـ/ 680 م وهي السنة التي ولد فيها عمر بن عبد العزيز. «تاريخ الصحابة» لأبي حاتم البستي، ص66-67.

(2) سورة البقرة 2/ 156.

ﷺ يحلم[1] إلا إذا انتهكت؛ فيغضب حتى لا يقوم لغضبه شيء. وكل عمل ليس عليه عمله، فهو رد.

وأما من نظر إلى خارجيته؛ وجدها إدارة يرأسها أناس مختلفو التجنسات والحمايات، جلسوا على أبواب البحر بطنجة[2]، كل يجر النار إلى قرصه، ويبيع جهة إلى الدولة التي تحميه، ما عرف واحد منهم لغة أجنبية[3] حتى يمكنه أن لا تتمشى عليه حيلة المترجم، ولا عرف حقوق الدول، ولا إحصاآتهم في أي باب، بل لا يعلم شيئا من جنس مأموريته؛ ضرورة أنه أقيم من صف الكتاب وأجلس في صدر وزارة الخارجية.

نعم؛ يعرف شيئا واحدا، وهو: تهيئة الطابلات لجلوس الفرنج عليها إذا زاروه؛ لأن البنطلون يمنعهم من التربع!!!.

---

(1) عن الحلم وغضب النبي ﷺ أورد ابن الأزرق في بدائع سلكه في القاعدة التاسعة أحاديث نبوية منها: (عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه) عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **(ما من جرعة أعظم جزاء عند الله من جرعة غيض كظمها عبد ابتغاء وجه الله)** رواه بن ماجة، ج 1/ ص.455.

(2) الموانئ المغربية للتجارة الخارجية المعروفة كانت ثمانية وهي: تطوان، طنجة، العرائش، الرباط، سلا، الدار البيضاء، الجديدة، آسفي والصويرة. ولقد نتج عن مؤتمر مدريد الذي انعقد عام 1880م/ 1298هـ أن أجاز المغرب للدول الأوربية والولايات المتحدة، حق تملك العقارات والأراضي وحق القضاء والتجارة وفرض تصدير مواد فلاحية للأجنبي، كان المغرب في حاجة ماسة إليها وتطورت الحماية القنصلية بعد مؤتمر الجزيرة الخضراء سنة 1906 إلى منح كامل الامتيازات لهذه الدول الاستعمارية. وتفاحش دور بعض المغاربة على الإحتماء بالأجنبي والخضوع لمحاكمه الخاصة رغم إساءتهم اقتصاديا لوطنهم المغرب، وفساد وجشع وخيانة بطانة السوء المخزنية للوزراء، الأمر الذي أدى في الأخير إلى سقوط المغرب وفرض الحماية عليه سنة 1912. انظر:

- أحمد بن خالد الناصري: **«الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى»**/ ج9/ الدار البيضاء، 1956.
- عبد الوهاب بن منصور، مجموعة الوثائق الرابعة تصدرها المطبعة الملكية، الرباط،1977.

- Jean – Louis MIEGE,» Le Maroc et l'Europe» Tome VI, p.356357-, (Vers la crise), Edition La Porte –Rabat

Kenbib : « Les protégés étrangers au Maroc (XIX siècle).»

* من الملاحظ أن المولى عبد العزيز استرجع ميناء طرفاية من الإنجليز بعد أن دفع أموالا مقابل ذلك. انظر: **«الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية»** لمحمد بن محمد بن مصطفى المشرفي. رسالة مرقونة/ كلية الآداب الرباط لإدريس بوهليلة السنة الجامعية 1992–1993/ ج3/ ص866. وهي مطبوعة الآن بوزارة الأوقاف ولدينا وثيقة تثبت ذلك.

(3) اللغة الأجنبية المراد بها هنا اللغات المعروفة يومئذ، أولغات أخرى والمترجم هو الذي ينقل اللغة الأجنبية إلى العربية أو العكس.

وإذا نظرنا إلى عسكريته، وجدناها محل استدامة الحيرة وفراغ الصبر، لا ميزانية ولا تنظيم، ولا إحصاء ولا تعديل. تنبهوا لتعليمهم الحركات العسكرية، فأتوا بمعلمين لم يعرفوا في تلك الخطة قط، يعلمونهم كلمات وإشارات كل واحد بلغة جنسه، ونحن لا نريد أن نحارب بهم تحت قيادة صاحب تلك اللغة؛ فأي لزوم لعدم تعليمهم أسماء الحركات باللغـة العربية[1]؟!!.

وقد تداخل - أخيرا- الوزير المالي في الحربية حتى كاد أن يديرها، بمعنى أنه كان يولي على دفع المرتبات أقاربه وأقارب أقاربه، فيجعل في القائمة أعدادا مرتفعة حتى يخرج الراتب على قدر ذلك العدد، فإذا جيء وقت التقسيم؛ وجد ربع من عد، ويسميه المغاربة بالمنفوخ*.

وأفظع من ذلك: أنهم كانوا يكثرون من ينضاف إلى العساكر وقت العرض حتى يوجد العد موافقا لما في القائمة، فإذا انفض ذلك الجمع؛ رجع من اكتري لخدمته السابقة. ولم يسم عسكريا بعد قط. كل هذا كان المخلوع[2] يعلمه ويسكت عنه!.

فهلا كان يفرق العلوفات بنفسه، وهلا اشتغل بعرض الجيوش بنفسه كما يفعل الملوك العظام؟!!.

---

(1) فرضت معاهدة الجزيرة الخضراء 1906 على المغرب الاعتماد على ضباط فرنسيين وأسبانيين وتعليمهم للغتهم للمحافظة على أمن الأجانب وأقصيت العناصر الإسلامية التي كانت تدرب الجيش المغربي من ضباط أتراك ومصريين باللغة العربية / الوثائق ج3 / 410-411 و«المغرب عبر التاريخ» ج 3. لحركات ص387 وما يليها. ومن الملاحظ أن الشيخ الكتاني يدافع بدافع الغيرة عن اللغة العربية لغة الإسلام التي كانت تستعمل آنذاك في أبسط الأعمال والحركات فكيف بهم اليوم أن اللغة العربية أصبحت شبه مهجورة الآن في إدارتنا. وإلى متى!.

- Le Maroc face aux convoitises Européen Abdehadi Alaoui 1830-1912.1/ p.49 - La conférence d'Algasiras voir page 100 et 101.

- Dr Louis Arnaud «Au temps des mehallas «p.91, 122, 153, 231, 263, et 297.

* المنفوخ وتعني في التعبير الشعبي دخل فارغا وخرج فارغا. للتلاعب باقتصاد البلاد وإخفاء حقيقة الواردات والصادرات. لإيهام موظفي المخزن أن الأمور تسير وفق تعاليمه وقوانينه.

(2) المراد به السلطان المولى عبد العزيز وذلك بعد اتفاق أهل الرأي والعلماء على خلعه. ومبايعة أخيه السلطان المولى عبد الحفيظ وذلك سنة 1325هـ/ 1908م.

ولكنه لما تنبه جعل المراقب الفرنساوي[1] هو الذي يدفع المرتبات للعساكر؛ فزادت القلاقل، وعمت القلوب بغضه، وكثر تحققها بشيء آخر!.

فهذا من السياسة التي يسأل صاحب السعادة: كم مرة أخطأ فيها؟، وقد أجبناه أنا لا نعلمه أصاب في شيء!. فهذه مهمات الملك وأعظم شاراته؛ وهي: المالية، والعسكرية، والخارجية..

ومن شأن السلطان: أن تكون المخابرات في مهمات مشاكل هذه الإدارات الثلاث بيد وزير هو يبلغها آذان السلطان، وهو يمضي بفكره.

أما هذا المخلوع؛ فما سأل ولا تطلب الوقوف على حقيقة ولا مجاز؛ فباع الوزراء[2] واشتروا مال الله، ولكن جل أمره بينهم، وبين ما أرادوا؛ فأصبح كالمقول فيه:

خليفة في قفص بين وصيف وبُغا
يقول ما قيل له كما يقول البَبغا[3]

---

(1) المراقب الفرنساوي هو المسؤول في حكومة السلطان عبد العزيز على صرف مرتبات العساكر. أنظر: «المغرب عبر التاريخ» ج3/ ص256-287، و«الجيش المغربي في القرن التاسع عشر» لثريا برادة.

(2) بعد وفاة الصدر الأعظم باحماد انتقل المولى عبد العزيز إلى مرحلة ثانية إذ أصبح وزراءه هم:
1- الحاج المختار بن عبد الله بن احماد رئيس الوزراء ووزير الداخلية وهو ابن عم الوزير الأسبق.
2 - المهدي بن العربي المنبهي وزير الحربية والبحرية والمستشار الخاص للسلطان
3 - عبد الكريم بن سليمان الفاسي وزير الخارجية.
4 - الحاج عبد السلام بن محمد «موخ» التازي الرباطي وزير المالية.
5 - محمد المختار بن علي المسيوي وزير الشكايات والعدلية.
انظر: محمد المنوني، «مظاهر يقظة المغرب الحديث»،ج 2/ ص6. ووردت نفس أسماء الوزراء السابق ذكرهم في كتاب: «المغرب عبر التاريخ» ج3/ ص.291 .إلا أن اسم وزير المالية «موخا» جاء بالألف عند حركات.
انظر: «النخبة المغربية الحاكمة والوسط الذي تنتمي إليه» مصطفى الشابي «النخبة المغربية المخزنية» في عملين له جامعيين، الأول في مجلة كلية الآداب 1982، والثاني في كتابه «النخبة المخزنية في مغرب القرن التاسع عشر»1995، كلية الآداب، وهي رسالة جامعية متميزة. والمناصب الوزارية كانت تحتكرها بعض العائلات المعينة وتتوارثها في بعض الأحيان. أنظر: أمينة المسعودي «الوزراء في النظام السياسي المغربي»،2001.

(3) انظر: البيروني في كتابه: «الآثار الباقية»، بالنسبة للملك الذي ليست له سلطة ولا مسؤولية، من آل

رد على مجموع ما ذكرته الصحيفة

ثم قالت الجريدة[1] : «وأي سياسة لم يستحسنها إلا ثقته بأمته وأهل فاس؟».

نقول: عليه[2]؛ الثقة بالأمة فرع عن اعتقاد أنها تقدر على شيء، وما كان يخطر في خاطر المولى المخلوع أن أمته ولا أهل فاس يقدرون على ما فعلوا، فضلا عن أن ينصروا غيره؛ لأنه كان يظن أن الملك وقف عليه لا يتعداه، وله في العباد الحكم الاستبدادي..

ففي أي وقت حصل له شك فينا ثم أردف الشك حسن ظن؟، فإنه جلس على أريكة الملك ولم يكن يعرف ما السلطنة؟، فكأنه خرج من بطن أمه وهو ملك. فكيف يتصور منه ظن غش أو بارقة خلع حتى أتاه الله ما لم يكن يعلم؟!.

ثم قالت الجريدة: «تنكرون السلف[3] الذي شاء أن يجدده لمعاونتكم..الخ».

العباس لكن انتقلت سلطة ملوكهم إلى آل البيت وبقيت أمرا دينيا اعتقاديا لا ملكا دنيويا ص.132 / طبعة ليبسيك سنة 1923، وانظر الأبيات للشاعر الكاتب جُنْبُد وجاءت بصيغة أخرى عند الثعالبي كالآتي:

خلافة جائرة ... فاسدة ما تبتغي
صاحبها محتجب ... يفرق من حر الوغى
مقتسم متعمد ... بين وصف وبغا
يقول ما قالا له ... كما تقول الببغا

(1) جريدة السعادة أنشئت بطنجة سنة 1324هـ/ 1904 م بإيعاز من الفرنسيين لخدمة مصالحهم الاستعمارية وأتوا بالخبزاوي الجزائري في 1906م وبعده العميل الثاني المحرر الصحافي اللبناني وديع كرم الذي رد عليه الشيخ عبد الحي الكتاني في رسالته هذه «المفاكهة» وغيره من الكتاب الملتزمين بقضية المغرب الكبرى انظر: «سنان القلم للرد على وديع كرم» مطبوع حجري 1908 ولنا عودة معه. و«الجيش العرمرم لهزم وديع كرم» لنفس المؤلف، طبع على الحجر بفاس1908. وكتاب: «الصحافة المغربية نشأتها وتطورها(1820-1912)» لزين العابدين الكتاني- رحمه الله- ج.1/ ص189. نشر وزارة الأنباء. ثم انتقلت إلى الرباط وتوقفت عن الصدور يوم الخميس 24 جمادى الأولى عام 1376هـ/ 27 دجنبر1956 من العدد(636-9864) تُراجع أعدادها بالمكتبة الوطنية بالرباط. وانظر مادة: «السعادة ورد في معلمة المغرب». ج15/ ص.-49 82 وما يليها، جامع بيضا. ويؤكد نفس المؤلف أن جريدة السعادة أنشأت سنة 1904 في مقال له جاء في مجلة دار النيابة، العدد 18/ 1988. بعنوان: «قضية الكوازيط (الجرائد) الأجنبية بطنجة خلال الربع الأخير من القرن 19/ ص37.

(2) في الطبعة الحجرية «تعول عليه».

(3) في الطبعة الحجرية «تنكرون عليه السلف».

كلا. والله وتالله؛ ما قصد بالقرض الجديد معاونتنا، وإنما يطلب به دمارنا، فأرني ما أعاننا به من السلف[1] القديم؛ ما صرفه إلا في لذاته ووهين شهواته جاء في تقويم «المؤيد»[2] لسنة 1324 أن أحد صناع الآلات الفوتغرافية قد بعث إلى المخلوع - بناء على وصية منه - بجهاز فوتوغرافي كافة أجزائه المعدنية من الذهب الخالص، حتى مسامير القلاوظ، فمصنوعاته من ذهب عياره ثمانية عشر قيراطا[3]، ولكل الجهاز كيس من الجلد الروسي ويبلغ ثمنه: ثلاثة وخمسون ألف فرنك، يضاف إليها أجرة الإرسال. أما المعمل الذي صنع له الجهاز؛ فمعروف في لوندرة بمعمل «أدامس».

وقد صنع له جهاز آخر باثنين وعشرين ألفا وخمسمائة فرنك، وزنة الذهب الذي دخل في تركيب الجهاز الأول: مائة وخمسون أوقية[4]. أما الجهاز الثاني؛ فكل أجزائه من الفضة.

---

(1) أما عن السلف والتدبير المالي في العهد العزيزي فانظر:
- Gabriel Veyre dans : « l'intimité du Sultan dans la cour des amusements » p.83.
- Miège J.C: - «Le Maroc et l'Europe » Tome 2, 3, 4, 5.
- « L'Europe et le Maroc : La Condition des Européens au Maroc », p.63.
- « Le Maroc de Abdelaziz :Le problème marocain », p1o
- عكاشة برحاب عن الأزمة الإقتصادية بالمغرب الشرقي كتاب:» من قضايا الحدود بين المغرب والجزائر» ص20-122./ دارأبي رقراق 2003.
- ومصطفى بوشعراء في كتابه: «الاستيطان والحماية بالمغرب»ج1 و2.
وعن سياسة القروض الأوربية للمغرب في العهد العزيزي 1894-1907 كانت أهدافها استعمارية إذ دعمت فرنسا الثورات الداخلية (ثورة بوحمارة) مثلا وغيرها، أدت إلى ضعف المغرب اقتصاديا وعسكريا واجتماعيا، وفرض ضرائب أثقلت كاهل الشعب ودخول الحكم في دوامة المزيد من القروض والسلفات مقابل إشراف فرنسا على جهاز الإدارة المغربية كالجمارك والجيش بعد تدمير الاقتصاد الوطني ومقومات السيادة. مما عجل فرض الحماية الفرنسية في العصر الحفيظي في نهاية المطاف سنة 1912.
- وأحمد طالبي عن موضوع سياسة القروض في نظام الغزو الاستعماري الأوربي في عهد السلطان مولاي عبد العزيز، كتاب: «جامعة مولاي علي الشريف- السلطان مولاي عبد العزيز» منشورات وزارة الثقافة- يناير2003. ص.114 وما يليها.

(2) أصدر الشيخ علي يوسف عام 1890م، صحيفة «المؤيد» اليومية. كان لها وزنها من حيث المواضيع التي تطرقت إليها آنذاك. انظر «دائرة المعارف الإسلامية» ع11، «الجريدة والصحافة عند المسلمين» بقلم هارتمان وفيليب حتي، ماسية وبرنارلويس وبِلاَ.

(3) القيراط من الفضة:5 + 0.24غ ومن الذهب:0.2125غ.

(4) الأوقية: تساوي من الفضة 126.8 غ مصابيح السنة.

فإذا صرف في آلة التصوير[1] هذا القدر الباهض؛ فانظر ما يصنع في نظائرها!!!. ففي مثل ما ذكر صرف السلف لا في إعانتنا.

ثم قالت: «تنكرون عليه السلف؛ ولم تنكروا عليه السلف الأول... الخ».

أعرف ما تقول؛ فمن أعلمنا بسلفه الأول حتى ننكره، ومن لك بأنا لم ننكره؟، ولكنا ما أنكرنا عليه السلف إلى درجة خلعناه بها كما فعلنا الآن..

قالت: «من منكم لا يسلف ولا يتسلف بالربا[2]...الخ؟!».

ما درينا الخطاب لمن توجه؟، هل للعلماء خاصة أو للرعاع؟، فإن كان قد توجه للعلماء؛ فقد اتهمتهم بما ليس لك عليه دليل. ومتى كنت فحاما أو حجاما[3] فعاملوك في بيعهم بالربا؟. وإن كان للرعاع؛ فجهلا منهم-على فرض علمك به.

أما السلطان؛ فالشرط أن يكون عالما بباب الربا. فما لنا رأيناه يسلك من بابه[4] ؟!!.

(1) عن آلة التصوير: يحكي كابرييل فير Gabriel Veyre المصور الخاص للمولى عبد العزيز في كتابه: «Dans l'intimité du sultan» أن المولى عبد العزيز كان مهووسا بفن التصوير الفوتوغرافي وقد أراد زيادة على ما يملك من آلات أن يحصل على آلة فريدة مصنوعة من الذهب الخالص. وقد صنعت له آلة مطعمة بالفولاذ المذهب نوع VERASCOPE خصيصا له في باريس بتكلفة حوالي خمسة وعشرين ألف فرنك فرنسي. ص.114و115. ونلاحظ ان الشيخ كانت له دراية دقيقة بما يتعلق بأموال الدولة، التي كانت تهدر في زمانه بينما البلاد في أمس الحاجة إليها لحمايتها من الدمار والسقوط الحتمي، نتيجة اختلال النظام والظروف الصعبة التي عاشها المغرب طوال أواخر القرن 18. وكابرييل فير لم يكتف بدوره كمصور بل كان يهتم بأسرار الملك والقصر ويحكيها، وهنا يمكن أن نلاحظ أن هذا الدور لم يقتصر فقط على التصوير بل تعداه إلى ادوار خطيرة تتجسد في الكشف عن خبايا السياسة المغربية المركزية.
أما عن الأزمة المالية التي عاشها المغرب في عصر الملك انظر: «لسان المعرب عن تهافت الأجنبي حول المغرب» للمؤلف أبي عبد الله السليماني، ص.155 والفصل الأول في ولوع الأوربيين بالتدخل في شؤون المغرب وتفننهم في ذلك وذكر وقائعهم الحربية. وتلخيص واقعة إسلي بحدودها- وواقعة تطوان، انظر:الصفحات 134 و135و138 و141.

(2) عن الربا: انظر كتاب: «نصيحة الملوك» المنسوب للإمام الماوردي في شروط الربا يقول: على السلطان الالتزام بالكتاب والسنة والإجماع ص 200. وفي ص291 يتحدث عن خطر رئاسة العامي وفساد سياسة الربا، تحقيق ودرسة فؤاد عبد المنعم أحمد/ مؤسسة الشباب/ الإسكندرية. وعند أبي أحمد الغزالي في كتابه: «الاقتصاد».

(3) في الطبعة الحجرية «زيادة صحافا».

(4) شروط الإمامة والشروط المختلفة فيها جاءت بتفصيل لدى إمام الحرمين أبي المعالي عبد المالك بن عبد الله الجويني في كتابه: «الغياثي غياث الأمم من التياث الظلام» في الباب الأول، في معنى الإمامة ووجوب

ثم انطلقت الجريدة تتكلم بلسان فقهي؛ فركبت متن عمياء، وخبطت خبط عشواء، وصارت ضحكة للناظرين، وفرجة للمتفرجين..

حكي أن رجلا كان يطلب العلم وأراد أن يسافر من غير تحصيل؛ فأوصاه أستاذه أن كل شيء سئل عنه يقول:فيه خلاف !.فوصل لبلاده، فصار لا يسأل عن شيء إلا قال:فيه خلاف. فقيل له مرة عن الإله- سبحانه- فقال: فيه خلاف!. فقامت عليه القيامة؛ فاعتذر عنه بمذهب الدهريين[1] قبحهم الله. هكذا صاحب الجريدة* أن يكون شرعيا فقيها مالكيا يفتي المغاربة، حتى كأنهم عدموا الفقه وكتبه.

مالك وللشرعيات؟!؛ ارجع إلى معابد آبائك وأديار أسلافك، فإن كنت نسيتها؛ ذكرناك بها، ولا تدخل مداخل الوحل؛ فقد- كفرت لو كنت مسلما بقلبك- آي القرآن، وأنزلت نصوصه المقدسة في غير موضعها، ومرقت من كل الأديان؛ حيث كنت كافرا بتداخلك فيما لا تدريه، للجرائد[2] كتاب ورجال، وللمدارس والدروس رجال ووجوه، فلا تخلط الجد بالهزل، وإلا أصيبت مقاتلك[3]...

ثم انتقلت الجريدة وقالت: «من صفة السلطان:النجدة. فمتى تأخر المولى عبد العزيز عن محاربة الثوار؟...الخ».

نقول: أراد أن يحارب؛ ولكنه خانه تهوره في الأمور وعدم عده لكل شيء ما يصلح له ولا يصلح إلا به، وحيث أعرض عن هذه الضروريات اللازم عدها

نصب الأئمة، تحقيق ودراسة، عبد العظيم الديب/ مطبعة نهضة مصر/ ص.22، وما يليها. وابن الأزرق في: «بدائع السلك في طبائع الملك». انظر ص25/ هامش2.

(1) الدهرية: من فرق أهل الغلو، وأبو حامد الغزالي يعرف الدهرية في كتابه «المنقذ من الضلال» بقوله: «الدهريون هم طائفة من الأقدمين جحدوا الصانع المدبر العالم القادر، وزعموا أن العالم لم يزل موجودا، كذلك بنفسه لا بصانعه.»، ص25. ويقول الجرجاني في كتابه «التعريفات»: «هو الآن الدائم الذي هو امتداد الحضرة الإلهية هو باطن الزمان وبه يتحد الأزل والأبد» وهذا المفهوم نلاحظ أنه يناقض التعريف للمذهب الدهري/ طبعة دار السرور/ ص47/ بيروت لبنان. والشيخ جمال الدين الأفغاني حارب المذهب الطبيعي الدهري.

* في الطبعة الحجرية يذكر وديع كرم.

(2) يشير الشيخ عبد الحي الشاب من جرائد كتاب ورجال بمعنى أن له دراية بعلم الصحافة والإعلام وأن وديع كرم مثله مثل الدهريين الذين لا يفقهون شيئا في الدين ولا أشياء أخرى

(3) في الطبعة الحجرية «قاتلك الله».

للحرب؛ كسرت الرايات، وفلت الشوكة، وضاعت الرجال، وشتت أمواله في لا طائل، وكان الأولى به أن عزل نفسه من قبل. أما وقد فعلت الأمة؛ فالخير أصابت، والتوفيق ألهمت.

إذا لم تستطع شيئا؛ فدعه[1].

وأما قولها: «يدير السياسة بالنجدة، ولم يخالف فيها سنة ولا كتاب.. الخ».

نقول لها: متى عرفت الكتاب، ومتى قرأت سنته؟!.فالحكم على الشيء فرع تصوره[2] ثم قالت بعد حكاية صورة الخلع المزورة الملفقة: «قول أهل فاس: إن المولى عبد العزيز ضعفت قوته. قول مردود عليهم ردا صريحا، ولا بينة لهم عليه، وشاهده على ذلك: تغلبه على صاحب مراكش في حاحة والسرغنة، واسترجاع ثغر الجديدة وآزمور[3]...الخ».

أما أولا: فإن نفيه ضعف صاحب الرباط يعد مخالفا لإثباته بنفسه – قبل ذلك في نفس الصحيفة – مرتين أو أكثر.

قالت مرة: «إن المولى عبد العزيز؛ إما أن يحارب الأجانب؛ فلا إقامة ولا عدة...الخ».

وقالت تحتها في الجهة نفسها: «وإن قوة المولى عبد العزيز أصبحت موقوفة على معونة...إلخ».

---

(1) استشهد به صاحب كتاب المستطرف ص48 وهو كالآتي:

إذا لم تستطع أمرا فدعه وجاوزه إلى ما تستطيع

(2) هي قاعدة أصولية فرع عن تصوره ما عرف الكتاب إلا من عرف أنه معجز، وأنه في أعلى طبقة البلاغة، وأن التحدي وقع به زمن النبوءة، فقامت الحجة ودحضت الباطل والأغلوطات، ومن علم أنه معجز؛ ثبتت عنده نبوة الآتي به؛ لأن دلالة القرآن على صدق صاحبه أمر عقلي لا يتخلف، يشترك فيه اللاحق كالسابق. ولذلك دامت معجزة نبينا ﷺ ولم تدم معجزة سواه؛ لأنها أفاقية وأعظم معجزة نبينا ﷺ عقلية؛ فلذلك دامت.

(3) (ثورة حاحة والسراغنة والجديدة وآزمور) ودرعة التي تضامنت معها مسفيوة انظر:«المغرب عبر التاريخ» لإبراهيم حركات، ج.3 / ص290.
Louis Arnaud : « Au Temps des Mehalla... » p.128-122.

فانظر لهذا التناقض الناشئ عن خبال في العقل، وكم له من مثل هذا في العدد المذكور من جريدته؛ فكم!.

فقد صرح بأن العلماء أكرهوا على الخلع، وقال مرة أخرى:" والظاهر أن للعلماء في الدسيسة[1] يدا...الخ». نقول: بل أياد..

وعلى كل حال؛ فهل عنى المغاربة بضعف قوة صاحب الرباط غير وهنه وضعفه عن القدرة على محاربة الأجانب؛ لانعدام الإقامة والعدة، ودينهم ينطق بـ: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾[2]هكذا لفظ الآية الكريمة[3]؟!!.

أما ثانيا: فقوله: «إن صاحب الرباط تغلب على سلطان مراكش..الخ». كذب وتهويل..إذ لا حقيقة لذلك أصالة، ولا يستحي أن يكذب في أن صاحب الرباط استرجع ثغر آزمور مع كونه إلى الآن تحت طاعة سلطان مراكش وفاس غير راضخ لطاعة صاحب الرباط. يكذب في هذه؛ لأن حاحة والسراغنة أبعد وقعا عنا. فيستر كذبه عنهما مع أنه لم ينتصر عليه في إحداهما فضلا عنهما.

وأما قولها: «فمن الرأي أن نشاور قياد الجيوش كما فعل المصطفى يوم الأحزاب[4]».

---

(1) الدسيسة: ما أكمن من المكر والعدواة والفعل منها دس يدس دسا و ديَّسَى عليه وأعمل المكر فيه وشد الفعل للمبالغة، ويقال دسَّى كما يقال تظنى في تظنن، وتدسس به إلى أعدائه دس عليه. لسان العرب لابن منظور المادة (دس).

(2) سورة الأنفال 8/ 60.

(3) في الطبعة الحجرية كما كفر به العدو الدرزي قاتله الله.

(4) غزوة الأحزاب. وتسمى كذلك غزوة الخندق وقعت عام:5 هـ/ 626 م، عن مشاورة النبي ﷺ لأصحابه في غزوة الأحزاب. انظر: «الإكتفاء في مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء» لأبي الربيع سليمان بن موسى الكلاعي الأندلسي/ تحقيق مصطفى عبد الواحد/ نشر مكتبة الخانجي/ القاهرة 1389هـ/ 1970م/ ج.2/ ص.158-159، وللتنبيه لدينا مخطوط من «الإكتفاء» وهو الجزء الثالث الذي لم ينشر بعد حسب علمنا، يبتدئ من حيث ينتهي الجزء الثاني المطبوع بذكر وفود على رسول الله ﷺ. والمخطوط من الحجم الكبير مكتوب بالخط الأندلسي المغربي مزخرف جميل، عدد صفحاته 498 صفحة وينتهي باغتيال الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه والمخطوط يبقى رهن إشارة البحث العلمي لتعميم الفائدة. انظر: «مفاخر البربر» لمؤلفه صالح عبد الحليم الإيلاني تحقيق عبد القادر بوباية/ نشر دار أبي رقراق/ ط 2/ 2008/ ص.161هامش* وهي إضافة للناشر محمد العلمي والي/ مكتبة عالم الفكر/ الرباط/ المغرب.

فإليك عني من الفتوحات الأشعبية؛ الخلع المذكور لا يحتاج لمشاورة قياد جيوش[1]. إن كان النبي ﷺ استشار قياد جيوشه؛ فقد كان فيهم مثل علي بن أبي طالب وخالد بن الوليد.. وغيرهم ممن أتعبوا من بعدهم، وأوهنوا من سبقهم. أما قواد صاحب الرباط؛ فليسوا هناك من كل وجه.

على أن النبي ﷺ استشار قياد جيوشه وهو الإمام الأعظم، في مسألة جزئية، أما هذه المسائل العمومية؛ فالصواب أن يسأل عنها أهل العلم الذين هم الأطباء.. وقد فعلنا، وحكموا بنصوص الشرع الطاهر؛ فأقضينا.

وكم ترك المولى عبد العزيز في البلدة التي كانت عاصمة ملكه من قواد وعمال.. أرسل بعد وصوله إلى الرباط يأمر بالخيل أن توقت طوافها بفاس يوميا للحراسة والمؤونة من الأحباس أو تفرض على الحارات..

أي ضعف مثل هذا، وأي أمة لا تخلع مثله لو كان سلطانا عليها؟!!.حتى النمل خافت من أن يحطمها سليمان[2]وجنوده؛ فآوت إلى مغارة تأويها.

ونحن حطمنا بجيش الفرنساويين[3] ولم نأو. فلما أزلنا شبكتهم التي كانوا بها يصيدوننا عن أعناقنا؛ أقامت الجريدة هذا الهرج!.

وأما قولها: «وهل الذي نصرتموه أفضل ممن خلعتموه؟!.. الخ»[4].

---

(1) عن الأسطول المغربي وسد الثغور، انظر كتاب:Leonard Karow « Neuf années au Service du Maroc». هامش2/ ص.27.

(2) الإشارة إلى قصة سليمان عليه السلام مع النمل في سورة النمل 27/ 18.) حتى إذا أتوا على واد النمل، قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون(.

(3) حطمنا بجيش الفرنساوين: يؤكد الشيخ هنا أن الدولة كانت على أهبة السقوط وأن بيعة المولى عبد الحفيظ سلطان الجهاد لاسترجاع الدولة إلى شبابها كما أكد ذلك بن خلدون السابق الذكر. وقد تحدثت عن هذه الفترة كتب كثيرة.

(4) لقد أعطيت أوامر للجنرال D. Amade السماح لمحلات عبد الحفيظ عبور الشاوية بينما منعت محلات السلطان المولى عبد العزيز صديق فرنسا من العبور. وفي هذا السياق التاريخي ورد في «كباء العنبر» للمنصوري قصة طويلة مضمونها أن الشيخ عبد الحي الكتاني ذهب مع أتباع الزاوية الكتانية -معرضا نفسه للخطر - لمساعدة السلطان الجديد المولى عبد الحفيظ، وفتح الطريق له للدخول لمدينة فاس، عاصمة المملكة المغربية. انظر رسالة جامعية: «كباء العنبر من عظماء زيان وأطلس البربر»/ تحقيق ودراسة محمد بلحسن/ منشورات المندوبية السامية لقدماء المقاومين/ ص.171-172-204.
Weisgerber (Frédéric):«Au Seuil du Maroc moderne» collection Notes et documents IHEM 11 Vol p.186-187 Rabat 1947.

إن كانت الفضيلة بالنسبة لما عند الله؛ فلا اطلاع لك عليه ولا لنا. وإن كان باعتبار ما فقهتنا فيه شريعة دينه؛ فإن سلطان مراكش وفاس قام لنشل شعبه من السقوط، واسترجاع شباب دولة آبائه بعد أن هرمت.

أما صاحب الرباط؛ فدمر البلاد والعباد بسياسته الخرقاء تدميرا. فانظر أيهما أفضل بعد هذا!!!.

وباعتبار آخر: لا فضيلة إلا بالعلم. وعبد العزيز جاهل[1]، وسلطاننا عالم، بل من أعلم العلماء. قال الله العظيم: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[2].

وأما قولها: «وهل يجوز لكم أن تعدوا مولاي عبد الحفيظ بالأمس ثائرا تجب محاربته وتبايعوه الآن؟!».

فجوابه: إن فتوى[3] العلماء الصادرة عنهم سابقا في مولانا السلطان أكرهوا عليها- في الحقيقة- إكراها يتحققه كل الناس. خصوصا وقد كان اجتماع العلماء في كيفية دبرت بليل، وأغلقت عليهم الأبواب بدار المخزن، ولما أشار بعض الحاضرين

(1) قال الماوردي في كتابه: «نصيحة الملوك» أيضا: «ولا أجفى مقدرة من العامي إذا نال الرئاسة أوولي ولاية» ص291

(2) سورة الزمر 39/ 9.

(3) عن فتوى العلماء انظر:» نصيحة أهل الإسلام» لأبي الفيض جعفر الكتاني، تحقيق الدكتور ادريس الكتاني ط 1409/ 1989/ الرباط / ص173. ويذكر الشيخ عبد الحي الكتاني في فتواه التي جاءت في البيعة وخلع السلطان. وذلك حين بلغ المولى عبد العزيز خبر خلعه من طرف علماء مراكش يقول الشيخ عبد الحي: «جمع المولى عبد العزيز العلماء بالقصر السلطاني بفاس. وكانوا إذ ذاك في كثرة جمعهم: القاضي سيدي محمد العراقي، وبن العروسي، وسيدي احمدة بناني والسيد أحمد بن الخياط وأمثالهم من الموجودين كالسيد التهامي والسيد كنون والسيد المهدي الوزاني. فأفتوا بأن المولى عبد الحفيظ باغية ثائر يجب محاربته...» انظر وثيقة البيعة والخلع المكتبة الوطنية كناش رقم ك 2822 نشرت هاته الوثيقة في مجلة: «وجهة نظر» / عدد مزدوج 8/ 9/ 2000. وهناك رواية أخرى أن المولى عبد العزيز جمع علماء فاس في القصر واستفتاه فيما أقدم عليه أخوه المولى عبد الحفيظ فأجابوه بعد مرور أسبوعين 19 رجب 1325 هـ 28 غشت 1907 م فكانت فتواه عدم خلع السلطان المولى عبد العزيز مثبتين أن الاحتلال الفرنسي لوجدة والبيضاء لم يكن المسؤولية ضعف السلطان المولى عبد العزيز، بل هو من نتائج ضعف المغرب مقابل قوة فرنسا العسكرية، والحجوي يصف الجيش المغربي آنذاك بقوله: «لا توجد مدرسة حربية ولا فرقة متخرجة من مدارس مهمة بإجازات كافية، ولا مدفعية كذلك ولو جلية فضلا عن مدفعية ثقيلة»، انظر انتحار المغرب الأقصى بيد ثواره ، ص 18-19، انظر مظاهر يقظة المغرب، الجزء الثاني.

من أهل العلم بتأخير الكتابة إلى أن يراجعوا نصوص الشرع؛ قاموا في وجهه، ونكص في عقبه، وعوقب على ذلك بشبه نفي.

على أنا نقول: وقد يعتذر عن الفتوى السابقة - أيضا - بأنهم- أي: الذين أفتوا- لم تكن متضحة لهم إذ ذاك حقيقة الأمور كما هي عليه، ولا كانوا يعلمون إذ ذاك أن احتلال مثل الدار البيضاء يعد فجا؛ وهو عذر وجيه لمن عقل.

فإن أكثر علماء فاس لا يخالطون الأخبار، ولا يشتغلون بما هو زائد على مطالعة دروسهم[1]؛ فانبهمت عليهم الأمور. وقد عرفوا الآن الحق؛ فرجعوا إليه، وهذا المجمع هو الذي زعمت الجريدة أنه جددت فيه البيعة لصاحب الرباط، مع أنه لم يجر لها ذكر في ذلك المجلس قط.

وهب أنها كانت؛ فهي بناء على التزامه في نص السؤال الذي كتب عليه استرجاع وجدة والدار البيضاء[2]. فلما لم يفعل؛ علم الناس أنها مواعد

(1) نلاحظ أن الشيخ يصف علماء فاس بأنهم لا يهتمون إلا بدروسهم وبما يجري في شأنها، بينما نجد الشيخ له اطلاع واسع بما يجري في العالم، مواظب على قراءة الصحف، ويعرف أدق القضايا السياسية والتاريخية وغيرها.

(2) لما انتهك الجيش الفرنسي حرمة السيادة المغربية وضربه بالمدافع وجدة والدارالبيضاء والشاوية وبعض المناطق الأخرى من التراب المغربي، وجه الشيخ محمد الكتاني رسائل يستنهض فيها همم المغاربة لمحاربة المستعمر الفرنسي والجهاد في سبيل الله، انظر محمد الباقر الكتاني في كتابه عن ترجمة الشيخ المسماة بـ (أشرف الأماني في ترجمة الشيخ الكتاني) والرسالة اشتملت على أربع صفحات ص189 وما يليها. ومن الذين حثوا على الجهاد في سبيل تحرير الوطن (وجدة الدار البيضاء والشاوية وغيرها) كالشاعر الشعبي هاشم السعداني وشاعر الملحون الهادي بناني في قصيدته الدرر البهية في مدح رجال الشاوية والدار البيضاء وسطات سنة1907 فحربتها: «يا أهل الشاوية صولوا بعز وإصرار بالجهاد فَلْتَجْحد خنازر النصارى «أحمد أشارو. جوانب من وطنية الشاعر الشعبي في عهد السلطان مولاي عبد العزيز ص305 جامعة مولاي علي الشريف (مولاي عبد العزيز) طبعة وزارة الثقافة 2003. ومن بعض الجفريات لم يعرف صاحبها بلغت فيها انتقادات جارحة كالبيت الآتي:
«ذاك الولد المهبول أهله من أناضول» ص317 نفس المصدر. وعن الجهاد: فلمحمد المشرفي المتوفى 1916 منظومة سماها: «إيقاظ أهل الغفلة والمنام والنيابة عمن استيقظ ولم يقدر على الكلام» طبع على الحجر 1326هـ/ 1908م ومحمد بن جعفر بن إدريس الكتاني الحسني الفاسي. 1905 له تأليف «الدواهي المدهية للفرق المحمية» بناه على 15 آيات ناطقة بتحريم موالاة الكفار وشرح الآيات الخمسة عشر بتوسع مفاسد موالاة الكفار. والكتاب بلغت صفحاته 119 مخطوط في حجم المتوسط «مظاهر يقظة المغرب» ج1/ ص328.
وقد اعتبر الحزب الشيوعي الفرنسي أن قنبلة الدار البيضاء عملية وحشية ومجزرة إرهابية. ورد هذا الاستنكار لضرب أبرياء في مدينة مكشوفة.

عرقوب[1]، وبرق خلب؛ فلم تقم له قائمة بعد..

وأما قولها: «وهل قوة عبد الحفيظ[2] أقوى من قوة عبد العزيز؟..الخ».

فأي قوة لعبد العزيز[3] تذكر في جنب القوات؟!.

فلا تتجاوز سلطنته الرباط، وفي سلا خلاف. وأما سلطاننا؛ فالمغرب كله طوع يمينه بأمواله ورجاله وقوته.. أتم الله عليه نعمه ظاهرة وباطنة.

وأما قولها: «أي مقدرة تبنون عليها حجتكم انتصاره في الجديدة وفي آزمور... الخ». بهتان بين.

أما استرجاع الجديدة؛ فالفضل فيها عليه للبواخر الفرنساوية، وأما آزمور؛ فإلى الآن تحت بيعة سلطاننا.

وأما جيش صاحب الرباط؛ فلم يعهد منه إلا الانخناس كالفأر أمام الهر في كل مشهد حربي. وأي راية له نصرت حين كان بصدد قتال أبي حمارة[4] الذي

(OVED) : La gauche Française et le Nationalisme Marocain 1905-1955 p.44-45 Edit Paris 1988.
وأن الشيخ الكتاني عبد الحي نبه وشجب خروج فرنسا على الأعراف الدولية في الحروب منددا بأفعالها الشنيعة بضربها الدار البيضاء المكشوفة وبعض المدن الأخرى.

(1) جمع عرقوب وهي الطرق الضيقة في متون الجبال وتأتي بمعنى صعاب الأمور وعظامها. يقال «سلك العراقيب لِخَصْمِهِ»: اخذ في طريق تخفى عليه.

(2) سبق ذكره في ص21 هامش 2.

(3) سبق ذكره في ص19 هامش 3.

(4) اضطربت الحياة السياسية والاجتماعية في عهد (المولى عبد العزيز) واحتلت أجزاء من المغرب مثل وجدة والدر البيضاء والشاوية، انظر عبد الرحمان ابن زيدان «إتحاف أعلام الناس» / ج1/ ص374/ 1410-1990/ ط2/ الدارالبيضاء. و«من مذكرات التراث المغربي»/ ط.1985/ ج.5/ ص74-84. ومعلوم أن فرنسا وإسبانيا مدتا للفتان (أبو حمارة) مساعدات مالية وعسكرية للهجوم على فاس وكان ذلك سنة1906، لإضعاف سلطة المخزن المركزية وليسهل على القوة الفرنسية الاستعمارية احتلال مدينة وجدة وغيرها. «المغرب عبر التاريخ» / ج3/ ص.332-333. وعن القتال والجهاد انظر محمد بن مصطفى المشرفي (ت1334هـ/ 1916م) «الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية وعدّ بعض مفاخرها الغير المتناهية» وهي رسالة جامعية مرقونة / دراسة وتحقيق بوهليلة إدريس/ كلية الآداب الرباط 1993/ ج3/ ص877، والقصيدة من الرجز مطلعها:

دع عنك داعي السرور والمزاج   واسلك سبيل من بكى الدين وناح

وفي نفس الجزء وردت نصيحة للمشرفي تبرر الاستسلام والتخلي عن قصور توات التي استولى عليها الجيش الفرنسي، واصفا الدولة الفرنسية حيث قال عنها: «بغير التباس أنها مشهورة بالرحمة والشفقة واحترام الشرائع والأديان... ويؤكد أن قرى توات وما يضاف إليها من البقاع داخل في قسم الصحراء

لا تذكر قوته مع قوة مولانا عبد لحفيظ، وليس هو في جنبه شيئا مذكورا؟!!.مع

الجزائرية» / ص.875-876.
و«رياض الجنة» عبد الحفيظ الفاسي/ المطبعة الفاسية وكذلك في كتاب «المغرب عبر التاريخ» لإبراهيم حركات/ ج 3/ ص287. وانظر أيضا:
-Laroui) Les Origines) «Le mouvement Maghrébin », page 371.
وانظر: «تذكرة نافعة ونصيحة جامعة» وهي مشمولة بإمضاء 22 فقيها من علماء فاس وغيرها يطالبون باتخاذ تدابير صارمة ضد الفتان بوحمارة نذكر بعض الأسماء منهم: عبد الله بن خضراء قاضي فاس، وحميد بن محمد البناني قاضي فاس، وجعفر بن إدريس الكتاني، وعبد الكبير الكتاني، ومحمد بن عبد الكبير الكتاني، وأحمد بن الطالب بن سودة، وغيرهم، وتليها رسالة في موضوع ما تقدم سنة1321هـ 1903م.

وعن ثورة الجلالي بن ادريس المعروف بـ «بوحمارة» في بلاد أنكاد وجبال البرانس انظر: أبا عبد الله السليماني «لسان المعرب في تهافت الأجنبي حول المغرب» ص 144 وعن موقف الشيخ محمد الكتاني وأتباعه للقضاء على «بوحمارة» جاء في الوثيقة 15 وردها الطيب الشامي وغيره قبل انعقاد مؤتمر الجزيرة الخضراء حين استدعى وزير المولى عبد العزيز بفاس أعيان المغرب وعلماءه لتدارس الأزمة المالية للقضاء على «بوحمارة». اقترح شيخ الزاوية الكتانية محمد الكتاني قائلا: «نحن مستعدون للقضاء على «بوحمارة» فأجابه طايلندي Taillandier مهددا بكل وقاحة إن وقع ذلك سيأتي «بوحمارة» آخر . انظر: عبد الرحمان الحريشي «المدرسة الناصرية بفاس» مطبعة النجاح 2003 ص133. وقد شرع الشيخ محمد الكتاني مع أخيه عبد الحي وأتباع الزاوية وغيرهم وعلماء المغرب في رسالة وجهت إلى الشعب المغربي ضد «بوحمارة»، انظر: كتاب «الشهيد الكتاني» لابنه محمد الباقر ص 179 – 187، وعن مساعدة إسبانيا للثائر، بوحمارة، مدته بالسلاح والمال مقابل استغلال السكك الحديدية لربط ميناء مليلية بالمناجم المتاخمة لها انظر: «إيقاظ السريرة في تاريخ الصويرة»، ج1 ص 138 145- عن ثورة (بوحمارة) والوثائق المخزنية المتعلقة بمعاونته ضد المغرب وخاصة وثيقة التنديد بمساعدة فرنسا انظر: عبد الوهاب بن منصور «أعلام المغرب العربي» ج1 وثيقة ص 368، والوثيقة الأصلية محفوظة في مديرية الوثائق الملكية انظر : «الجيش المغربي وتطوره في القرن 19» ثريا برادة منشورات كلية الآداب الرباط 1997 ص 392. وعن كرونولوجيا ثورة بوحمارة انظر عبد ا لله العروي:

-Les origines sociales et culturelles du natinalisme marocain p : 354 – 359.
-Louis Arnant: «Au temps de Mehallah.»
- ADG. Martin : «Quatre siecles d'histoires marocaine» P. 400.

حارب المجاهد أمزيان «بوحمارة»، والإسبان ودافع عن بيعة المولى عبد الحفيظ وسقط شهيداً عام15 ماي... هـ1912 بعد أن وحد قبائل الريف انظر: مصطفى أربيب: «لمحة عن المقاومة الريفية»/ وما يليها/ الجامعة الصيفية المنعقدة بالمحمدية1981/ ص.380. وقد دعا الشيخ ماء العينين إلى الجهاد ضد معاوني الاستعمار (بوحمارة) عندما أرادوا الدخول إلى فاس وحاول فك الحصار عليها وكبد الجيش الفرنسي خسائر فادحة في الأرواح والعتاد انظر: محمد الغربي «الساقية الحمراء ووادي الذهب» / الدار البيضاء،ص 375. وعلال الفاسي في كتابه «التصوف الإسلامي في المغرب» أكد فيه جهاد الشيخ ماء العينين عن طريق الجيش الصحراوي لفك الحصار عن فاس.
وقد فند الأستاذ علال الفاسي الأطروحة الفرنسية التي تدعى أن السلطان المنتخب كان هو ماء العينين/ ص 129-135، ونرى أن نفس التهمة وجهت للشيخ محمد الكتاني والتي أدت إلى اغتياله نتيجة دعوته إلى الجهاد بإخراج الأجانب من المغرب، ولنا عودة مع هذه المسألة. وعن الأطماع الفرنسية في الصحراء المغربية الجنوبية انظر: محمد بن عزوز حكيم «السيادة المغربية من خلال الوثائق»/ ص193.

أنه خرج بنفسه صحبة أكثر من مائة ألف، وأنفق في قبضه من الأموال ما لا يحده الحاصر..فلأي شيء لم ينتصرهناك؟. ولولا بواخر الفرنساويين؛ لوقع في حبال الصيد، وحاط به الكيد..

وهل لم يطرق أذنك انخذال أول جيش جيشه لمقاتلة خليفة سلطاننا المعظم؛ فكان كسرا على كسر، لا كما قلت في ذلك الوقت:» نصرا على نصر«.!.

ثم استرسلت الجريدة تعرض بما هو أشبه بالتهكم؛ فقالت: «هل استرجع الأندلس والجزائر؟..الخ». وهل استرجعها المولى عبد العزيز الذي تجعله الآن في عينك أعظم ملوك الأرض؟!!!.

وأما قولها: «أو مازال من مراكش لمراكش؟..».

فنقول: بل سلطنة سلطاننا من مراكش إلى فاس، ولو كنت ممن يعقل؛ لرأيت أنه نصر بالرعب، وحف بالسعادات. وإلا؛ فأي ملك ظهر في مظهره -أبد الله عزه- فتوالت له هذه النصرات، وتطلب الناس الدخول تحت طاعته، ورغبوا في مبايعته من غير طلب سبق، ولا رغبة تقدمت، وإنه ليعجب البصراء يوم نصره بفاس من التئام الأمور في أسرع وقت، وجمع الكلمة عليه من غير منازع ولا مخالف؟!.

فتالله إن سعده لفاق السعود، وطالعه لعلا على الكواكب والنجوم، ولم يقع أثناء ذلك ولا بعده أدنى تشويش، بل رجعت الأفكار إلى سكونها الأول أيام أبيه المقدس، وناهيك بهذا..

وأما قولها: «إنه لا يجوز خلع السلطان حتى يقر لنفسه بالعجز...الخ».

فهذا تعليق على المحال؛ ومتى أقر أحد من المخلوعين بعجزه؟!. فالملك لايزال يطالب بملكه ما دام فيه شيء من عجب الذنب[1] الذي لا يفنى ولا يبلى..

---

(1) العُجْبُ: بفتح العين أصل الذنب، وهو أيضا واحد العجب وهو نهاية الفقرات الظهرية.. اللسان «عجب». بالباء الموحدة ويقال بالميم أي (عُجْمُ) بضم العين وجزم الجيم، وهو أسفل العظم الهابط من الصلب، منه خلق ومنه يركب، فإنه قاعدة البدن كقاعدة الجدار. وقد ورد شرح وافي من مخطوط للسلطان سيدي

نعم؛ يقر بالعجز مكرها، وقد نقلت الجريدة ما هو صريح في ذلك؛ وهو قولها فيما جلبته من قضية خلع المريني[1] نفسه وتسليمه الأمر للوطاسي حين دخوله لفاس: «فألزموه الإشهاد عليه بالعزل، وكان أول المبايعين للوطاسيين». انتهى.

فهل هذا غير الإكراه على خلعه نفسه؟. ولكنا نقول: فعل أهل فاس هذه المرة كفعلهم لما استصرخ محمد بن عبد الله بن محمد الشيخ بالنصارى؛ فإنهم خلعوه وكتبوا له كتابة طنانة مذكورة بطولها في»نزهة الحادي» لما ترجمه..

من جملتها قولهم فيها خطاباله: «قولك: خلعنا بيعتك التي التزمناها وطوقناها أعناقنا وعقدناها. والله ما كان منا ذلك عن هوى متبع، ولا عن سبيل خارج عن طريق الشرع مبتدع؛ وإنما ذلك منا على منهج الشرع وطريقه، وعلى الحق والحقيقة...».

«نعم؛ كنت سلطانا علينا بما ترك لك والدك من الأموال[2] والذخائر مما لم يتحصل لأحد من أسلافكم، فجاهدوا بما حصلوا في الله حق جهاده، حتى استخلصوا من يد الكفار رقاب عباد الله، فلما وصل إليك ذلك؛ ألقت إليك العباد

محمد بن عبد الله في كتابه:»بغية ذوي البصائر والألباب» من تأليف الإمام الحطاب.

(1) أبو عبد الحق أبو سعيد الذي عزل وبايع الناس الشريف عبد الله الحفيد الجوطي من أعقاب المولى إدريس: انظر «نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي» لمحمد الصغير الأفراني ورد بتفصيل ص.74 وما يليها/ تقديم وتحقيق عبد اللطيف الشادلي وكذلك الفصل 8/ ص69. وعن انتهاء دولة بني مرين وخلع السلطان أبي عبد الله الحفيد (Mecho Bealer) قضية ادعاء أن محمد الكتاني أراد إرجاع الملك للأدارسة) ونظرا لأهمية الموضوع نشير بالتفصيل إلى المعلومات الآتية : الشيخ الصوفي محمد الكتاني وأطروحة طلبه للعرش.
لقد تحدث الكاتب الصحفي الإنجليزي « Walter B. Harris » عن كيف أرجع الشيخ إلى فاس وعاين فيها بنفسه ظروف اعتقاله ومن معه من أتباع الزاوية ومأساة اغتياله ويؤكد أن أطروحة طلبه للعرش (إرجاع الحكم الأدارسة) كانت مجرد ذريعة لقتله 20 ماي 1909م – 13 ربيع الثاني 1327 هـ.
وعند أبي عبد الله ابن الأزرق ت 896 هـ آخر قضاة الأندلس في كتابه «بدائع السلك في طبائع الملك» يفند فيه ما ادعاه ميشيوبلير أن الكتانيين كانوا يريدون إرجاع الحكم في المغرب للأدارسة، وابن الأزرق دخل الكتانيين
إلى مدينة فاس إبان سقوط دولة المرينيين وشاهد إجماع علماء فاس وأعيانها وسكانها على مبايعة الشريف الحفيد كان يومئذ يلي نقابة الأشراف بفاس فاستدعوه فحضر الشريف العمراني فبايعوه في أواخر شهر رمضان سنة تسع وستين وثمانمائة (869 هـ) وتم أمره، انظر «الإستقصا»/ ج 4/ ص327-333/ طبعة وزارة الثقافة2001.

(2) من المعروف تاريخيا أن السلطان المولى الحسن الأول لما توفي ترك ميزانية لتدبير شؤون الدولة لمدة أربع سنوات. انظر ابن زيدان « إتحاف أعلام الناس» ج 1.

أزمتها إلى أن قام عليك عمك بالحجج التي لا يمكنك جحدها؛ فشتت عددك وكسرها، ولم تنصر لك راية. وهذا بالنظر إلى ما كان من حديثك قبل التحزب مع عدو الدين وانتصارك بهم، وما أفتى به العلماء من ردة من استنصر على المسلمين بالنصارى نص[1] جلي في وجوب خلعك وسقوط بيعتك، فلم يبق لك إلا منازعة الله في حكمه ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ.... ﴾[2]

ولما سمعت جنود الله وأنصاره وحماة دينه من العرب والعجم فعلك؛ حملتهم الغيرة الإسلامية، والحمية الإيمانية، وتجدد لهم نورالإيمان، وأشرق عليهم شعاع الإيقان؛ فمن قائل: سترون ما أصنع عند اللقاء. ومن قائل: ﴿ وَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ ﴾[3] فجزاهم الله عن المسلمين خيرا. فلله درهم من رجال وفرسان، وأبطال وشجعان، فلو لم يكن منهم إلا ما غير قلوبهم على الدين؛ لكان كافيا في صحة إيمانهم، وعظيم إيقانهم، فقد بلغ نورغضبهم في الله ساق الغرس، والحب في الله والبغض في الله من الإيمان.... وهي ما تيسر اقتطافه من تلك الرسالة الشائقة، التي(هي) من أحسن خطاب، ومثال لصاحب الرباط ينبغي أن يكون منه على بال.

وأما قولها انتصارا للسلف[4]: «إن علماء العراق والشام أفتوا بجواز السلف لسلاطينهم...الخ».

---

(1) فتوى العلماء في الاستنصار بالنصارى على المسلمين. **«نصيحة أهل الإسلام»** لأبي الفيض جعفر الكتاني. تحقيق الدكتور إدريس الكتاني/ ص.179/ طبعة 1409/ 1989 / مكتبة بدر الرباط.

(2) سورة الأنفال 8/ 13.

(3) سورة العنكبوت 29/ 11. إن حرف الواو ساقطة من أول الآية.

(4) اعلم أن القراض والمضاربة اسمان لمسمى واحد فالقراض لغة الحجاز والمضاربة لغة العراق انظر كتاب **«المضاربة»** لأبي حسن علي محمد الماوردي ت.450 هـ. ص.68، وص.102 و105 تحقيق ودراسة عبد الوهاب السيد السباعي جامعة الأزهر. مذهب السلف مذهب المتقدمين..اللسان «سلف». والسلفية نسبة إلى السلف وهم من تقدم من هذه الأمة. ويقصد بالسلف قرض كل من كان في ضائقة مالية شريطة أن يقصد الرفق بالناس ومعاونتهم على شؤون العيش وتيسير وسائل الحياة وليس هو من وسائل استغلال الإنسان أو أمة من الأمم لذلك لا يجوز أن يرد المقترض إلى المقرض إلا ما اقترضه منه أو مثله والقاعدة الفقهية لدى فقهاء الإسلام وهي صحيحة شرعا تقول: كل قرض جرَّ نفعا فهو رِبا. وحديث البخاري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: **(من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدى الله عنه ومن أخذها يريد إتلافها أتلفه الله)**. انظر فقه السنة السيد سابق/ المجلد 3 / ص134 و135 وكتب أخرى فقهية عديدة في هذا الموضوع.

نقول عليه: أما أولا: ففتواهم لا تلزمنا؛ خصوصا أنه لا يوجد الآن أحد من الملوك مالكي المذهب فيفتيه أحد بجواز ذلك على مذهب مالك. وهب أنه جائز وأفتى به من أفتى؛ فللمصالح العامة، ودعاء الضرورة.. أما صاحب الرباط؛ فما صرف فلسا واحدا من متروكات والده - فضلا عن غيره - في مصلحة شرعية. الكل فيما لا يرضي الله ولا الرسول!!.

وأما قولها: «إن مولاي إبراهيم بن مولاي الحسن تسلف من التجار في الحج..».

فنقول عليه: إنا لا نعرف من مولاي إبراهيم المذكور؟. ولعله يعني:ابن مولانا سليمان السلطان السابق.على أن السلف من حيث هو لا ينكر، ولكن ينكر السلف بالربا، أو تبذير ما يسلف إن سلم من الربا. مع إن مولاي إبراهيم المذكور لا تقوم بفعله حجة؛ فالحجة في فعل المعصوم لا غيره. [1].

وأيضا: فهب أنه تسلف وأقره والده؛ فلضرورة الحج الذي هو من أعظم أركان الدين. فأين السلف في الحج من السلف في اللعب وجلب المغنيات؟!!. على أن مولاي إبراهيم تسلف من التجار المسلمين وهذا تسلف من الكفار.

وأما قولها خطابا لأهل فاس كلهم: «تأكلون من بيت المال، وتعيشون بالرواتب من صائر المخزن... الخ»[2].

فهذا ظن كاذب؛ فإن أهل فاس[3] كانوا يتنزهون عن الرواتب المخزنية، فلما اتسع الحال في الأخير، وكثر الترفه؛ جنح ضعاف الناس لذلك، فكان يأخذ المستحق وغيره، فخلت بذلك الخزائن، وتشتت الأموال، وكل شيء عند الله بمقدار. فنبغ

(1) والشيخ كان ضد القروض بالربا في سياق ظروفه التاريخية، لكن الفقهاء المعاصرين منهم الشيخ يوسف القرضاوي يقدم شروطا للقرض تدعو الضرورة والحاجة إليها. والقروض في المعاملات المالية بين الدول أصبحت تقليدا تفرضه الظروف الاقتصادية والمبادلات التجارية بين الدول.

(2) إن المؤلف يدحض حججج مدير جريدة السعادة ويبين له أن السلف يكون في المنفعة ولا يكون في غيرها ويرد عليه في فتواه المستشهد بها من الفقه والشرع.

(3) وهذا بالضبط ما طبقه الشيخ في حياته، حيث لم يثبت أنه تقلد وظيفة مع الدولة إلى وفاته.

من هذا الزعيم يقول أنا نأكل من بيت المال؛ وقد أطلق والمحل محل تقييد، فما أكل من بيت المال من يستحقه لقمة واحدة، ولكن الذين أكلوه هم معه بالرباط، وما تخلف عنهم بفاس إلا من دفع لهم أضعاف ما أكل ونهب.

وفي الحقيقة هب أن أهل فاس أكلوا بيت المال؛ فمالهم صار إليهم؛ فما عمر إلا بالضرائب التي أثقلت ظهورهم، والمكوس التي كان أول من سنها النمرود[1]. ثم انبرمت الجريدة ورنت تقول: «لا مسوغ للجهاد كما كذبتموه في حكمكم عليه في نصوصكم يوم قلتم بأنه ثائر، وعذرتم عبد العزيز على حوادث وجدة والدار البيضاء...الخ».

[مدير] الجريدة كالحرباء؛ فإنه كان قبل يخاطب أهل فاس، فصار الآن يخاطب العلماء، وخطابه الآن المتوجه إليهم ينافي فهمه غير مرة أنهم مكرهون في خلع ثائر الرباط؛ فأين هذا وذاك؟، والجنون فنون.

وإذا فهمت أنهم أكرهوا على التوقيع؛ على تلك الكتابة سقطت في يدك[2]* هذه الحجة الفارغة، ومعاذ الله أن يعذر أحد المولى عبد العزيز في احتلال وجدة والدار البيضاء، وإنما سفسط على الناس بإرادته إخلاءهما، فما فعل، فخان الله والرسول ورعيته.. ولله المشتكى.

وأما قولها: «وما برز للملك إلا بتوب الثائر المغتصب...الخ».

هذا شأن كل قائم على من قبله، وحالة كل داع إلى شيء جديد، ولكن يختلف الناس في قيام دعوتهم؛ فقد تكون بحق وقد لا. وكل مؤسس لمملكة صارت أو

---

(1) والمكوس سبق الحديث عنها في ص.34 هامش(1)، والنمرود: هو ملك بابل بن كنعان بن كوش بن سام، وكان أحد ملوك الدنيا، ويقال أنه استمر في الحكم 400 سنة وقد سلط الله عليه ذبابا من الباعوض عذبه به في الدنيا حتى مات، ويقال أنه ناظر نبي الله إبراهيم الخليل عليه السلام بعد خروجه من النار، وقيل غير ذلك. «البداية والنهاية» لابن كثير.1/ 148-149، والأخبار الطوال. وقد أراد المولى عبد العزيز أن يفرض الضريبة على كل المغاربة في القرى والمدن لكن مشروعه فشل لاعتبارات سوسيو ثقافية وسياسية.

(2) في الطبعة الحجرية زيادة يدك المشلولة.

بقيت - ما جاء وحي بملكه، لا؛ ولكن قام يدعو الناس لطاعته؛ فأذعن قوم وعارضه آخرون إلى أن يتم له الأمر.

على أن القائم على من تظاهر بالكفر لا يسمى ثائرا ولا مغتصبا في شرعنا المحمدي، بل يعد مجددا للدين، ويجب على المسلمين نصره وإعانته كما وقع والحمد لله، بل فهم جماعة من السلف أن النهي عن منازعة الأمر أهله خاص بأهل العدل لا غيرهم؛ ولذلك قام سيدنا الحسين[1] وغيره على اليزيد[2] وقامت جماعة عظيمة من الصدر الأول على الحجاج[3] لسوء فعله؛ فلم يعدهم أحد من الثوار قط..

هذا رد محصل شقشقات الجريدة وخزعبلاتها، ثم جعلت نفسها كأنها تريد تحصيل ما قررته؛ فقالت: «إذا؛ فالخلع مردود والبيعة منقوضة من الأسباب الشرعية الآتية...الخ».

كلا والله؛ لا ينقض بيعة هذا الرجل من أعناقنا ناقض، ولا يخوفنا ناقد؛ حيث إنا في أمرنا- والحمد لله - على بصيرة، ميزان الاستقامة بين أعيننا لا نتخلف عنه - بحول الله - أبدا..[4].

أما صاحب الرباط؛ فخلعه ثابت الأركان، مرتفع العماد، مبني على أعظم أساس، بالحجج الشرعية، والقواعد الدينية، وذلك ما قدمناه من عدم اجتماع شرط

---

(1) الحسين رضي الله عنه تقدم الكلام عنه ص35هامش2. اغتيل 61 هـ 680 م، «تاريخ الإسلام» 1/ 223. انظر: «تهذيب بن عساكر»، ج4 ص311 و«مقاتل الطالبين»/ ص45 و67 وابن الأثير» الكامل»، ج 4/ ص19.

(2) يزيد بن معاوية ترجمته في «تاريخ الإسلام» ج1/ ص277. د/ حسن إبراهيم حسن ط.6/ 1961. و«تهذيب بن عساكر»، ج4/ ص 311 و «مقاتل الطالبين» ص45 و67 وابن الأثير/ ج 4/ ص19.

(3) الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفي. ت 95 هـ وهو أبو محمد الطالبي القائل:

أنا بن جلا وطلاع الثنايا متى أضع العمامة تعرفوني

المصدر السابق: ج 1/ ص 295. والحجاج بن يوسف إبراهيم الكيلاني.» معجم البلدان» ج 8/ ص332 و«وفيات الأعيان» لابن خلكان / ج1/ ص123، قيل تصوف في آخر أيامه مصدر: «البدء والتاريخ» ج6/ ص28 ذكر صفته الجسمانية والخلقية وسجاياه ص76.

(4) يقسم الشيخ الكتاني على صحة بيعة السلطان المولى عبد الحفيظ ويؤكدها ويدعو إلى الالتزام بها، ونجد ما ذهب إليه الزركلي الذي قال: «إن الشيخ كان منذ نشأته على غير ولاء للأسرة العلوية المالكة. ولو قرأ الزركلي رسالة المفاكهة لاتضح له أن ادعاءه مجرد افتراء على التاريخ المغربي.

من شروط الخلافة الثمانية في صاحب الرباط، إلا البلوغ والحرية وكونه ذكرا!، على أنه يوم بويع لم يكن بالغا؛ وإنما جمعت عليه الكلمة إكراها - أيضا- فضلا عن المتأخرة.

ولا أظن أحدا لا يبلغ الفهم منه حده بعد أن يتمعن ما قررناه سابقا من انحلال الأمور، وبقاء الناس فوضى، وعدم إمكانه الاقتصاص للظالم من المظلوم، واتخاذه الاحتياطات اللازمة لحفظ بلاده ومراكز أرضه ووطنه، حتى استولى[1] العدو على ما شاء منها كيف شاء، كل هذا وهو شاغل أوقاته باللهو واللعب، وتبذير الأموال وصرفها في غير مصارفها الشرعية.

كل هذا؛ وطال ما صاحت به ونادت الجريدة المذكورة - نفسها - في كل أعدادها السابقة قبل أن تخلص الوجهة لمسلكها الغير الناجح الآن، وأعدادها محفوظة عندي، نوقف عليها الجاحد أي وقت شاء..

فلذلك قلنا: إن كلامه في مثل موطن الخلع هذا وشبهه كلام أشعبي صرف؛ ينتصر للسلف. والحال أن له فيه صلات، وهدية تهنئة بأعياد ومواسم!!!.

فظهر-على الحقيقة - السبب الشرعي الموجب لخلع صاحب الرباط[2]* ابتداء وانتهاء؛ الذي هو ضعفه عن القيام بالمملكة من كل جهة، وعدم انتظام أمور

(1) يشير هذا الكلام إلى احتلال الدارالبيضاء وذلك بعد مؤتمر الجزيرة الخضراء وإثرها شرعت فرنسا تتدخل في الشؤون المالية والعسكرية للمغرب أكثر من الماضي. وكذلك احتلال وجدة في 14 صفرعام 1325هـ/ 31 ماي 1907. ومن الملاحظ أن طراس في كتابه «تاريخ المغرب» الذي صدر في جزئين: ج 2/ ص394 وما يليها قال إن فرنسا كانت محايدة فيما يخص الحرب بين المولى عبد العزيز والمولى عبد الحفيظ، حيث يدعي أن فرنسا كانت تحترم عقد الجزيرة، لكن الواقع يدحض هذا القول. انظر :

- Henri Terrasse/ Histoire du Maroc Crise Marocaine /My A. Azziz My Hafid/ /Tome II/ p. 381-400.
- La France neutre entre My A Azziz et My a. Hafid détourné, La France était prête à accepter My Hafid et les puissances signataires de l'acte d'Aljasiras reconnu le nouveau Sultan.

انظر وثيقة تثبت تدخل فرنسا وتحريضها على إضعاف النظام المخزني، جاءت في دورية الوثائق، مرفقة في الكتاب في باب الملاحق. نلاحظ أن فرنسا كانت تلعب دورا مزدوجا لإشعال الحرب بين الأخوين المولى عبد العزيز والمولى عبد الحفيظ، إذ أخبر القائد الشرادي الشيخ عبد الحي حين كان ذاهبا مع أتباعه لتقديم بيعته للمولى عبد الحفيظ ونصحه بأن لا يمر على قبائل أولاد عبدون لأنهم عزيزيون ومحميون من الجيش الفرنسي. انظر الصورة لقدور بن غبريط بجانب المولى عبد العزيز تعبر عن الدور التي قامت به فرنسا وعميلها الشهير قدور بن غبريط ضمن الملاحق.

(2) في الطبعة الحجرية ثائر الرباط.

المسلمين مع وجوده، ومن يكون كذلك؛ كيف يؤهل لمنصب الخلافة السامي، أو يكون سلطانا شرعيا؟!!. معاذ الله أن يطلق عليه ذلك إلا هالك ومتهالك.

ومهما وصل الحال في عصر إلى مثل هذا؛ إلا وجب على الكل إقامة من ينظر في مصالح المسلمين من غير تراخ.

فتاوى علماء الإسلام في وجوب خلع من هذا حاله

وها أنا أفضل نقل نصوص أئمة الإسلام، وعلماء الحديث والكلام، الشاهدة بذلك، المصرحة بما سلكته هنالك؛ فأقول: لما نفرت قلوب الرعية من السلطان مولانا سليمان[1] بن سيدي محمد بن عبد الله – قدس الله أرواحهم– واختل نظام الجند في وقته؛ كتب رجال ذلك العصر شهادة عدلية ملخصها أنهم: يشهدون أن الناس بقوا فوضى، تتوارد عليهم الأحوال التى لا ترضى، من قطع الطريق[2]، ونهب البضاعات، وسفك النفوس، وانهدام القواعد والأسوس، وأن هذا الأمر عم المغرب رسمه وحده، من مراكش إلى وجدة، حتى وصل إلى فاس..

وعقب بسؤال علماء ذلك العصر: «هل يجوز مع وجود ذلك نصب إمام آخر يقيم لهم أودهم، وينصر عددهم، ويدفع بسبب عدله هذه الفتن التي أظلم يومها وعم تشويشها؟».

فأول من أجاب: مفتي القطر الفاسي؛ بل المغرب:أبو عبد الله محمد ابن إبراهيم الدكالي[3]، وكتب ما نصه: «إن ما شهد به الشهود بالرسم حيث أشير؛

---

(1) السلطان المولى سليمان بن السلطان محمد بن السلطان عبد الله (1206–1238هـ/ 1792م1822–م)، كان رجلا صالحا فقيها زاهدا في الدنيا إلا أنه لم يكن من رجال السياسة وكان لا يهتم بالجيش ونظام الدولة، كما كان يفعل أبوه محمد بن عبد الله. انظر تاريخ الضعيف الرباطي : «تاريخ الدولة العلوية السعيدة من نشأتها إلى آخر عصر المولى سليمان1636م/ 1046هـ– 1812م/ 1228هـ». لمحمد بن عبد السلام بن أحمد بن محمد الرباطي الملقب بالضعيف/ ج2/ ص439 وما يليها. تحقيق محمد البوزيدي الشيخي دارالثقافة. و«مذكرات من التراث المغربي» ج 4/ ص 176–194 ط 1985 وكتاب محمد منصور «المغرب قبل الاستعمار المجتمع والدولة والدين 1792–1822»، ترجمة محمد احبيدة، نشر المركز الثقافي العربي، ط 1 2006.

(2) في الطبعة الحجرية «الطرقات».

(3) هو أبو عبد الله بن عبد الصادق الدكالي. تـ.1175هـ/ «معجم المؤلفين»/ ج 10/ ص72، و«الفكر السامي» ج2/ ص290.

يوجب على المسلمين نصب إمام آخر. إذ مما يشترط في الإمام دواما وابتداء- كما لغير واحد من الأيمة؛ حتى الشيخ السنوسي في شرح القصيدة- كونه قادرا على تنفيذ الأحكام، وانتصار المظلوم من الظالم، وتجهيز الجيوش، والذب عن بيضة الإسلام؛ إذ ذاك هو المقصود، والحكمة في نصب الإمام. فإذا تعذر؛ وجب على الأمة نصب غيره ممن يقدر على القيام بأمور المسلمين، وتدبير مصالحهم العامة...».

وتلاه شيخ الفقهاء، ومرجع الإفتاء؛ أبو محمد عبد السلام بن بوزيد الأزمي[1]، وكتبا-أيضا- ما نصه: «إن ما ثبت أعلاه يبيح للمسلمين إقامة إمام يقوم بمصالحهم، ويدفعون به يد الظالم عن المظلوم، وتنحل به بيعة الأئمة لفقد المقصود من الإمامة من حاكم وهذا بها لا يسري فيه بيعة الأئمة. قال في «المواقف» ما نصه: وللأمة خلع الإمام وعزله لسبب يوجبه؛ مثل: أن يوجد منه ما يوجب اختلال أحوال المسلمين، وانتكاس أمور الدين، كما لهم نصبه وإقامته لإعلائها. وفي «شرح المقاصد»: من الأسباب المتفق على حل عقد الإمامة بها: ما يزول به مقصود الإمامة. ولا خفاء أن ما قيد في الشهادة أعلاه صريح في ذلك[2]... قال في «الاستذكار» شرح قوله ﷺ: وأن لا ننازع الأمر أهله: هم أهل العدل والإحسان، والفضل والدين مع القدرة على القيام بذلك».هـ.

وتلاه العلامة الأديب أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد الكريم اليازغي[3]، وكتب ما نصه: «المسطور أعلاه، طالع على التحقيق مبناه، وكيف لا؛ وهو من القضايا المشهورة الملحقات بالضروريات، والنقول واردة على نسجه؟!. قال

(1) عبد السلام بن بوزيد الأزمي، انظر سلوة الأنفاس، ج 3، ص 15، والشرب المحتضر، ص 53.

(2) لقد استند الشيخ الكتاني في شرح مقاصد الإيجي في مسألة عزل الإمام وخلعه بسبب اختلال أحوال المسلمين وانتكاس أمور الدين كما كان لهم نصبه وإقامته. وإن أدى خلعه إلى فتنة احتمل أدنى الضررين، انظر كتاب «المواقف» للقاضي الإيجي، ج3/ ص595 وما يليها. بشرح محمد الجرجاني تحقيق عبد الرحمان اعميرة دار الجيل بيروت/ ط 1997. ومن شروط الإمامة فقد وردت في ج3/ ص 585 نفس المصدر. والقاضي عضد الدين عبد الرحمان الإيجي توفي سنة 756 هـ/ 1355م وعلي بن محمد الجرجاني ت 816هـ/ 1413م.

(3) أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم اليازغي.ت.1199هـ/ 1784م.«السلوة»، ج 3/ ص115 و«فهرس الفهارس»، ج2/ ص 462 و«شجرة النور الزكية»، ص 359، و«دليل بنسودة »، ج 2/ ص321.

الطيبي في حديث: «ألا وكلكم راع ومسؤول عن رعيته[1]»: إشارة إلى أن المقصود من الإمام الأعظم: الحياطة والذب.

وحيث انتفى ذلك في الأول بشهادة الأخبار المتواترة، والفتن المتكاثرة؛ فلا تخرج الناس عن دائرة الآثام إلا بخلعه، ونصب إمام آخر للإسلام. وهبه بقطر آخر نافذ الأمر، محكما في زيد وعمرو؛ فإن ذلك لا يجدي وليس إلى كلام أحد يهدي، لقصور فائدته على قطره وأبناء مصره».هـ.

وقد أفتى[2] بنحو ذلك من عاصرهم من أئمة ذلك الوقت وأعلامه؛ مثل: الشيخ عبد الملك بن عبد الكبير المري الحسني، وسيدي أبي بكر بن إدريس بن عبد الرحمن المنجرة، وسيدي العربي بن الهاشمي الزرهوني، وقاضي مكناس سيدي العباس ابن كيران، وقاضي فاس سيدي علي التسولي، وقال جدي سيدي محمد بن حمدون ابن الحاج، وسيدي علي بن الصديق التوراني، وسيدي أحمد بن محمد المرنيسي، وسيدي محمد بن أحمد السنوسي، وسيدي محمد بن الطاهر العلوي، وسيدي العباس بن أحمد بن التاودي ابن سودة، وسيدي محمد بن الطالب ابن سودة، وسيدي عبد الواحد بن أحمد ابن سودة، وسيدي أبي بكر بن زيان الإدريسي[3].

---

(1) أخرج الحديث الشيخان واتفقا عليه برواية بن عمر رضي الله عنه. فالإمام البخاري في صحيحه 13/ 111، كتاب: «الأحكام»/ باب قوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ﴾ النساء 4/ 59. حديث رقم 7118، والإمام مسلم في صحيحه: 3/ 1359، كتاب: «الإمارة» 33/ باب فضيلة الإمام، الحديث 20/ 1829، واللفظ لهما.

(2) عن فتوى الخلع لقد جاءت البيعة الحفيظية بعد خلع المولى عبد العزيز عند عبد الرحمان بن زيدان في أتحافه بعد أخذ فتوى العلماء في المخلوع وتلت بيعة مراكش بيعة الجديدة وآسفي ومدن أخرى وأعلن خلع عبد العزير بفاس بعد استفتاء علمائها في شأنه واقتناعهم بوجوب عزله ومن الغد بويع المولى عبد الحفيظ وكان ذلك على شروط. انظر الإشارات السابقة عن البيعة والخلع في الهوامش الواردة في الصفحات 21/ هـ2، وص 26/ هـ3.

(3) وحتى لا نكثر من أسماء تراجم هؤلاء العلماء المشهورين في الهوامش نشير إلى سلوة الأنفاس للكتاني والشرب المحتضر إضافة إلى المصادر المشهورة التي وردت بتراجمهم فيها وهي كعناوين الكتب الآتية على سبيل المثال لا الحصر: «إتحاف أعلام الناس» و«العز والصولة» لعبد الرحمان بن زيدان و«الفكر السامي للحجوي» ج 2/ ص 176-322، و«فهارس علماء المغرب للدكتور عبد الله الترغي، ص59 5-678، و«فهرس الفهارس والإثبات» للشيخ عبد الحي الكتاني، ج1/ ص 58-67/ ط. دار الغرب الإسلامي بيروت باعتناء د. إحسان عباس/ ط -2 2 1402/ 1982، و«مظاهر يقظة المغرب» ج2/ ص176الخ.

وأنت إذا تأملت سيرة المولى عبد العزيز؛ وجدتها تفوق قبحا حال من أفتى علماء الإسلام بوجوب خلعه؛ فإنه -أيضا- اختلفت عليه كلمة الناس، وهدموا من ركن طاعته الأساس، حتى صار منقطعا عن الأجناد والأتباع، ليس له من القدرة قلامة فضلا عن الباع، ففي رقبته تلك الدماء المسفوكة، والأعراض المهتوكة، والأموال المنهوبة، والأحوال المسلوبة...

بل زاد هذا ما هو من ذلك أفظع وأقبح وأشنع؛ وهو: ميلانه للكفر وأهله، ورضاؤه بأفعالهم السيئة، وعدم وجود غيرة فيه على بلاده التي أخذوها ومن بها من المسلمين الذين هم الآن في حكم الأرقاء.

وهذا عندنا- معشر المسلمين- من أعظم المحذورات؛ فإن تمكين بلاد المسلمين من النصارى لا يجوز شرعا ولا عادة، والحكم في فاعله أنه: مرتد عن الإسلام[1] لا تقبل منه طاعة.

ومن فتوى للإمام الحافظ أبي العباسي[2] المقري ما نصه: «ويرحم الله علماء الأندلس أواخر المائة الخامسة؛ حيث أفتوا بخلع المعتمد ابن عباد حيث أعطى بعض المعاقل للكفار أهل الزيغ والعناد، بل أفتى جمهورهم بقتله والإراحة منه، فهو من أعظم المهمات، ولعل ابن تاشفين أخذ بفتوى الأقل بصون دمه؛ فخلعه

---

(1) جاء في جريدة «كوكب افريقيا»، التي كانت تصدر بقسطنطينة وهي من الصحف الموالية لفرنسا بالجزائر نشرت في عددها المؤرخ في 10 ذي القعدة 1325 هـ / 1907 م خبراً مزورا مفاده أنه السلطان المولى عبد العزيز استفتى علماء فاس في مسألة الاستعانة بدولة أجنبية كفرنسا على تنظيم البلاد وتهدئتها، وأجمع علماء المغرب على إفتاء السلطان بجواز هذه الاستعانة، وقد كذب زمرة من فقهاء فاس هذه الفتوى وهذه الأجوبة كتبها الشيخ العباس بن أحمد التازي ومحمد المهدي ومحمد الوزاني وغيرهما وعن هذا الافتراء عن المولى عبد العزيز انظر بالتفصيل محمد المنوني «مظاهر يقظة المغرب» ج 2، الصفحات 336-337-338.

(2) الشيخ أبو العباس بن أحمد المقري التلمساني الأديب المؤرخ، توفي سنة 1041هـ/ 1631م من أهم مؤلفاته موسوعته: «نفح الطيب وأزهار الرياض» وكتاب: «روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لاقيته في أعلام الحضرتين مراكش وفاس» انظر: «دليل مؤرخ المغرب» / ج1/ ص49، وترجمته الوافية التي وردت في مقدمتي تحقيق «نفح الطيب» إحسان عباس، و«روضة الآس» لعبد الوهاب بن منصور.

ونقله إلى أغمات..[1] » هـ.

فإن قال المولى عبد العزيز: أي بلاد أعطيت للنصارى؟!.

قلنا له: الدار البيضاء ووجدة[2].

فإن قال: ما أعطيتهما له أبدا، ولكن دخلوهما بقصد تأديب العصاة!.

قلناله: القبيح أتيت؛ لأنك إن أعطيتهما لهم بقصد تأديب العصاة لعجزك أنت عن تأديبهم؛ فهذا عجز، والعاجز مخلوع!.

وإن قلت: لا عن عجز.

قلنا لك: قد استعنت على المسلمين بالنصارى وهو ردة!.

ففي مسائل الأقضية والشهادات من نوازل البرزلي في الورقة الخامسة، عقب كلام ابن عبد الغفور عن بعض المتأخرين في تقسيم الأيمة إلى ضروب ما نصه:

«قلت: ولم يتكلم في حكم الفئة التي وقعت استعانتها بالعدو؛ وأحفظ أني رأيت لابن الصيرفي[3] في دولة لمتونة من صنهاجة أن المعتمد ابن عباد استعان بهم

---

(1) أغمات مدينتان إحداهما تسمى أغمات أوريكة والأخرى أغمات هيلانة، وبأغمات أوريكة تسكن الأعيان وبها منزل التجار للسفر إلى الصحراء وهي فحص أفيح طيب التراب، والمياه تخترقها وقد بنيت قبل بناء مدينة مراكش وبها قبر الأمير الشاعر المعتمد بن عباد، سجنه بها يوسف بن تاشفين وقد دفن بها. «الروض المعطار في أخبار الأقطار» محمد بن عبد المنعم الحميري ص 46-47. والبكري «المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب»/ ص 153/ طبعة مكتبة المثنى بغداد / الطبعة الأولى/ الجزائر1857. والشريف الإدريسي في كتابه «نزهة المشتاق في اختراق الآفاق»/ ص235 / طبعة مكتبة الثقافة الدينية مصر وقد صدر كتاب الحديث وهي رسالة جامعة في التاريخ وعلم الآثار للأستاذ عبد الرزاق بن عمر أزريكن بعنوان «مدينة غمات وما إليها»، ط 1، مراكش 2012، مثبتا إن هاته المدينة غمات وليست اغمات اعتمادا على المصادر الأصلية القديمة. وقد دبج الشيخ محمد عبد الحي الكتاني فتوى في البيعة وخلع السلطان في مسودة لازالت مخطوطة بالمكتبة الوطنية بكناش رقم 2822 حرف: ك، وقد نشرت مؤخرا في مجلة» وجهة نظر» عدد مزدوج 8/ 9 200 ص 40. أورد فيها جل ما قيل عنها وشروطها لدى أئمة الفقه وأصول الدين والفرق الكلامية..، و«إتحاف أعلام الناس» ابن زيدان / ج1/ ص448/ ط. 1410/ 1990.

(2) احتلت وجدة سنة 1325هـ/ 1907م من طرف الجيوش الفرنسية،»المسألة المغربية» 1900/ 1318هـ - 19121م1330-هـ خير فارس.

(3) وفي هذا السياق ورد حديث شريف (من حمل علينا السلاح فليس منا) انظر شرح صحيح مسلم للقاضي عياض المسمى«إكمال المعلم بفوائد مسلم» ج.1، ص.374 تحقيق د.يحيى اسماعيل دار الوفاء. وفي فتوى أبي العباس المقري في فتواه على ما أفتى به علماء الأندلس حين استعان المعتمد بن عباد بالنصارى في

في حرب المرابطين؛ فنصرهم الله عليه، وهرب هو، ثم نزل على حكم يوسف بن تاشفين[1]- أمير صنهاجة - فاستفتى فيه الفقهاء، فأكثرهم أفتى أنها ردة، وقاضيه مع بقية الفقهاء لم يروها ردة، ولم يبيحوا دمه؛ فأمضى ذلك من فتواهم، وأخذ بالأسر ونقله إلى أغمات».هـ.

تبديل معالم الشرع كفر بالإجماع

ومن ذلك: تبديل (المولى المذكور) قاعدة من قواعد الدين الخمسة؛ وهي: الزكاة، بالترتيب، مع إجماع الأمة على كفر من غير شيئا من معالم الشرع، وهذا قدر مفروغ منه، نص عليه القاضي عياض[2] في «الشفا» وغيره.. بحيث نعده- معاشر المسلمين- من الضروريات.

حربه ضد المرابطين وكذا اعتمد الإمام البرزلي على نفس الفتوى التي أوردها بن الصيرفي مؤرخ دولة لمتونة. وقد نقل هذا النص العلامة عبد الحي الكتاني من «**نوازل البرزلي أو من الأنوار الجلية في تاريخ الدولة المرابطية**» الذي يعتبر هذا الأخير مفقودا. ونقل نفس النص المهدي الوزاني في «**النوازل الجديدة الكبرى**» ج3/ ص23. طبعة وزارة الأوقاف بالمغرب كما سبقت الإشارة إليه، وردت نفس الفتوى عند محمد بن جعفر الكتاني في كتابه «**نصيحة أهل الإسلام**» ص.179 طبعة الرباط. وترجمة ابن الصيرفي جاءت عند لسان الدين بن الخطيب في «إحاطته»- و«**دولة الإسلام في الأندلس**» لأستاذنا عبد الله عنان»العصر الثالث عصر المرابطين والموحدين» ص.110 هامش1 طبعة مصر مكتبة الخنجي الطبعة الثانية 1969. ويبدو أن الأنوار الجلية السابقة الذكر كان ضمن مخطوطات الشيخ عبد الحي الكتاني. وكذا «**الأنباء في سياسة الرؤساء**» الذي ضاع أيضا وقد جاءت نقول منها في كتابي «**أعمال الأعلام**» و«**الإحاطة**» لابن الخطيب انظر مجلة تطوان/ 3 و4 ص154 عدد مزدوج سنة 1958- 1959 كما ذكرنا سلفا. يشير الشيخ عبد الحي في «**رسالة المفاكهة**» إلى مؤلف الأنوار الجالية في المملكة المرابطية نذكر بقوله: (ورأيت لابن الصيرفي في دولة لمتونة من صنهاجة أن المعتمد بن عباد استعان بهم في حرب المرابطين) ومن الملاحظ أن هذا الكتاب غير موجود وقد بحثنا عنه ولم نجد له آثرا وقد أخبرنا أن هناك نسخة خاصة مخطوطة في مدينة فاس منذ عشرين سنة.

(1) فهو يوسف بن إبراهيم المصالي الصنهاجي اللمتوني الحُميري أبو يعقوب، أمير المسلمين وملك الملثمين بالمغرب الأقصى، وباني مدينة مراكش، وصاحب معركة الزلاقة بالأندلس سنة 479 هـ وضرب السكة ونقش على كل الدنانير(لا إله إلا الله) وشمل سلطانه المغرب الأقصى والأوسط وجزيرة الأندلس. ولد سنة 410 هـ/ 1019م. وتوفي بمراكش سنة 500هـ/ 1106م، «**ابن الأثير**»، ج9/ ص3 و4 وابن خلكان، ج2/ ص364، و«**نخبة الدهر**»، ص236 و238، و«**بغية الرواد**»،ج.1، ص86، و«**المعجب**»، ص162، و«**الحلل السندسية**»، ص.12و60 و«**الإستقصا**»،ج1/ ص106، و»بدائع السلك في طبائع الملك» ج1/ ص82، هامش279.

ويجب ملاحظة مطالبة الشيخ في تقديمه لحالة المولى عبد العزيز أن تطبق عليه أقصى العقوبات. (إذ اعتبره كمرتد رغم أن فقهاء الأندلس في نازلة المعتمد بن عباد أفتوا بأخف الضررين، السجن بدل القتل.

(2) أبو الفضل عياض بن موسى بن عمر بن موسى اليحصبي ولد بسبتة وانتقل إلى فاس، توفي 544هـ/ 1149م «**وفيات الأعيان**»، ج 3/ ص483، و«**الديباج**»، ص168 ، و«**تذكرة الحفاظ**» 1304، و«**الإحاطة**» 2/ 167، و«**الفكر السامي**» 2/ 223- 224 للحجوي.

ولو فرضنا أن الترتيب لا يتضمن إسقاط الزكاة الشرعية؛ فهو في نفسه لا يلزم أحدا من الرعية!.

ومن جواب للقاضي أبي عمر ابن منظور ذكره صاحب «المعيار» في نوازل المعاوضات ما نصه: «الأصل: أن لا يطالب المسملون بمغارم غير واجبة بالشرع؛ وإنما يطالبون بالزكاة وما أوجبه القرآن والسنة؛ كالفيء والركاز، وإرث من يرثه بيت المال، وكذا ما أمكن به حماية الوطن، وما يحتاج إليه من جند ومصالح المسلمين، وسد ثلم الإسلام.. فإن عجز بيت المال عن أرزاق الجند وما يحتاج إليه من آلة وحرب وعدة؛ فيوزع على الناس ما يحتاج إليه من ذلك. لكن؛ لا يجوز هذا إلا بشروط:

الأول: أن تتعين الحاجة. فلو كان في بيت المال ما يقوم به؛ لم يجز أن يفرض عليهم شيء، لقوله ﷺ: **«ليس على مسلم جزية»**[1]. وقال ﷺ: **«لا يدخل الجنة صاحب مكس»**[2]. (ضريبة) وهذا يرجع إلى إغرام الأموال ظلما..

الثاني: أن يتصرف فيه بالعدل، ولا يجوز أن يستأثر به غير المسلمين، ولا ينفقه في سرف، ولا أن يعطيه من لا يستحق، ولا يعطي أحدا أكثر مما يستحق.

الثالث: أن يصرفه مصرفه بحسب الحاجة والمصلحة، لا بحسب الغرض.

الرابع: أن يكون الغرم على من كان قادرا من غير ضرر ولا إجحاف. ومن لا شيء له أو له شيء قليل؛ فلا يغرم شيئا.

الخامس: أن يتفقد هذا في كل وقت. فربما جاء وقت لا يفتقر فيه لزيادة على ما في بيت المال فلا يوزع، وكما يتعين التوزيع في الأموال؛ كذلك إذا تعينت الضرورة

(1) نص الحديث: «لا تصلح قبلتان في أرض واحدة وليس على المسلم جزية» أخرج الحديث الإمام أحمد في «مسنده»، ج1/ 285، 223، وأبو داوود في «السنن»، ج 3/ 483. في كتاب «الخراج والإمارة» الحديث رقم 3053. والترميذي في «السنن» ج3/ 27 كتاب «الزكاة»(باب ما جاء ليس على المسلمين جزية) الحديث رقم 633. والحديث برواية ابن عباس رضي الله عنه.

(2) -2 أخرج الحديث الإمام أحمد في «المسند» ج4/ 143 والإمام الدارمي في «السنن» ج1/ 393 كتاب «الزكاة» باب كراهية أن يكون الرجل عشارا، والإمام أبو داود في «السنن» 3/ 349 كتاب «الخراج» (14)» والحديث براوية عقبة بن عامر رضي الله عنه، «الحاج في المستدرك» 1/ 404 كتاب «الزكاة» باب: «لا يدخل صاحب مكس الجنة» واللفظ لهم جميعا وقال فيه الحاكم صحيح على شرط الإمام مسلم. و(المكس هي الترتيب الضريبة). سبق ذكر المكس في ص35 الهامش،1 .

للمعونة بالأبدان ولم يكف المال؛ فإن الناس يجبرون على التعاون على الأمر الداعي للمعونة، بشرط: القدرة، وتعين المصلحة، والافتقار إلى ذلك[1]*». انتهى بنصه ملخصا..

فأين شرط القدرة وتعين المصلحة من حال المولى المذكور؟، فإن فرض ذلك عم القوي والضعيف وغيره، مع تحقق عدم فراغ بيت المال، وأنه يوجد فيه ما يغني عن هذه الضربة القاسية.

وإنه ليعجبني أن أذكر هنا جواب القاضي أبي عبد الله ابن البراء[2] الأندلسي ليعقوب بن تاشفين حين طلب من أهل مملكته الإعانة، وأفتاه جماعة بجواز طلب ذلك من الرعية اقتداء بسيدنا عمر بن الخطاب[3] - رضي الله عنه- (وهذا نصه): «أما بعد؛ ما ذكره أمير المسلمين من اقتضاء المعونة، وأن أبا الوليد الباجي[4] وجميع

(1) انظر المعيار للونشريسي ج 11 ص 127.

(2) عن أبي القاسم بن البراء انظر كتاب «فهرست الفهارس والإثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات»، ج.3/ ص.1089. كان من شيوخ ابن الشاط وأجازه. يبدو أن كلا من الناصري والشيخ الكتاني اعتمدا على نفس المصدر إذ أورد الناصري موقف القاضي ابن البراء حين أجاب برفض تقديم المعونة ليوسف بن تاشفين للمساهمة في نفقة الجهاد المستمر ضد حروب الاسترداد الإسبانية، والذي تقتضيه الضرورة الوقتية وقد أيد جل فقهاء الأندلس من ضمنهم القاضي أبو الوليد الباجي الذي دعا إلى تأييد مد الأتاوات ليوسف بن تاشفين في سبيل الجهاد. ونفس النص ورد عند الشيخ الكتاني، انظر لسان الدين بن الخطيب عن ابن الصيرفي «**الإحاطة في أخبار غرناطة**»، ص53-54. عصر المرابطين والموحدين بالأندلس/ القسم الأول للمؤرخ محمد عبد الله عنان/ طبعة القاهرة 1964، والجزء الثاني/ ص.230-231 من كتاب «**الإستقصا في تاريخ المغرب الأقصى**» أحمد خالد الناصري/ طبعة وزارة الثقافة والاتصال/ سنة 2001.

(3) عمر بن الخطاب الخليفة الثاني من الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم ولد قبل بعثة الرسول ﷺ بثلاثين سنة ولما أسلم كان إسلامه فاتحة خير على المسلمين. انظر كتاب: «**فرق الشيعة**»، د. عبد المنعم النوبختي/ ص15. وعن عدالة عمر بن الخطاب ومضمون هذا النص انظر: «**كفاية الطالب الرباني لرسالة بن أبي زيد القيرواني**»، ص191 وهامشها. وهناك شهادة الرسول ﷺ لعمر بن الخطاب أنه لا يحب الباطل والحديث: (**إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه**) روي عن نافع عن بن عمررضي عنهما. وعن حرص عمر بن الخطاب على مال المسلمين جاء عند عروة أن عمر بن الخطاب قال: (**لا يحل لي من هذا المال إلا ما كنت آكلا من صلب مالي**). انظر كتاب «**تاريخ عمر بن الخطاب**» للإمام الحافظ أبي الفرج عبد الرحمان بن علي الجوزي المتوفى سنة597هـ/ 1199م/ ص 38 و122. قدمه وعلق عليه أسامة عبد الكريم الرفاعي/ الناشر مكتبة السلام العالمية.

(4) أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي الأندلسي القاضي، صاحب الرحلة المشرقية والحجازية، رجع إلى الأندلس بعلم غزير له تآليف عدة، وصار يضرب به المثل في الفقه والفكر ت. 494هـ. «**وفيات الأعيان**» 2/ 408 و«**الديباج**»/ ص120 و«**نفح الطيب**» 2/ 67. و«**الفكر السامي**» 2/ 216/ 217.

القضاة والفقهاء بالعدوة والأندلس أفتوا بأن عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- اقتضاها وكان صاحب رسول الله ﷺ وضجيعه في قبره ولا شك في عدله ...».

«فليس أمير المؤمنين ممن لا يشك في عدله؛ فإن كان الفقهاء والقضاة أنزلوك في منزلته في العدل؛ فالله سائلهم عما تقلدوه فيك، وما اقتضاها عمر حتى حلف في المسجد أن ليس عنده درهم واحد من بيت مال المسلمين[1]؛ فلتدخل أنت المسجد الجامع وتحلف بحضرة أهل العلم. وحينئذ تستوجب ذلك!».هـ.

وهذا هو جوابنا عن اقتراح الجريدة الذي تضمنه قولها:» وكان الأحرى بأهل فاس وغيرهم أن يجمعوا الأموال ويقدمون على السلطان، ويقولون له: إن بيت المال بحاجة للإقامة..الخ».

فمن أمره بصرف بيت مال المسلمين في ملاذه وشهواته، وتفريقه كيف يريد على أراذل جماعته، حتى إذا فرغ ألزمنا تعميره ؟!!. لا.لا؛ ما أتانا بذلك شرع، ولا سبقت به عادة...

وقد قال الزرقاني[2] على قول المختصر: «ودفعت-أي: الزكاة- للإمام العدل»، ما نصه: ولا يجوزا لإفتاء بأن العدل يأخذ الزكاة حيث شك في عدالته، كما يفيده كلام الأبياري؛ فإنه أفتى حين طلب الإمام من الرعية المعونة أنه:لا سبيل له إلى ذلك؛ لأن عدالته مشكوك فيها، والمفتون بأن عمر قد اقتضاها يبعثون

(1) نلاحظ أن الشيخ استخرج من الفقه الإسلامي، اعتمادا على عدالة عمر بن الخطاب المستمدة من مبادئ الإسلام السامية ومقاصده، والتي تدعو الحاكم اليوم، إلى التصريح بممتلكاته حتى لا يستغل مال الأمة، حين توليه الحكم، وهذه القاعدة أصبحت من المبادئ الدستورية في الديمقراطيات الحديثة. وعمر بن عبد العزيز الخليفة التقي الذي كان يخشى الله في تسيير شؤون المسلمين حيث قال بالنسبة للحاكم في قولته الشهيرة التي تحرم على الحاكم التجارة: «الحاكم إذا اتجر استأثر».

(2) أ- هو الإمام محمد بن عبد الباقي الزرقاني المصري الأزهري الإمام الفقيه المحدث، صاحب شرح «الموطأ»، و«المواهب اللدنية» وغير ذلك، وهو علامة زمانه. توفي سنة1128هـ/ 1715م، انظر: «عجائب الآثار»، ج1/ ص69، و«سلك الدرر» ج4/ ص32-33، و«فهرس الفهارس» ج1/ ص342-343. و»الفكر السامي»ج.2/ 284-285.

ب- وقد ورد هذا النص عند عبد الباقي الزرقاني في شرحه لمختصر خليل بقوله: «إن الزكاة تتوجب المطالبة بها للإمام العدل»/ للشيخ الزرقاني وحاشية الرهوني، وهامش المدني كنون/ الطبعة الأميرية بولاق1888 مصر/ ج2/ ص332. ونقل هذا النص باختصار عبد الباقي الزرقاني وغيره من العلامة خليل بلفظ دفع الزكاة (..ودفعت للإمام العدل)، انظر: «مختصر العلامة خليل» / ط. دار الرشاد الحديثة البيضاء/ المغرب ص55.

في قبورهم إلى النار بلا زبانية. أي: إنه لم يصل له أحد في العدالة، ولإيهام كون المشكوك في عدالته عدلا».هـ.

بل نحن لا نشك في جوره وظلمه، وتعديه على نفسه ورعيته الفاحش، فإن أراد صاحب الجريدة أن نتمسك بإشاراتها، وندحض نصوص شرعنا وقواعد ديننا؛ فدونه وذلك خرط القتاد. [1]

أرى العنقاء تكبر أن تصادا فعاند من تطيق له عنادا

وما أحقه بمن قال في الشعر والشعراء:

الشعر صعب وطويل سلمه إذا ارتقى فيه الذي لا يعلمه

زلت به إلى الحضيض قدمه يريد أن يعربه فيعجمه[1]

وبالجملة: فإن نصوص الشرع معنا، وقواعد الدين تذود الظلم عنا، (فأنى)[2] ينفع صاحب الرباط مع هذا ذب صاحب الجريدة عنه أو عليه؟، فمن يتوقف في خلعه وإزالة ستره؟.

كيف لا؛ وهو الرجل الوحيد الذي يعتقد تصويب فعل الفرنساويين مع الشاوية الجند المغربي؟!. وقد قال وزيره الحربي لبعض النواب: إن سيده راض عن الخطة التي ارتكبتها فرنسا في جهة الدار البيضاء. مع أن قنابل البواخر فعلت في تلك المدينة التجارية الغير المحصنة ما لم يسبق له مثال في عصر المدينة قط؛ فقد هدمت قباب وصوامع ومعابد، مع أنه في كتاب «حقوق الملل ومعاهدات الدول في الحرب» في البند الخامس عشر من تعليمات مؤتمر بروكسيل[3] أنه: «لا يجوز إطلاق المدافع على مدينة غير محصنة، أو مدينة استسلمت وفتحت أبوابها للعدو،

---

(1) وردت هذه الأبيات عند إبراهيم بن محمد البيهقي في كتابه «المحاسن والمساوىء» قيل لما حضرت الحطيئة الوفاة أوصى فقال هذه الأبيات من بحر رجز، تحقيق محمد بن أبي الفضل إبراهيم / ص250 . وفي «سفينة الشعراء» لمحمود الخوري ص.78.

(2) فأنى بالألف المقصورة لأنها للاستفهام، وليست ضميرا.

(3) يجب النظر إلى البند الخامس عشر من تعليمات مؤتمر بروكسيل ص 119 من طبعة العلمية.

وقد أجمع المتشرعون بالنهي عن إطلاق المدافع على المدن التي لم تشترك في الحرب، أو الثغور التجارية الغير المحصنة، وأن كنوز العلم والمتاحف والصناعة في حوز مكين..».انتهى ملخصا.

ولا شك أن عقلاء الشعب الفرنساوي لا يرضون بذلك، ويعدونه مخالفا لقواعد الحرب، ولكن من فعل ذلك منهم بالدار البيضاء أراد أن يعاملنا بما عاملهم به الألمان في مدينة باريس عاصمة فرنسا في الحرب الأخيرة الذي لا تزال رناته في آذان الفرنساويين إلى آخر الدهر..[1].

وذلك أنهم أجمعوا على اتهام الألمان بعدم مراعاتهم القواعد الإنسانية في حربهم السبعينية، وكتب أحد رجال المجمع العلمي الفرنساوي في مجلة «العالمين» في10 أكتوبر سنة1870 مسيحية أن الألمان في حصارهم ستراسبورغ: «تركوا الحصون وصوبوا مدافعهم على المدينة؛ فمطروها بقنابل محرقة، وأصابوا الكنيسة الكتدرائية المشهورة ومكتبتها ومستشفياتها، واعتذر الألمان بأن ذلك (حدث) خطأ من فرق المدفعية الألمانية. فرد حجتهم قائلا: إن خرائطهم كانت دقيقة واضحة، فلا يحتمل هذا الغلط، وعليه فإن الألمان أحرقوا للإفرانساويين عمدا 300 ألف مجلد، وألفين وأربعمائة مجلد خطية من مكتبتها..».

فلو كان المخلوع ناصحا لوطنه؛ لدافع بما دافع به الفرنساويون إذ ذاك، ولكنه متى عرف حقوق الدول ولا قوانين الحروب؟!، ولا أراد نصحا لأمته قط، فقد كان يعين جيش الاحتلال بالذخائر والأقوات، ويمدهم بكل ما في طوقه تقربا إليهم وتوددا، ويعلمهم بكمائن المسلمين..

---

(1) من الملاحظ أن الشيخ الكتاني كانت له معرفة دقيقة بتاريخ أوربا والحرب الفرنسية الألمانية التي وقعت في عصر بسمارك الرجل الحديدي مستشار بروسيا والرايخ، انتصر على فرنسا في حرب سنة 1870-1871 وأعلن بسمارك قيام الإمبراطورية الألمانية الموحدة بقاعة مرايا في قصر فرساي بفرنسا وقد نعتته بعض الصحف الألمانية «الغل الألماني الكبير» أنظر لبيب عبد الساتر «التاريخ المعاصر» ص322 وما يليها. وقد أرسل بسمارك مبعوثا خاصا كاوليسJulish إلى طنجة مقدما مجموعات اقتراحات لتحديث القوة العسكرية الشريفة، مقترحا وضع ضباط مدربين و200.000 بندقية. أنظر بهيجة سيمو «الإصلاحات العسكرية بالمغرب»1830-1912. وعن نفس الحرب انظر كتاب:
Jacques Bouillon, Anne- Marie Sohn, Avec la collaboration de Françoise Brunel Ed .Bordas, Paris, 1978 p.170-172.

وفي «نزهة الحادي» لما ترجم لسيدي محمد العياشي[1]، بعد أن ذكر أن بعض القبائل دسوا للنصارى أيام محاربتهم له بأن محلته ليس فيها إقامة؛ قال ما نصه: «فأقام عليهم الحجة، وشاور العلماء في قتالهم؛ فأفتى سيدي العربي الفاسي بجواز مقاتلتهم لأنهم حادوا الله ورسوله، ووالوا الكفار ونصحوهم، ولأنهم تصرفوا في مال المسلمين ومنعوهم من الراتب، وقطعوا البيع والشراء عن الناس وخصوا به أنفسهم، وصادقوا النصارى وأمدوهم بالطعام والسلاح..».

«وكان الإمام سيدي عبد الواحد ابن عاشر[2]– رحمه الله– لم يجب عن ذلك إلى أن رآى بعينه – حيث قدم لسلا الأندلس– يحملون الطعام للكفار، ويعلمونهم بغرة المسلمين؛ فأفتى بجواز مقاتلتهم، وحكم في رقابهم السيف أياما إلى أن أخمد بدعتهم، ورجع بهم إلى الكلمة». انتهى منها.

وقد سئل الإمام سيدي محمد بن عبد القادر الفاسي عن بيان الحكم في طوائف من بني عامر الذين أووا إلى النصارى ودخلوا في ذمتهم من غير اضطرار؛ هل تكون أموالهم فيئا على المسلمين أو غنائم تخمس كأموال المشركين؟.

فأجاب: «إن فتاوي علماء المغرب من أهل القرن التاسع فما بعده قد تكررت

---

(1) أبو عبد الله سيدي محمد بن أحمد العياشي المالكي الزياني، واشتهر لقبه بالعياشي، وليس هو من آيت عياش بل هو من ابن زغبة الهلاليين كان مجاهدا وكانت له وقائع كثيرة مع البرتغاليين في بلاد أزمور وجهات أخرى من المغرب. وقد حارب بعض مسلمي الأندلس بـ (سلا) لأنهم كانوا من عملاء الأفرنج، مات مقتولا عام 1051هـ/ 1641م وردت قصة قتله وقطع رأسه وحمله إلى سلا في «نزهة الحادي» عند الإفراني ص389. وجاء عند صاحب «نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني» محمد بن الطيب القادري، قتل المجاهد محمد العياشي السلاوي في الجزء2/ ص51 / تحقيق حجي وأحمد توفيق مكتبة الطالب الرباط. ومحمد بن علي الدكالي في «الأتحاف الوجيز تاريخ العدوتين» ص97/ تحقيق مصطفى بوشعرا، منشورات الخزانة العلمية الصبيحية بسلا 1986 وخير الدين الزركلي في «الأعلام» ج6/ ص9.

(2) عبد الواحد بن أحمد بن علي بن عاشر الأنصاري الفاسي ت. 1040هـ/ 1630م، نشأ بفاس منصرفا إلى العلم ولقاء أهله، فأخذ عن أبي العباس اللمطي والخطيب أبي عبد الله محمد الشريف المري التلمساني، وأبي عبد الله القصار، وأبي العباس بن القاضي وغيرهم، وقد اشتهر بن عاشر بغزارة العلم ولاسيما القرآن والفقه، واللغة، وأخذ عنه الشيخ ميارة الفاسي ولازمه. ولابن عاشر الكثير من المؤلفات في الفقه والقراءات... «فهرسة ميارة» ص12، 279 و«تحفة الأكابر» ص 212، و «فهرست وطبقات بن عجيبة»، ص 253، و«السلوة»، ج1/ ص165، «وشجرة النور الزكية» ص309 و«الفكر السامي» ج2/ 274، و«مؤرخ الشرفاء» لليفي بروفنصال، ص182، «الحركة الفكرية لحجي»، ج2/ ص 370، و» فهارس علماء المغرب» ص 642، للترغي.

في مثل النازلة؛ فليكن عليها الاعتماد، لأنهم قدوتنا في ديننا، وهم أعلم بمأخذ كتاب ربنا وسنة نبينا...»[1].

«فمنها: جواب الإمام مفتي الإسلام أبي مهدي عيسى الماواسي[2]؛ وقد سئل

---

(1) نلاحظ أن الشيخ الكتاني في رسالته «المفاكهة» لم يفته الرد على وديع كرم وأن يستدل في نقده له والإتيان ببعض الروايات التاريخية عبر عصور مختلفة من تاريخ الغرب الإسلامي خاصة منها التي وقعت في عصر الأمير يوسف بن تاشفين وعصري نهاية الدولة المرينية والوطاسية ومسألة تعاون أحد أمرائها مع النصارى لنصرتهم حتى يسترجع الملك الضائع وكذا الأمر وقع في العصر السعدي. وقد أكثر الشيخ في استشهاداته التاريخية والفقهية راصدا التأصيل الشرعي والتنزيل الواقعي مثبتا أنها تنطبق على حالة المولى عبد العزيز وإن كنا نعتبر هذا الحكم مبالغا فيه بالنسبة لحالة المولى عبد العزيز. وقد عانى الشيخ عبد الحي الويلات والمآسي هو وأسرته والمغرب وإن أحسن المولى عبد العزيز إلى الزاوية الكتانية أكثر من أخيه. نتائج سياسته والدسائس والمؤتمرات الأجنبية التي أدت إلى سقوط المغرب واحتلاله وفرض الحماية التي أبرمها أخوه المولى عبد الحفيظ سلطان الجهاد سنة 1912م وبعد تخليه على الشروط المتفق عليها مع علماء المغرب في بيعته. وقد أكد الشيخ هنا فتاوي علماء المغرب بقوله: «إن فتاوي علماء المغرب من القرن التاسع فيما بعده قد تكررت في مثل النازلة فليكن عليها الاعتماد» ويمكن أن نقول إن أهم فتوى التي اعتمد عليها الشيخ في تبرير أن المولى عبد العزيز مرتد، فتوى علماء الأندلس بالنسبة لخيانة أمراء الطوائف ليوسف بن تاشفين وتعاونهم مع النصارى ضد الإسلام والمسلمين وهي توجب خلع من كان حاله حال المولى عبد العزيز. وقد جاءت ثلاثة رسائل من المشرق لتأييد وإعطاء الحق والمشروعية ليوسف بن تاشفين لمحاربة أمراء الطوائف بالأندلس مستمدة من فقه الحروب في الإسلام. الرسالة الأولى كانت من الخليفة العباسي والثانية من أبي حامد الغزالي والثالثة من أبي بكر الطرطوشي إذ نقلنا مضمون هذه الفتاوي من شواهد (الجلة والأعيان) لأبي بكر بن العربي المعافري وهي نتيجة رحلته للمشرق لجلب التأييد للأمير يوسف بن تاشفين في شرعية جهاده أمراء الطوائف من مخطوطة ضمن مجموع بالخزانة العامة الرباط تحت عدد 1275ك. وقد دلنا عليها الشيخ العلامة إبراهيم الكتاني رئيس قسم الوثائق والمخطوطات وقد كنت رفقة أستاذي سامي النشار أثناء تحقيقه بدائع السلك في طبائع الملك، ج1/ ص83 / هامش 280. وللإشارة فإن الأستاذ الباحث الجاد محمد يعلى قد حقق شواهد الجلة لأبي بكر بن العربي ضمن كتابي: (الأنساب لابن عبد الحليم ومفاخر البربر لمؤلف مجهول كما ورد ضمن مجموع وقد نشر هذا المجموع بدون هوامش: المجلس الأعلى العلمي الوكالة الإسبانية للتعاون الدولي مدريد 1996 وعن أهمية هذا العمل (شواهد الجلة) جاء وصف جامع مانع لخيانة أمراء الطوائف ما نصه: «استنابوا الفساق من الأرقاء والصنائع الطلقاء في محاربة بعضهم بعضا واتنجدوا بالنصارى عندما اعتقد كل واحد منهم أنه أخذ من صاحبه» ص 200 شواهد الجلة.

(2) أبو مهدي عيسى بن محمد الماواسي. توفي 1080هـ/ 1669م وله فهرسة كبيرة سماها «**كنز الرواة المجموع في درر**»، وتوفي الفقيه أبو مهدي بمكة المكرمة. «**فهرس علماء المغرب**» 649 و«**فهرسة الفهارس**» ج1/ ص377. و«**الفكر السامي**» ج2/ ص279. و«**أعلام الجزائر**»/ ص127. عن هذه الفتوى جاءت مفصلة عند الونشريسي في معياره/ ج2/ ص140و141وقد نهى أصلا عمر بن عبد العزيز الإقامة بالأندلس. وإمام دار الهجرة مالك بن أنس رضي الله عنه يقول: «**ينبغي على كل المسلمين أن يخرجوا من البلاد التي تتغير فيها السنن ويعمل فيها بغير الحق**». وللونشريسي جواب أهل المسلمين بعد سقوط آخر معقل إسلامي هل يبقوا في دار الكفر (المورسكيون) أم يهجرونها بعد أن كانت دار إسلام، وجوابه ورد باسم «أسنى المتاجر بيان أحكام من غلب على وطنه النصارى ولم يهاجر وما يترتب عليه من العقوبات والزواجر». ووردت هذه الفتوى ضمن مجموعة المعيار في11 مجلدا في طبعته الحجرية الأولى، وأعيد طبعها بوزارة الأوقاف

عن أناس سكنوا بأوطانهم على ذمة العدو الكافر- دمره الله - مع أنه يتأتى لهم الانتقال من تلك الأوطان، وحالهم معهم على أقسام:

1- قسم يغرم لهم ولا يتردد إليهم.

2- وقسم يتردد إليهم للتجارة لا غيرها.

3- وقسم يتردد إليهم ويعلمهم بأخبار المسلمين.

4- وقسم يركب معهم للاصطياد، ويقول لهم: أطال الله هذه المدة!..».

«فأجاب: أما قيام المسلمين اختيارا تحت إيالة الكفر؛ فحرام!، إذ لا يحل لمسلم أن يعقد الصلح مع الكافر على أن يغرم له، باتفاق مذهب مالك، فمن فعل ذلك؛ لا تجوز شهادته ولا إمامته.

وأما القسم الثاني: فهو أسوأ حالا وأقبح..

وأما الثالث؛ وهو من يعلمهم بأخبار المسلمين: فهذا أقبح الفرق الثلاثة، وأشبه حالا بالجاسوس[1] الدال على عورات المسلمين.

وأما القسم الرابع؛ وهو المتردد إليهم، ويعرفهم بالطرق الموصلة إلى استيتار المسلمين: فهذا بيس الفريق، وهو أقرب للكفر من الإيمان، لأن المحب للكافر والداعي بالعزة له والاستطالة على المسلمين؛ من علامة الكفر..». انتهى ملخصا.

المغربية، وصدرت الرسالة منفردة في كتيب صغير من تحقيق المؤرخ حسين مؤنس، طبعت في مصر.

(1) الفعل: جس الأخبار وتجسسها تفحص عنها ومنه سمي الجاسوس، لسان العرب (جس). والجاسوس هو الذي يطلع على عوراة المسلمين وينقل أخبارهم للعدو «يقال له رسول الشر ويقال له أيضا العين» وعن أفعال الجواسيس وأحكامهم انظر جعفر بن إدريس الكتاني المتوفى سنة 1323هـ/ 1905م كتاب: «الدواهي المدهية للفرق المحمية»/ ط. دار الكتب العلمية لبنان 2005/ 158. وقد اتخذ المولى عبد العزيز كغيره من سلاطين المغرب كثيرمن الخبراء كمساعدين له في الميدان العسكري والمالي والإداري ومنهم مصوره الخاص كابريل فير Gabriel Veyre الذي كان يعرف كل كبيرة وصغيرة داخل القصر ويخبربها دولته (فرنسا).

حكم خذلان المجاهدين في أهلهم وأموالهم وأنفسهم

ثم إن صاحب الرباط[1] ما كفاه ما كان يوجهه من المؤن والذخيرة لجيش الاحتلال من طنجة وغيرها لتقويته على إخواننا المسلمين، حتى جهز لهم جيشا عرمرما يشن عليهم الغارة من جهة، والعدو الكافر من جهة، مع أنه لا موجب لما ذكر لمحاربة الشاوية[2]، حيث إنهم قاموا للذب عن بلادهم ونصرة دين آبائهم وأسلافهم.

فكان ينبغي له أن يتنافس في إعانتهم، ويبذل القليل والكثير من جهده في نيل نصرتهم، ولكنه عكس، وما نظر إليهم قط بنظرة رضى، بل ما كان يسميهم إلا بالفساد والنهاب، ويغري عليهم من بجوارهم من القبائل لسبي ذراريهم وتشتيت أموالهم.

وقد سأل السلطان المعظم سيدي محمد بن عبد الله العلوي[3] علماء عصره

---

(1) المولى عبد العزيز، سبقت ترجمته في ص109/ هامش4.

(2) الطبعة الحجرية «وهل هذا غير خذلان للمسلمين».

(3) السلطان سيدي محمد بن عبد الله ولد بمكناس، سنة 1134 هـ/ 1721م وتولى الملك وهو بن37 سنة وذلك سنة1171هـ/ 1757م، اتخذ مراكش عاصمة ملكه (1170-1204هـ/ 1754-1790م) وبالنسبة لمليلية تاريخيا احتلها الإسبان 903هـ/ 1497م، في عهد دون خوان، حاول المولى إسماعيل استرجاع مليلية رغم قوته العسكرية لكن الظروف لم تسمح له استردادها أواخر حياته ونفس الشأن وقع للسلطان سيدي محمد بن عبد الله حين حاصرها لمدة 3 شهور لكن القدرات العسكرية للإسبان كانت أقوى خاصة في مجال الأسطول البحري. انتهت بفك الحصار وإبرام اتفاقية ودية واطلاق سراح أسرى المغاربة والجزائرين والعثمانيين وغيرهم من المسلمين. وقد وقع في الأخير اتفاق بين المغرب واسبانيا على الصداقة والتجارة سنة 1780م. عن الأسطول المغربي انظر الأستاذة فاطمة الحراق في بحثها الموفق الجدير بالقراءة عن حصار مليلية وتفوق الأسلحة الإسبانية المتطورة عن العتاد المغربي التقليدي القديم. مجلة البحث العلمي العدد 35/ 1985 وعبد الهادي التازي مجلة البحث العلمي عدد 33/ ص120 ونفس المؤلف» تاريخ الدبلوماسية المغربية»، ج 9/ ص117، ورحلة السفير الغزال التي دونها في رحلته: « نتيجة الإجتهاد في المهادنة والجهاد» والتي لم ينتبه فيها للنوايا السيئة وأساليب المكر والتزوير التي وقع فيها، وعزل عن مهامه بسبب عدم دقته في إبرام الإتفاقيات الإسبانية المغربية، انظر «تاريخ الضعيف»/ ج1/ ص271 وما يليها وص329،

أيام حصره على ثغر مليلية سنة ثمان وثمانين ومائة وألف، عما ظهر من بعض الترك من أن بعض المسلمين ممن شملتهم ولايتهم حضروا حصار امليلية، فلما رجعوا إليهم؛ أباحوا دماءهم، وروعوا أولياءهم، وتعاقدوا على أن يكون هذا جزاؤهم؟.

فأجاب هلال المغرب أبو عبد الله التاودي[1] ابن سودة بما نصه: «**لا شك أن فعل ما ذكر من القتل والتنكيل بمن آوى إلى الله من المسلمين، وانحاز إلى طائفة المجاهدين؛ لا ينبغي أن يعد فاعله من أهل الدين، ولا أن يدخل في جملة المومنين؛ لما اقتضاه فعله هذا من رقة الديانة، وضعف الأمانة، وإهانته ما عظم الله قدره، ورفع على لسان رسول الله ﷺ ذكره**».

«وجزاؤه هو: أن يوخذ فيقتل بعد أن يطاف به جزاء للسيئة بمثلها، وقصاصا من نفسه الخبيثة بسوء فعلها، ثم يرد إلى ربه، وهو أعلم بقصده ونيته، فإن كان قتله لمن جاهد نصرة لأعداء الله وحمية لهم، ومحبة في دينهم؛ فهذا خلع من عنقه ربقة الإسلام، واستحق بأن يلحق بمن عبد الأوثان والأصنام، ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ [2]، وفي صحيح مسلم: حرمة نساء المجاهدين على القاعدين كحرمة أمهاتهم، وما من رجل من القاعدين يخلف رجلا من المجاهدين في أهله فيخونه فيهم؛ إلا وقف يوم القيامة فيأخذ من عمله ما شاء!.هـ فما بالك بمن يخونه في نفسه؟!، وفضل الجهاد وعظم موقعه من المعلوم ضرورة عند كل المسلمين..». انتهى جوابه ملخصا.

تحقيق محمد البوزيدي الشيخي دار الثقافة الدارالبيضاء/ طبعة 1988. وأكنسوس «الجيش العرمرم الخماسي في دولة أولاد مولاي علي السجلماسي» ج1/ ص212. والناصري «**الإستقصا في تاريخ المغرب الأقصى**» ج8 / ص3، «**الاغتباط بتراجم أعلام الرباط محمد بوجندار**» ج1/ ص115 إلى124 و«**المغرب عبر التاريخ**» ج3/ ص115. و«**سبتة ومليلية للعياشي**» و«**مذكرات من الثرات المغربي**»/ ج4/ ص104-143. وفي هذه الصفحات أهم المنجزات السياسية والعسكرية وهي دراسة موثقة جديرة بالإطلاع.

(1) هو أبو عبد الله التودي بن سودة توفي سنة 1209هـ / 1794م.

(2) سورة المائدة 5/ 55.

وأجاب الشيخ أبو عبد الله محمد بن الحسن[1] بناني أيضا بقوله: «إن الذي يفعل ذلك بالمسلمين لا شك في فسقه وظلمه وجوره، وأنه من أهل العظائم في الدين، وذوي الكبائر من المفسدين، يجب على كل من قدر عليه وتمكن أن يكف أذاه عن المسلمين».

«فإن قلت: هل على هؤلاء المومنين المقتولين درك حيث توجهوا للجهاد بغير إذن واليهم؟».

«قلت: لا درك عليهم في ذلك؛ حيث كان من ولاة الجور!. قال ابن وهب[2]: إن كان الإمام عدلا؛ لم يجز لأحد أن يبارز العدو أو يقاتله إلا بإذنه، وإن كان غير عدل؛ لم يلزم استيذانه في مبارزة ولا قتل». انتهى ملخصا.

وأجاب سيدي علي بن هاشم العراقي[3] بما نصه: «إن قتل النفر الذين توجهوا إلى محل الجهاد لتكثير سواد المسلمين، والإعانة في قتل أعداء الله الكافرين، يعد من فاعله ردة؛ لأنه لا يصدر إلا ممن خلع من عنقه ربقة الدين، وأنه إنما قتلهم من أجل جهادهم، وقد صرح بذلك حيث نادى: هذا جزاؤهم وجزاء من يفعل

(1) أبو عبد الله محمد بن الحسن بناني ت/ 1194 هـ/ 1880م. علامة فاس ومحققها نشأ بها مقبلا على العلم فأخذ من ابن عمه محمد بن عبد السلام البناني وأبي العباس الورزازي وأبي العباس أحمد بن عبد العزيز الهلالي، ورحل إلى المشرق، وتصدر للتدريس بفاس فقرأ العلوم المختلفة، وعليه درس محمد بن الصادق بن ريبعون وأبو الربيع سليمان الحوات العلمي.»فهرسة بن ريسون« ص9، و«ثمرة أنسي»، ص23، و«حاشية الرهوني»، 1/ 15 و«فهرس الفهارس» 1/ 162، و«شجرة النور الزكية» 357، و»دليل بنسودة» 2/ 320.

(2) هو عبد الله ابن وهب بن مسلم أبو محمد الفهري ت 197 هـ 812 م الإمام الحافظ المحدث، الثقة المصنف، تلميذ الإمام مالك بن أنس، قيل هو الذي أدخل المذهب المالكي إلى مصر، لقد نقل عبد الحي الكتاني هذا النص كما ورد عند ابن وهب في فتواه في شأن الجهاد وشروطه، وكذا عند الإيجي في شرح مقاصده عن شروط عزل الإمام، وعند ابن الأزرق «سبب الملك وشروطه» ج 1 ص 105، و«ترتيب المدارك» ج1/ ص427 و430 و«الديباج»، ج1/ ص 413، انظر كتاب «دعوة الحق» رقم 20 (المجموع المذهب في أجوبة الإمامين ابن وهب 197 هـ وأشهب 204 هـ جمع وتوثيق حميد لحمر ، نشر وزارة الأوقاف المغربية، 2009، ص 41.

(3) أبو الحسن علي بن هاشم العراقي الحسني الفاسي. ت/ 1194 هـ/ 1880م، من أهل فاس بها ولد وبها نشأ، أخذ عن الشيخ التاودي بن سودة وابن عمه الحافظ ادريس العراقي وعبد الرحمان المنجرة، اشتهر بعلم النحو والأدب وتصدر للتدريس وأفاد بعلمه فأخذ عنه خلق كثير وله فهرسة قال عنها الشيخ الكتاني أنها توجد بخزانته. «ثمرة أنسي» ص.23، و«فهرس الفهارس»1/ 346، و«شجرة النور الزكية» ص357، و«دليل المؤرخ بن سودة» 2/ 320.

مثل فعلهم. ولا يقتل مومنا مسلما لأجل الجهاد إلا كافر، فهو كمن قتله لأجل إيمانه؛ فقياسه عليه واضح ظاهر».

«وحكمه: أنه يستتاب من فعله الذميم، الذي يقصيه من دار النعيم، ويدنيه إلى دار الجحيم. فإن تاب: فيمكن منه أولياء المقتولين؛ ليقتلوه قصاصا، وإن لم يتب: فيقتل حدا لكفره وقد خسر خسرانا مبينا، ويحق عليه قوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُّتَعَمِّداً... ﴾[1] الآية، فالسيف يحكم عليه على كل حال، فهذا هو الحق!».هـ.

فإذا كانت نصوص شرعنا المقدس تحكم على المولى عبد العزيز المخلوع بما ذكرنا؛ فكيف يسمى سلطانا بعد، أو تلزم أحدا بيعته أو طاعته؟، لا. لا؛ ما أمر الله أن يطاع إلا أولوا الأمر منا في قوله سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾[2]، وهو ليس من أولي الأمر ولا منا...

أخرج مسلم في صحيحه عن عبادة بن الصامت - رضي الله عنه- قال: دعانا رسول الله ﷺ فبايعنا[3]، فكان فيما أخذ علينا: أن بايعناه على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا، وعسرنا ويسرنا، وأترة علينا، ولا ننازع الأمر أهله. قال: «إلا أن يكون كفر بواحا عندكم من الله فيه برهان..»، قوله عليه السلام: بواحا: بالواو والراء، والأول أكثر، وهما بمعنى، يقال: باح بالشيء: إذا ظهر واشتهر، فالمعنى: إلا أن يكون كفرا ظاهرا مشتهرا. قاله الأبي في شرح مسلم.

ونقل عن القاضي عياض[4] ما نصه: «لا خلاف أنه يجب على المسلمين عزل الإمام إذا فسق بكفر، وكذلك إذا ترك إقامة الصلاة، والدعاء إليها، أو غير شيئا من الشرع». انتهى من الأبي، ونقله ابن الشاط[5] في حاشيته أيضا.

---

(1) سورة النساء: 4/ 93.

(2) سورة النساء: 4/ 59.

(3) أخرج الحديث الإمام الهيثمي في «مجمع الزوائد»: 5/ 227. وابن عدي في «الضعفاء» 2/ 585، 6/ 2121.

(4) القاضي عياض سبق الكلام عليه في ص58، هـ3.

(5) قاسم بن عبد الله بن محمد بن الشاط الأنصاري ولد بمدينة سبتة عام 643 هـ/ 1245م وتوفي آخر عام 723 هـ/ 1323م. وردت ترجمة وافية له في كتاب: «**الإحاطة في أخبار غرناطة**» لسان الدين بن الخطيب تحقيق عبد الله عنان نشر الخانجي مصر/ ج 4/ ص.217 وما يليها. و«**نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**» للشيخ أحمد بن محمد التلمساني/ ج الثاني/ ص. 694 والجزء الخامس/ ص 232 و247 و468

وأولوا الأمر في الآية المذكورة ليس منهم عبد العزيز قطعا؛ لأن المراد في الآية: من وجبت طاعته من الأمراء والولاة. وهو قول أكثر السلف في الآية، واستدل بعضهم بما جاء من قبل الآية: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾[1].

وقد علمت أن صاحب الرباط ليس ممن تجب طاعته؛ لعدم توفر شيء من شروط الملك فيه، فإنه لم يصل إليه بالاستحقاق بل بالتغلب والاستبداد، وقيل المراد بأولي الأمر في الآية: العلماء. وقد علمت أنه ليس منهم. وقيل: هم أصحاب سيدنا محمد ﷺ.. فإذا؛ المولى عبد العزيز ليس بسلطان شرعي، وخلعه ثابت لا مفند له.

فإذا طالع المطالع المنصف ما أوردنا من نصوص شرعنا المقدس، المتضمنة للحكم بتعين خلع بيعة عبد العزيز عن أعناق المسلمين، وإزالة رفعته عن قلوب المومنين، فكيف يسوغ لأحد أن يسوء الظن بالسادات العلماء، بارك الله في جموعهم وحفظها من التشتيت، وينسبهم- على سبيل التهمة- للإكراه فيما صدر منهم من الإفتاء بتعين خلعه، بل وإيقاعه بالفعل؟!، فمعاذ الله أن يظن ذلك بهم ظان، أو يوشي به شيطان، فما عرف أحد منهم- والحمد لله - قط بالخروج عن جادة الشرع، ولا الاستهانة بشيء من الحرم الدينية في أصل ولا فرع. بل إلى الآن هم على ما عليه كانوا، وبالوصف الذي به دعوا وعرفوا..ولا فيهم إلا من ندم واستغفر، وبذنبه أقر، مما صدر منه سابقا مما أكره عليه في الحقيقة وفي نفس الأمر، فمن ظن بهم الآن سوءا أو نسب إليهم شيئا يخالف ما أعلنوا به؛ فقد كذب وافترى، وضل ضلالا مبينا.

و515. تواليفه منها: «أنوار البروق في تعقب مسائل القواعد والفروق» و«غنية الرافض في علم الفرائض» و«تحرير الجواب في توفير الثواب» و«فهرسة حافلة» تحقيق إحسان عباس/ دار صادر لبنان/ طبعة 1988.

(1) سورة النساء : 4/ 58.

قال الله العظيم: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [1].

وقال تعالى:

﴿ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾[2]، وقال في الآية الأخرى: ﴿وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيراً.. ﴾[3].

فعلماء فاس هم الذين خلعوا صاحب الرباط وتقلدوا ذلك، ونبهوا العامة على ما يفعلون، وإلا؛ فما عسى العامي السوقي أن يصنع، وماله والتداخل في هذه المداخل؟!، فبالعلماء يذهبون، وبهم يجيئون، وهم معولهم في بيوعاتهم وشراآتهم، وأنكحتهم..

ولقد صدق تخمين صاحب الجريدة في قوله: «والظاهر أن للعلماء في الدسيسة يدا..الخ». وقد يصدق الكذوب...

وبالجملة: فما ألقى هذه الدسيسة الكاذبة والزعم الباطل؛ وهو: دعوى الإكراه في الخلع. إلا أشياع المخلوع يدلون بها بين الدول، وحاشا وكلا أن تكون لذلك حقيقة، أو يسند إلى عاضد أو شاهد، فالكل يتبرأ من ذلك، ويحمي نفسه وسمعه وبصره أن يكون عضو من أعضائه كارها لما وقع أو غير راض به. بل الكل داع ومبتهل إلى الله سبحانه أن ينصر سلطاننا المعظم، وخاقاننا المفخم، مولانا الإمام ظل الله في الأرض والأمان، سيدنا عبد الحفيظ الغازي بن الذي أنبته الله محبته في القلوب النبات الحسن؛ السلطان ابن السلطان: مولانا الحسن[4]، أيد الله بعزيز

---

(1) سورة النحل: 16/ 116-117.

(2) سورة آل عمران: 3/ 61.

(3) سورة النساء:4/ 52. وعن اللعن والسب، جاء في كتاب «الشفا» للقاضي عياض 476-544هـ. في هذه النازلة من سب الله جل جلاله أو الرسول ﷺ فقد ورد بما هو نصه... **(ولا خلاف في قتل من سب الله وأن اللعن إنما تستوجبه من هو كافر وحكم الكافر القتل)** / ص 544/ طبعة دار الفكر بيروت 2001. لكن باسم حقوق الإنسان، أصبح اليوم كل شيء جائز!

(4) راجع ص19/ هامش 3.

نصره أوامره، وظفر عساكره، وأسعد موارده ومصادره، وخلد مآثره ومفاخره، ووصل له مجد الدنيا بمجد الآخرة... آمين، لا أرضى بواحدة حتى يقول جميع الناس: آمين..

سيسليك عما فات دولة مفضل أوائلـه محمـــودة وأواخــره

ثنى الله عطفيه وألف شـخصه على البرمذ شـدت عليه مآزره

وغير خفي عن المطالع المتأمل ما تضمنه هذا الرد من بيان خزعبلات تلك الجريدة الطاغية؛ فإنها هولت، وأبرقت وألا عدت، بما تضمن ترهات وسفسطات، ولا عجب؛ فقد تحقق المغاربة أجمع بخيانتها وسوء دسائسها وعظيم ضررها.

وليعلم مديرها أنه: ما كان يحمل الناس على التهافت على دفع الاشتراكات فيها، والشوق إلى مطالعتها إلا شدة الرغبة في الاطلاع على نوايا الإفرانساويين بهذه البلاد. وإلا؛ فهم أغنياء عن نصائحها وتفوقاتها بما عندهم من صادق الذكر وحق الكلام المنزل، ولذلك ما التفت الناس إلى ما هولت به في عددها الأخير، ولا أنغضوا له رأسا، بل صار عندهم ضحكة ومسخرة؛ لعلمهم أن ذلك منها ضرب في حديد بارد.

وليعلم أيضا: أن في هذا القطر العامر من يسمها بسهامه النافذة، ولكن يظن كثير من ذوي الاقتدار على الكلام من الرجال العظام أن الإعراض عن ذلك أولى، والشغل بغيره أحسن وأعلى، وأجلى وأغلى، على مذهب من كان ينهى عن لعن إبليس مع أنه أعظم ضار للدين والدنيا، ويقول: تسبيحة أو تهليلة أفضل عند خالق البرايا من لعنه والازدراء به، فإنه ملعون، من رحمة الله مغبون.

فكذلك؛ ما اتخذنا ما عنينا بكتابته في هذه الوريقات إلا فكاهة يتفكه بها صغارنا، ومسرحة فكر يتسلى بها أواسطنا، وإلا؛ فاشغل عن ذلك كله أفيد وأحسن حالا، والاعتناء بالجليل من الأعمال المهمة أفضل دواما واستقبالا، مع أنا تنكبنا عبور واد السب والهجو الذي سلكه، ومررنا من بحر الصفح ولين الخطاب الذي

ذهب وتركه، مع أن أهل المغرب هم الذين يقال: إن جل حديثهم سب ومهاجاة، وأهل التمدن العصري على عكس ذلك في المحاورات والمخاطبات..

ولكنا أقمنا له شاهدا على نفسه أنه ليس بناصح، ولا يريد سلوك النهج الناجح، فما للناصح وسبه من ينتصحه، أويعيره بشيء فيفضحه؟، كيف والحق قد أصبنا، وميزان الاعتدال سلكنا فيما فعلنا؟!!.

ولكني أقول متمثلا ما أجاب به بعض المغاربة بعض أهل مصر حين كتب إليه يسبه؛ ولعله كان مبعوثا من طرف جريدة المقطم[1] أيضا: «أما بعد؛ فإنك قد عرفتنا فهجوتنا، ولو عرفناك لأجبناك!!!».

والله المسؤول[2] أن يكفينا ما أهمنا من أمر دنيانا وأخرانا، ويسبل رداء العفو فيما جلبناه على أنفسنا من الأضرار، وخالطناه من الأشرار، والظن أنا لا نعدم- إن شاء الله - أحرار الأفكار، الذين يأخذون لنا الحق ممن لا ينصفنا في هذه الدار وتلك الدار..

قاله وكتبه الفقير المقصر: محمد عبد الحي بن الشيخ عبد الكبير الكتاني الإدريسي، وفقه الله آمين. في جلستين؛ أولاهما: من بعد مغرب يوم الأربعاء رابع وعشرين حجة، وثانيهما: من بعد ظهر يوم الخميس سادس وعشرين حجة، ختام

---

(1) المقطم: لقد ظهرت عدد من الصحف في مصر وعن طريق الإتحاد الذي جمع بين صروف ونمير ومكريوس سنة1303هـ / 1885 أصدروا مجموعة من الصحف كان أهمها مجلة «المقتطف» التي كانت تصدر كل أسبوعين وقد أنشئت أول مرة في بيروت وانتقلت إلى القاهرة. و«المقطم» هي صحيفة يومية تنشر الأنباء السياسية وكانت موالية لبريطانيا وتتعاطف مع الإصلاح. وتطورت سنة / 1307هـ 1889 إلى أن أصبحت تنافس جريدة الأهرام، التي كانت تؤيد سياسة الآستانة. المرجع/ كتب «دائرة المعارف الإسلامية»/ عدد 11 «الجريدة والصحافة عند المسلمين» لجنة الترجمة / دار المعارف الإسلامية/ إبراهيم خورشيد عبد الحميد فونس حسن عثمان/ دار الكتاب اللبناني/ ص. 76/ الطبعة الأولى 1984-1405هـ ونرى أن الشيخ ذكر جريدة المقطم لمعرفته الواسعة بما يصدر من صحف في المشرق وغيره من البلدان، ويعرف اتجاهاتها والقضايا التي تدعو لها وطبعا ذكره لجريدة المقطم ليثبت للجمهور المغربي أن جريدة السعادة التي تصدر بطنجة والمقطم بالقاهرة. إذ الأولى كانت تخدم مصالح فرنسا الاستعمارية والأخرى تعمل لتحقيق أهداف ومصالح بريطانيا الاستعمارية.

(2) ويختم الفقيه عبد الحي الكتاني كلامه بالرد على جريدة السعادة بالدعاء وحسن الخاتمة انطلاقا من فضائل الأخلاق الإسلامية التي تربى الشيخ الكتاني عليها وتشبع بها في بيت الشرفاء الكتانين وزاويتهم.

عام 1325. قائلا: «سبحانك اللهم وبحمدك. أشهد أن لا إله إلا أنت. أستغفرك وأتوب إليك. عملت سوءا وظلمت نفسي؛ فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت»[1].

والحمد لله رب العالمين

انتهى نص المفاكهة

(1) أخرج الحديث الإمام الترمذي في «السنن» تحت رقم 3433. والإمام أحمد في «مسنده» 3/ 405، و4/ 420، والمنذري في «الترغيب والترهيب» 2/ 411، و«مصابيح السنة» للبغوي 6/ 254. وابن كثير في تفسيره 7/ 415.

التقاريظ

الحمد لله؛ قد تلي هذا المؤلف الجليل على جميع أهل الطبقة الأولى من علماء فاس - حفظها الله من كل باس - في مجمع حافل بدار خليفة مولانا المبجل، الحلاحل الأجل، البطل القمقام، الشجاع المقدام، شريف النسبتين؛ مولاي عبد السلام الأمراني، فأثنى الكل واستحسن، وأطلق فيه للحق الراجح، وسلوك مؤلفه المنهج الواضح.

للإشارة فقد أصدر عبد الحي الكتاني سنة 1326 هـ 1908 م عن مطبعة الدويب بالخط الفاسي. قال صاحب الدليل إنه رد فيها على وديع كرم اللبناني الذي كان رئيسا لتحرير جريدة السعادة كانت تصدر بطنجة[1].

(1) انظر مصطفى القصري «الكشاف البيبليوغرافي لمدينة فاس»، نشر 1992 ص 190.

تقريظ أحمد بن عبد الواحد ابن المواز

ولله در الفقيه العلامة، الكاتب الأول للجناب السلطاني، البارع في الصناعتين، والحائز للفضيلتين؛ أبي العباس سيدي أحمد بن عبد الواحد ابن المواز السليماني، حيث قال مرتجلا، وهو أحد من حضر ذلك المجلس الحافل:

ابن الدين إلا أن يؤيد ناصره ... وتشرق من بعد الخفاء مظاهره
وينجز وعد الله فيه بعزة ... يقوم بها من تستنير سرائره
ويُحمى على رغم المكايد ركنُه ... وتُشرق من بعد اكتئاب بشائره
ويجبر من حنث عقائد صدقه ... إلى جبر ما يُخشى ويُكسر كاسره
ففي الحشر قد يُنفى عن الحوض خائرٌ ... يقهقر مرتدا ويجزيه قاهره
قواعد نصر جدد الله حكمها ... بمن نسخت رسم الفروق مآثره
إمام بدا كالصبح والليل داهم ... فزيحت بأنوار الضياء ستائره
إمام همام للأمانة حافظ ... بغيرة دين لا يرى من يغاير
إمام تلافى عرش أسلافه وقد ... تداعت بكيد الكائدين معاصره
وصان الرعايا حيث صارت كأنها ... صريمٌ بسوء الرعي تاهت نوافره
فداركها لطفا بهمة مخلص ... ونجدة حام لا تُفل بواتره
وعلم تجلى للهداية نجمه ... وفضل تعم المخلصين مواطره
وحلم تحوط المومنين ستوره ... وباس تسوم المعتدين بوادره
وصرخة مقدام إذا اضطرم الوغى ... تحف بنصر لا يزال يظاهره

لسيدنا عبد الحفيظ خصائص ... ووصف كمال ليس يحصيه شاكره

إليه قلوب المسلمين توجهت ... على رغبة قد قلدتهم أوامره

فدانوا له واستصرخوه لدينهم ... ولولاه ضاعوا واعترى الشعب ضائره

وقاموا بأمر واجب كان كلهم ... قد انطبقت قِدْما عليه ضمائره

فلا يدعي إكراههم غير من له ... دسائس تقرير جلتها مخابره

كأن له جهلا بأسباب ما جرى ... بي فهْو سماع لذاك وناظره

فما زعْمه إلا لإدراك غرة ... تفك العرى، والله للدين ناصره

فدانوا له واستصرخوه لدينهم ... ولولاه ضاعوا واعترى الشعب ضائره

ويكفيه في بسط الردود وشرح ما ... جرى في الورى: هذا الكتاب وناشره

«مفاكهة» قد عُجلت لمن ادعى ... يكف بها عيْرَ العثار وسائرُه

فلله منها نبذة كان فيضها ... من النور فيضا لا تحور مفاخره

وفت بحقوق صُدقت بدلائل ... بها يُدحض العادي وتُنفى مناكره

بذلك عبد الحي أحيى معالما ... من الرشد لا يبقى بها من يجاوزه

فما هو إلا كوكب يُهتدى به ... وبحر من العرفان عز مُناظره

ولا عجب في الدر يعلو نفاسة ... فمن معدن الدر النفيس جواهره

سلالة أخيار وصنو ولاية ... وشبل كبيرٍ لا يُرى من يكابره

جزاه إله العرش خير جزائه ... على نَبذة العلم الذي طاب عاطره

وأبقاه بدرا لا يحور كماله ... وروضا أنيقا تستفاد أزاهره

بجاه الذي نرجوا شفاعة حلمه ... لذا الحشر إذ يستنفر الكل حاشره

عليه صلاة الله تشمل آله ... صلاة تُنَجي الخلق مما نحاذره

تقريظ عبد الحفيظ بن الطاهر الفاسي

بسم الله الرحمن الرحيم
وصلى الله على سيدنا محمد وآله

وللفقيه العدل الأكمل، المرابط الأفضل؛ سيدي عبد الحفيظ بن محمد الطاهر الفهري نسبا، الفاسي دارا ولقبا، كان الله له ولوالديه...آمين.

الحمد لله، أحمده وأستعينه وأستغفره، وأصلي وأسلم على نبيه أبي القاسم محمد بن عبد الله وعلى آله.

أما بعد؛ فيقول العبد المستغفر عبد الحفيظ بن محمد الطاهر الفهري نسبا، الفاسي دارا ولقبا، كان الله له: إن من يعترف بالحق، ويرى الفضل لأهله، ويريح نفسه من التعصب الذميم الذي وصلنا بسببه إلى أقل درجات الانحطاط بين سائر أفراد العالم؛ هو الإنسان الكامل في الإنسانية، التي بها يمتاز عن سائر الحيوانات، وإلا فألئك: ﴿كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلا﴾.

الواجب على كل فرد فرد أن يجتهد فيما يعود نفعه في الدارين عليه وعلى أبناء ملته ووطنه، ويروض نفسه على الأعمال التي تكسبه شرفا بين أقرانه، وتبقي له بعد الموت ذكرا وأثرا. فإن من مات ولم يترك بعده أثرا يذكر به؛ كأنه لم يخرج إلى هذا العالم.

وقد مضى أئمة في أزمنة غابرة، وقرون متطاولة، خلد لهم التاريخ في بطون الدفاتر من المآثر في خدمة الملة والدين والوطن، والدفاع عن ذلك ما تهتز الأرواح وتنشرح الصدور عند سماع ذكره، فهم ما ماتوا ولن يموتوا.

ولازال- ولله الحمد- في الزوايا خبايا، وفي الخبايا بقايا، وفي الخلف من ينهج على نهج السلف؛ يدافعون عن الحق، ويذبون عنه، ولا عليهم في العاند.

وكفى شاهدا على هذا: ما سطره حضرة الغيور المفضال، العالم المتبحر النظار؛ مولانا السيد عبد الحي الكتاني الشهير، فإنه حمل على مدير جريدة «السعادة» بجيش جرار من الأدلة الصحيحة، والحجج القطيعة، وبين الأسباب الموجبة لمبايعة مولانا أمير المؤمنين، حامي حمى الملة والدين، سلطان العلماء وعالم السلاطين، محيي ما اندثر من آثار أسلافه الطاهرين، المجاهد في سبيل رب العالمين؛ أبي المعالي مولانا عبد الحفيظ الغازي، نصره الله، ونصر عساكره وجنوده، ورفع على ألوية أعدائه أعلامه وبنوده. والأسباب الموجبة لخلع مولاي عبد العزيز - تاب الله عليه - وعدم إكراه العلماء على ذلك، بيانا يبصره كل من ليس على قلبه غشاوة الحقد.

فأصبح الكل وأمسى واضحا وضوح الشمس في رابعة النهار، والقمر في ليلة أضحيان، وسقط به اعتراض من قصر في العلم باعه، وطال في الجهل وأدى العباد دراعه، وتخذ بطر الحق وغمص الناس سلما إلى ما يحبه ويرضاه، يولع لسانه مجادلا بغير علم ولا هدى، ولا كتاب مبين.

فإن كان مدير هذه الجريدة من دعاة المدنية والتمدن، وذوي الحرية والعدل، والإنصاف والشجاعة الأدبية كما يدعي؛ فحين يقف على هذا المرقوم العجيب، يكف عن هذه الخطة الشنعاء التي سود بها وجه جريدته أمام العالم أجمع، وإلا؛ فلا نرى هذا المحور الذي يدور حوله يلحقه إلا بالهمجية المحضة، والتعاليم البربرية، لانسلاخه من حرية الفكر والضمير، والحق أحق أن يقال، وما ذا بعد الحق إلا الضلال؟.

حرر في محرم الحرام فاتح عام 1326 هـ

تقريظ العباس التازي

وللفقيه العالم العلامة المفتي؛ أبو الفضل سيدي العباس التازي ارتجالا حين تُلي عليه هذا المؤلف الناطق بالحق:

لعبـد الحي فضل ليس يـخفى　　　تـضيء بـه الليـالي المدلهمـة

يريد الحاســـدون ليطفئـوه　　　ويأبـى الله إلا أن يتمـــــه!

قد تم - بحمد الله- بتصحيح مؤلفه أطال الله بقاءه، تحت ظل أمير المؤمنين، وناصر الملة والدين؛ سيدنا ومولانا عبد الحفيظ الغازي ابن مولانا الحسن، اللهم أعنه وكن له حيث ما كان، بجاه سيد ولد عدنان. وذلك يوم الثلاثة 15 محرم الحرام، عام 1326، بخط العبد الفقير، أحمد بن محمد الحضري، وطبع بمطبعة المعلم الأنمق: الحاج أحمد ابن الحاج الطيب الأزرق، حفظ الله طباعه...آمين.

نظرا لأهمية ما نشره الشيخ عبد الحي بعد المفاكهة في فترة الحماية عن البيعة في الفكر السياسي الإسلامي والفكر السياسي المغربي له فتوى في البيعة نشرتها مجلة «وجهة النظر»، العدد 8-9 مزدوج، سنة 2000، والنص ورد كما يلي:

وثيقة:

فتوى لمحمد عبد الحي الكتاني

في البيعة وخلع السلطان



وقع السؤال عما كثر الخوض فيه هذه الأيام من العوام وأشباههم، وجرى على ألسنة الأجانب هنا وهناك. كأنه من الضروريات المقطوع بها . وهو: أن العلماء في القرويين هم الذين يختصون في الدين الإسلامي دون غيرهم من طبقات الأمة كالعلماء والزعماء والوجهاء وباقي الطبقات، خلع السلاطين ونصبهم. وأن هذا العمل الجاري في المغرب من يوم كان للإسلام فيه دولة.

وبالغ في الدعوة لهذا الاحتكار فئة من المدرسين أغلبهم في الابتداء صرحوا بأنهم هم المختصون بذلك. وإن نصب الإمام أو خلعه من اختصاصهم وحدهم دون سواهم من طبقات الأمة في أي بلد كانوا. وحيثما وجدوا في السهول والجبال، في الحضر والبر، والبدو والقرب وهم وحدهم الأمناء على الدين وحرسه.

ولما كانت هذه المسألة من الخطر بمكان أردت أن نرجع فيها لأصول التشريع وأقوال أئمة الدين، لتظهر الحقائق وتعرف كيف يلبسون للدين ما هو منه براء، فأقول والله المستعان وعليه التكلان. إن هذه المسألة مبسوطة بأوضح ما يكون في كتب الأئمة والفقهاء من القرن الثالث والرابع الهجري وما بعده. أي:

من زمان الأشعري والباقلاني وإمام الحرمين والفخر الرازي وابن عرفة، وعضد الدين وسعد الدين وغيرهم. وذلك في كتبهم المطبوعة والمخطوطة الموجودة في المكاتب بجميع أمصار المسلمين. فمن ذلك: قال الإمام ناصر السنة أبو بكر بن الطيب. الباقلاني في كتاب «التمهيد» // (طبع مصر). إنما يصير الإمام إماما بعقد من يعقد له الإمامة من أفاضل المسلمين الذين هم من أهل الحل والعقد. والمؤتمين على هذا الشان..(بنصه).

فنراه ينص على أن الإمامة تنعقد بأفضل المسلمين الذين هم من أهل الحل والعقد. والمؤتمنين على هذا الشأن. ثم قال في باب هذا العدد الذي تنعقد به الإمامة، تنعقد وتتم برجل واحد من أهل الحل والعقد. وهكذا لم يبق دليل على أنه يجب أن يعقدها سائر الناس أو عدد منهم مخصوصا، لا يجوز عليه الزيادة والنقصان.

وقد قال الباقلاني في محل آخر: «إذا حضر نفر من المسلمين ؛ تمت البيعة».

وفي الإرشاد لإمام الحرمين الجويني (ص 23. طبع الجزائر): «اعلموا أنه لا يشترط في عقد الإمامة الإجماع؛ بل تنعقد الإمامة وإن لم تجمع الأمة على عقدها. فلم يثبت عدد معدود ولا حد محدود، والوجه الحكم بأن الإمامة تنعقد بعقد واحد». انتهى منه. هذه عبارته.

والبيعة لا تخص المدرسين بالقرويين الآن. بل أهل الحل والعقد وهم: أهل هذا الشأن في الأمة، وكالزعماء الحقيقيين. والعمال. وسائر أرباب الحيثيات؛ ومنهم: العلماء..

وقال الإمام عضد الدين في «المواقف» مع شرحها لسيدي الجرحاني (ص 606، المطبوع بمصر عام 1260): «تثبت الإمامة بالنص من الرسول ومن السابق، وتثبت ببيعة أهل الحل والعقد عند أهل السنة والجماعة، والمعتزلة، والصالحية من الزيدية ثم قال: «وإذا ثبت حصول الإمامة بالاختيار والبيعة؛ فاعلم إذا لم يقم على ذلك دليل: الواحد والشخاص من أهل الحل والعقد كاف في ثبوت الإمامة!».

وقال الإمام سعد الدين في «المقاصد» وشرحها (ص 281. طبع الآستانة عام 1305): «إن الإمامة تثبت عند أكثر الخلق باختيار أهل الحل والعقد؛ وإن قلد». من غير أن يشترط إجماعهم على ذلك، ولا عدد محدود. بل ينعقد بعقد واحد منهم!

وفي «المقاصد» قال: «من صار إماما بالقهر والغلبة ينعزل بأن يقهره آخر ويغلبه..».

وفي شرح الكمال ابن أبي شريف على «المسايرة» لابن هشام: «يثبت عقد الإمامة: إما باستخلاف الخليفة، وإما بيعة جماعة من العلماء المشهورين من أهل الرأي...» انتهى.

وعند الأشعري: «يكفي واحد من العلماء المشهورين من أهل الرأي». انتهى (ص 281. طبع بمصر عام 1319).

وفي نظم الإمام ابن زكري التلمساني لـ «المقاصد»: وتمت لواحد بعقد غيره وعهده يَسير ذا السيرعلى الشروط فيها المعتبرة... إلخ.

قال أبو العباس عالم فاس المنجور: «قوله: وتمت لواحد بعقد غيره. ظاهر لو كان ذلك الغير واحدا وهو مذهب الشيخ والقاضي والإمام. أعني: أن الإمامة تنعقد لمن يصلح لها بعقد رجل واحد من أهل الحل والعقد. إن كان عالما بالكتاب والسنة، موصوفا بالعدالة والورع والتجربة. والدليل على ذلك : إجماع أهل الاختيار على صحة إمامة عمر بعقد أبي بكر، ولم يعتبر فيه رضى علي!»

ثم قال ابن زكري: إن عاقدها من وصفه المعتبر العلم والعقل بشرط الذكر

وقال المنجور: «ذكر لأهل الحل والعقد - وهم : أهل الاختيار - ثلاث شروط: الذكورة، والعدالة والعلم الذي به يتوصل إلى معرفة من يستحق الإمامة على الشروط المعتبرة في الإمامة عند أهل السنة».

قال المنجور: «وكان ينبغي أن يزيد في الشروط: ما يؤدي إلى الاختيار. ومن هو للإمامة أصلح، وبتدبير المصالح أقدر..».

قال السعد: «وتنعقد الإمامة بطرق: أحدها: بيعة أهل الحل والعقد من العلماء والرؤساء، ووجده الناس يتيسر حضورهم من غير اشتراط عدد ولا اتفاق من سائر البلاد، بل لو تعلق بواحد مطاع ؛ فكفت بيعته!».

ونحونه للشيخ اللقاني في شرحه الكبير على جوهرته، وزاد قائلا: «إن البيعة عقد يوجب أن لا (؟) يعقدونه كسائر العقود ؛ وهذا مذهب الأشعري. بل حكى الإمام أبو المعالي عليه الإجماع » (انتهى).

ونحو هذا للشيخ عبد القادر الفاسي في تأليفه في الإمامة، وهو مطبوع بفاس.

وآخر ما طبع بمصر من التفاسير: تفسير المراغي؛ وقد جاء فيه صحيفة 12 الجزء الخامس، على قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ [النساء: 59]. قال في تفسيرها: «أولي الأمر: هم الأمراء والحكام والعلماء، ورؤساء الجند، وسائر الزعماء الذين يرجع إليهم الناس في الحاجات والمصالح العامة.. فهؤلاء إذا اتفقوا على أمر أو حكم ؛ وجب أن يطاعوا فيه. بشرط: أن يكونوا أمناء، وأن لا يخالفوا أمر الله. ولا سنة رسوله التي عرفت بالتواتر».

وقال في محل آخر: «أولي الأمر: أهل الحل والعقد الذين تتفق بهم الأمة من العلماء، والرؤساء في الجيش والمصالح العامة ؛ كالتجار والصناع والزراع، ورؤساء الأحزاب، والعمال ومديري الصحف ورؤساء تحريرها».

فيستخلص لنا من هذه النصوص:

أولا: أن البيعة تنعقد ولو بواحد من العلماء والرؤساء المشهورين، من أهل التجارب الذين عاركوا الحياة والسياسة والحروب والحكم. فكيف إذا اجتمعت؟!!

ثانيا: أن مبايعة الإمام بواسطة أهل العلم فقط لا نص عليه ؛ لأن أهل العلم من أبعد الناس عن السياسة. قاله ابن خلدون في مقدمة تاريخه.

ثالثا: نرى من نصوص الأئمة المتقدمين؛ كالباقلاني وإمام الحرمين وعضد الدين، وسعد الدين وابن أبي شريف وابن زكري التلمساني، والمنجور واللقاني والشيخ عبد القادر الفاسي وغيرهم؛ (أنهم) كلهم ينصون على أن الذين تنعقد بهم البيعة هم أهل الحل والعقد من سائر طبقات الأمة. أمرهم على هذا جار على أصول الشورى في الإسلام، والديمقراطية الحقة المقررة. هذا في عموم بلاد الإسلام.

وأما في خصوص بلاد المغرب. فقد جرى العمل على هذا في مبايعة السلاطين بما فيهم الدولة العلوية، فقد كان العبيد وقواد الجيش (؟) وهذا يعرف من تتبع تاريخ الزياني وأكنسوس والناصري وغيرهم.

بل قال الزياني في «الترجمان المعرب» حين كلامه على خدمة مولاي سليمان. قال: «لما مات اليزيد اجتمعوا أهل الحل والعقد: أمراء العبيد وأعيان البربر الذين (هم) عصبة المغرب بنصبه». يعني: أهل الحل والعقد بالعبيد والبربر.

وقد جاء في بيعة أهل فاس للسلطان مولاي سليمان وهي مثبوتة في صحيفة 130 من الجزء الرابع من «الاستقصا» أنه: حضرها الصدر والأعيان، وأهل الوجاهة في هذا الزمان، وذوو الحل والعقد ومن إليهم القبول والرد من علماء أعلام وأصحاب الفتاوى والأحكام، وعظماء أشراف كرام، ورماة وولاة أمراء، ورؤساء أجناد، والمتقدمين في كل ناد، من عرب البدو والحضر، وجيوش العرب والبربر وهذه البيعة بتاريخ عام 1206.

وقد ذكر في «الاستقصا» ص 160 أن أهل فاس لما خلعوا المولى سليمان ؛ كتبوا إلى قواد البربر يستنصرونهم، ويستقدمونهم للنظر في الخوض معهم فيمن يتولى أمر الناس، فقام الحسن بن حم واعزيز المطيري - كبير آيت إدراسن - في وجوه قومه فاجتمعوا بأهل فاس وتفاوضوا في أمر البيعة، فوقع اختيارهم على المولى إبراهيم بن اليزيد ؛ فاختاروه لذلك، ثم قالوا: إن السلطان لابد له من مال ورجال، فتكفل

ابن واعزيز بالرجال، وقال عنده من الخيل والرجال ما لم يغلب من قلة، وتكفل الحاج ابن جلون بالمال.

وحضر هذه البيعة شريف وازان ومولاي العربي الدرقاوي وكان ابن الغازي الزموري من أخص أتباعه وهو رئيس البربر في ذلك الوقت، وعليه وعلى ابن واعزيز كانت تدور هذه الأمور، وحضرها أيضا أبو بكر أمهاوش، ورئيس كبير آيت أومالو. إلخ» القصة.

فنرى أهل فاس هرعوا إلى قواد البربر ورؤساء الزوايا؛ وهم كانوا يقودونهم..

ولما مات مولاي إبراهيم في تطوان، وبايعوا مولاي السعيد بن اليزيد ؛ كتب البيعة خطيب القرويين سيدي المجذوب الفاسي ؛ كان موافقا له ومشايعا له، فأحضروا القواد والشرفاء والأعيان، وأهل الزوايا؛ كالوزانيين والريسونيين. وفي نصوص البيعة تسميتهم بالتفصيل بما لا يوجد في بيعة أخرى، وهي موجودة في «تاريخ تطوان» للأستاذ محمد داود التطواني.

ولما تكلم في «الاستقصا» على بيعة السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن ص 21 قال: «قدمت عليه بيعة أهل الحضر من فاس ومكناس وجميع الجيش، وسائر أهل الحل والعقد من أعيان القبائل والبربر...».

ولما ذكر بيعة أهل مراكش له قال: «حضر عامل البلد، وقائد الجيش السوسي، وقواد الحوز من الرحامنة وغيرهم». فالمدار عندهم على أهل الحل والعقد، وهم: أهل العصبية والبصر بالأمر الخاص المتكلم به.

وفي بيعة السلطان مولاي الحسن وولده مولاي عبد العزيز وقع مثل ذلك، وبيعته محفوظة عندنا صورتها فتغرافيا.

ولما اختل أمر السلطان مولاي عبد العزيز آخر أمره ؛ انتدب لخلعه بمراكش القائد المدني المزواري، والباشا الحاج التهامي المزواري ؛ فجمع الناس من قضاة وأعيان وقواد، عامة وخاصة؛ وخلعوا الأول وبايعوا مولاي عبد الحفيظ، وكان من عقد الخلع والبيعة : قاضي مراكش سيدي محمد بن الطيب الفاسي.

وحين بلغ الخبر لمولاي عبد العزيز ؛ جمع العلماء بالقصر السلطاني بفاس. وكانوا إذا ذاك في كثرة فمنهم القاضي سيدي محمد العراقي، و بن القرشي، وسيدي احميدة بناني، والسيد أحمد ابن الخياط... وأمثالهم من الموجودين كالسيد التهامي كنون والسيد المهدي الوازاني؛ فأفتوا بأن مولاي عبد الحفيظ باغية ثائر، تجب محاربته.

وبعد نحو خمسة أشهر لما ثار أهل فاس، وكان شيخ الربيعة مولاي إدريس بن الوافي الإدريسي وجماعته جمعوا العلماء الذين أفتوا بمحاربة المولى عبد الحفيظ البارحة؛ فبايعوه غدا ! وبذلك عمت بيعته البدو والحضر..

ولما أمضى عقد الحماية مع السفير رينو المولى عبد الحفيظ، وكان من فصولها التزام فرنسا بحماية العرش ظن أن هذا الفصل ينفعه، ففعل ما بعد ؛ فورط نفسه في أشياء منها: مذبحة فاس على يد العسكر. فجرت عليه القتال؛ فأخر وانتصب السلطان مولاي يوسف - رحمه الله - وهكذا ؛ لم ينتفع السلطان عبد الحفيظ بالفصل الذي أملاه هو نفسه في عقد الحماية. ثم لم ينفعه من الخلع.

ولما مات مولاي يوسف وأراد من أراد نصب سيدي محمد - السلطان الحالي - لم يستشر أحد، بل لما حضر الناس واجتمعوا ؛ طلب منهم إمضاء البيعة من غير أن يعلم أحد منهم من الذي بايعوه، ولازالت هذه البيعة مكتوبة بمداد ليس هو المداد الذي كتب به اسم المبايع، وكان في الوقت أيضا: الجنرال دومثانبران يمشي في القصر هو والمستشار مارك بين المدافع المنصوبة.

ولما سئل القاضي معروف الوزير الصدر عن ولي العهد؛ نصر ثم عزل بعد نحو شهرين .

وليس من المعقول ولا من المقرر في قاعدة الديمقراطية أن يغمط حق جماعة كبيرة العدد والحيثيات تخالف جماعة صغيرة العدد والحيثيات.

فأصبح من الواضح البين: أن القاعدة في المغرب وغيره، وأن الخلع والبيعة يحضرها العلماء والقضاة ليمضوا ما استقر عليه الحال في كل زمان وعصر من لدن مولاي إسماعيل إلى الآن.

وقد عرفت - فيما سبق - بما جرى في زمن مولاي عبد الحفيظ وكيفية الإعفاءات عن العلماء أمام الأمر الواقع، وصورة هذه الواقعة موجودة بظلها بالتصوير الشمسي... والله بصير بالعباد. كتبه : محمد عبد الحي الكتاني

الخزانة العامة كناش رقم: كـ 2822

داء العطيب قديم

رأي المولى عبد الحفيظ في أخيه المولى عبد العزيز

وفي الأخير نشير إلى كيف كان ينظر المولى عبد الحفيظ إلى أخيه المولى عبد العزيز أنه ليس كفؤاً لتحمل مسؤولية السلطنة إذ جاء بقوله : «خلع نفسه قبل أن يخلعه الناس»، انظر المولى عبد الحفيظ ومؤلفه الذي كتبه بعد إبرام الحماية: «داء العطب قديم»، الخزانة الحسنية رقم ز 11400 ص 7 و8. وقد سلمني مشكورا صورة من مخطوط داء العطب القديم الأستاذ الفاضل أحمد شوقي بنبين عالم المخطوطات وعلم تنظيم المكتبات وفهرستها، فشكراً له ولأمثاله، وندعو له بطول العمر والصحة والعافية لإتمام مشاريعه العلمية بإذن الله.

ومما يجب ذكره أن الشيخ عبد الحي استدل في «المفاكهة» وأكثر من استشهاداته التاريخية والفقهية راصداً التأصيل الشرعي والتنزيل الواقعي مثبتا أن استعانة المولى عبد العزيز بغير المسلمين على المغاربة ردَّة وكفر، ونلاحظ أن المولى عبد الحفيظ تنطبق عليه نفس النازلة وإن كنا لا نتفق مع الشيخ عبد الحي ونعتبر أن هذا الحكم مبالغا فيه بالنسبة للمولى عبد العزيز. وقد عانى الشيخ عبد الحي الويلات والمآسي هو وأسرته والمغرب وإن أحسن المولى عبد العزيز للزاوية الكتانية أكثر من أخيه المولى عبد الحفيظ سلطان الجهاد الذي أبرم عقد الحماية سنة 1912 بعد تخليه عن الشروط المتفق عليها مع علماء المغرب في بيعته من بداية سلطنته.

وقد قاسى المغرب نتائج سياسته والدسائس والمؤامرات التي دُبرت من قبل الاستعمار وأعوانه وأدت إلى سقوط المغرب واحتلاله في آخر المطاف.

كيف وصل خبر إبرام عقد الحماية إلى نفوس المغاربة؟

وبخبر إبرام اتفاقية الحماية تزايدت الانتقادات ضد المولى عبد الحفيظ وعم الحزن والحنق جميع أوساط الشعب المغربي «من علماء وشرفاء إلى البقال» ووقعت انتفاضة أيام فاس الدامية واستمر الجهاد وحرب التحرير في الأطلس المتوسط والصغير لكن الأطلس الكبير إلى سنة 1934.

وأخيرا وليس آخرا هل ولدت البيعة المراكشية الحفيظية مجهضة بحكم غياب مفهوم عمق التوازن الاستراتيجي من منظور عسكري لدى علماء بيعة مراكش وفاس، وهل الجيش المغربي بذلك التدبير والحالة التي كان عليها باستطاعته أن يواجه القوة العسكرية الفرنسية التي كانت تمتلك مدافع وطائرات وأسلحة فتاكة بينما القوة المغربية تعود أسلحتها إلى عصر التخلف والتأخر، وفي هذا المضمار جاء مثل بليغ: «يستغرب الشيطان ممن يريد الحرب بلا سلاح والعلم بلا قلم».

فالمولى عبد الحفيظ تجاوز شروط البيعة المراكشية وذهب إلى «مشرع الشعير» وبدأ يتفاوض مع رجال القوات العسكرية الفرنسية، وقدم تنازلات مثل ما فعل المولى عبد العزيز أو أكثر، ويتضح ذلك في المعاهدة المغربية الفرنسية 1330هـ - 1912 م التي أبرمها المولى عبد الحفيظ مع الحماية الفرنسية إذ جاء في الفصل الثاني من الاتفاقية المشار إليها ما يلي : «جلالة السلطان يساعد من الآن على الاحتلالات العسكرية بالإيالة المغربية التي تراها الدولة واجبة لاستتباب السكينة والتأمين على المعاملات التجارية...» [1].

ومعاهدة الحماية أوردتها «مذكرات من التراث المغربي» الجزء الخامس، ص 88. والنص منشور في كثير من المطبوعات بالعربية والفرنسية، ويذكر عبد الهادي التازي أنه اطّلع على النص الأصلي موقعا من المولى عبد الحفيظ بخاتمه[2] وإن كان غيره يشك في توقيع المولى عبد الحفيظ على اتفاقية الحماية .

(1) انظر ابن زيدان، إتحاف أعلام الناس تتمة الجزء الخامس صدر باسم الجزء السادس تحقيق وتقديم عبد اللطيف الشاذلي، نشر وزارة الأوقاف المغربية 430 هـ 2009م ص 336 وما يليها .

(2) انظر مصطفى القصري كشاف بيبليوغرافي لمدينة فاس نشر 1992 ص 182.

وانظر كذا وزارة التربية الوطنية بالمغرب «المغرب من العهد العزيز إلى سنة 1912 نفس المصدر السابق ص 188.

المصادر والمراجع

* **المخطوط:** المظاهر السامية في النسبة الكتانية جزآن، مخطوط الكادلي محمد.

* ابن ابراهيم، العباس بن محمد السملالي المراكشي، الأعلام بمن حل بمراكش واغمات من الأعلام، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، ج 7، ط 3، المطبعة الملكية 1997.

* ابن زيدان، مولاي عبد الرحمان، إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس، المطبعة الملكية، ج1.

* ابن زيدان مولاي عبد الرحمان، العز والصولة في معالم نظم الدولة، المطبعة الملكية، 1961، 2 أجزاء.

* ابن زيدان مولاي عبد الرحمان، الدرر الفاخرة بمآثر ملوك العلويين بفاس الزاهرة، مطبعة الاقتصادية الرباط، 1937.

* برادة ثريا، الجيش المغربي وتطوره في القرن التاسع عشر، منشورات ك. أ. ر. مطبعة النجاح الدارالبيضاء 1997.

* بوجندار، محمد بن المصطفى الرباطي، الاغتباط بتراجم علماء الرباط، تحقيق أحمد بن عبد الكريم نجيب دار نجبوية 2008.

* بوعشرين الحسن بن الطيب بليمني، التنبيه المعرب عمّا عليه الآن حال المغرب، تقديم وتصريح محمد المنوني، مطبعة المعارف الجديدة الرباط 1994.

* السوسي، محمد المختار، إيليغ قديما وحديثا، المطبعة الملكية الرباط 1966.

* الشابي مصطفى، الجيش المغربي في القرن التاسع عشر (1830-1912)، المطبعة والوراقة الوطنية.

* المنوني محمد بن عبد الهادي، مظاهر يقظة المغرب الحديث، جزءان مكتبة المدارس الدار البيضاء.

* داود محمد، تاريخ تطوان، ج 10.

* بن عدادة آسية، الفكر الإصلاحي في عهد الحماية، نشر المركز الثقافي العربي.

* السوسي محمد المختار، المعسول، ج 4 طبعة المغرب.

* الكتاني محمد بن جعفر، نصيحة أهل الإسلام، تحقيق ادريس الكتاني، مطبعة بدر الرباط 1989.

* الإيلاني صالح بن عبد الحليم، مفاخر البربر، تحقيق عبد القادر بوباية، نشر دار أبي رقراق الرباط، ط2، 2008.

* الفاسي علال، النقد الذاتي، نشر مؤسسة علال الفاسي 2008.

* الفاسي علال، الديمقراطية وكفاح الشعب المغربي من أجلها، نشر مؤسسة علال الفاسي.

* الفاسي علال، المغرب العربي منذ الحرب العالمية الأولى، نشر مؤسسة علال الفاسي، الرباط، ط 3، 2010.

* الفاسي علال، حفريات دستورية

* الخديمي علال، الحركة الحفيظية 1894-1912، نشر دار أبي رقراق، 2009.

* الخديمي علال، التدخل الأجنبي والمقاومة بالمغرب، نشر افريقيا الشرق، 2006.

* المغاري مينة، مدينة مكادور الصويرة، نشر دار أبي رقراق 2005.

* دادي مارية، تاريخ مدينة وجدة من التأسيس إلى 1830 جزئين نشر كلية الآداب وجدة 2005.

* فارس خيري، المسألة المغربية (1900-1912) نشر دار الشروق سوريا، ط2 ، 1980.

* الحريشي، المدرسة الناصرية بفاس مطبعة النجاح الدار البيضاء 2003.

* الجمال شوقي، تاريخ كشف افريقيا واستعمارها، مكتبة الأنجلو .

* العلوي زين العابدين، المغرب من عهد الحسن الأول إلى الحسن الثاني، ج 1، المطبعة الوراقة الوطنية 2008.

* الكتاني محمد الباقر، ترجمة الشيخ الكتاني الشهيد، تحقيق نور الهدى الكتاني دار ابن حزم 2005.

* المنصور محمد، المغرب قبل الاستعمار ترجمة محمد حبيدة، نشر المركز الثقافي العربي، ط 2، 2012.

* بن الصغير خالد، بريطانيا وإشكالية الإصلاح في المغرب، نشر دار أبي رقراق الرباط 2003.

* برحاب عكاشة، المغرب وفرنسا من سياسة حسن الجوار إلى الاحتلال العسكري طبع ربانيط 2007.

* برحاب عكاشة، من قضايا الحدود بين المغرب والجزائر، نشر دار أبي رقراق الرباط 2003.

* المنصوري أحمد، كباء العنبر تحقيق محمد بن الحسن، نشر المندوبية السامية للمقاومة ط 1، 2004.

* الفاسي عبد الحفيظ، معجم الشيوخ، المطبعة الفاسية.

* عياش جرمان، أصول حرب الريف، ترجمة محمد الأميزالبزاز، وعبد العزيز التمسماني خلوق نشر الشركة المغربية المتحدة الرباط.

* ابن الأزرق أبو عبد الله، بدائع السلك في طبائع الملك جزءان تحقيق سامي النشار ونحن من مساعديه، نشر وزارة الإعلام العراق 1977.

* گنون عبد الله، أحاديث عن الأدب المغربي، نشر دار الثقافة الدار البيضاء.

* المريني عبد الحق، لمحة عن الحركة الدستورية بالمملكة المغربية، المطبعة الملكية، الرباط 2011.

* الروندة الصديق، العلامة محمد بن عبد السلام الروندى، طبع ربانيت 2010.

* فونتير عبد الإله، العمل التشريعي بالمغرب، ج 1، 2011.

* المشرقي محمد بن المصطفى، الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية، جزءان نشر وزارة الأوقاف المغربية.

* بوشعراء مصطفى، الاستيطان والحماية، ج 1و2.

* بوطالب عبد الهادي، النظم السياسية المعاصرة، دار الكتاب الدار البيضاء 1981.

* غلاب عبد الكريم، التطور الدستوري والنيابي بالمغرب، 1908-1988 مطبعة النجاح.

* حركات ابراهيم، المغرب عبر التاريخ، ج 3، نشر دار الرشاد الحديثة الدار البيضاء.

* الكتاني زين العابدين، الصحافة المغربية نشأتها وتطورها ج 1.

* رياض محمد، شيخ الإسلام أبو شعيب الدكالي الصديقي، جزءان دار النجاح الجديدة، ط 2، 2009.

* الهواري الشيخ محمد، دليل الحج في السياحة.

* گنون عبد الله، التعاشيب، الطبعة المهدية بدون تاريخ.

* الجابري محمد العابد، المغرب المعاصر الخصوصية والهوية، نشر المركز الثقافي العربي، ط 1، 1988.

* مكاوي أحمد، المغرب في تاريخه المنسي، نشر جذور 2006.

* بياض الطيب، المخزن الضريبة والاستعمار، نشر افريقيا الشرق.

* الطالب أخيار بن الشيخ، الشيخ ماء العينين علماء وأمراء في مواجهة الاستعمار الأروبي، نشر مؤسسة مربه ربه 2007.

* الفگيگي حسن، الشريف أمزيان شهيد الوعي الوطني، نشر ربانيت 2008.

* بيضا جامع، وقفات في تاريخ المغرب، منشورات كلية الآداب الرباط 2001.

* الونشريسي أبي العباس أحمد بن يحيى، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل افريقيا والأندلس والمغرب ج 6 نشر وزارة الأوقاف المغربية 1401هـ.

* الوزاني محمد حسن، حياة وجهاد ج 1 مؤسسة محمد حسن الوزاني دار الغرب الإسلامي 1982.

* الناصري أحمد بن خالد، الاستقصا لأخبار دول المغر الأقصى ج 9 دار الكتاب 1956.

* الشابي مصطفى، النخبة المغربية في مغرب القرن التاسع عشر، منشورات كلية الآداب 1995.

* الحجوي محمد بن الحسن، انتحار المغرب الأقصى بيد ثواره.

* الدكالي محمد بن علي، الإتحاف الوجيز تاريخ العدوتين تحقيق مصطفى بوشعراء منشورات الخزانة الصبيحية بسلا 1986.

* الكتاني جعفر بن ادريس بن الطائع الإدريسي، الشرب المحتضر والسير المنتظر من معين أهل القرن الثالث عشر تحقيق محمد حمزة الكتاني، دار الكتب العلمية بيروت ط 1، 2007.

* الكتاني محمد بن جعفر الإدريسي، سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والعلماء بمدينة فاس، تحقيق محمد حمزة الكتاني وآخرون دار الثقافة الدار البيضاء.

* الكتاني عبد الحي بن عبد الكبير، فهرس الفهارس والإثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، تحقيق إحسان بن عباس دار الغرب الإسلامي بيروت 1986.

* الفاسي ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية الرباط ط 1999.

* مجلس الأعيان ومشروع الإصلاحات الفرنسية بالمغرب سنة 1906 في الإصلاح والمجتمع في القرن التاسع عشر، كلية الآداب الرباط 1983.

* المجموع المذهب في أجوبة ابن وهب، جمع وتقديم د. حميد لحمر كتاب «دعوة الحق 20» نشر وزارة الأوقاف المغربية 2009.

* Martin A.G.P. "Quatre siècles d'histoire marocaine" 1504 -1912.

* Taillondier (Saint-René), "Les origines du Maroc français récit d'une mission 1901- 1906) Paris Plon 1930.

* Laroui Abdellah, "Les origines sociales et culturelles du nationalisme marocain 1830 - 1912) centre culturelle Arabe 2009.

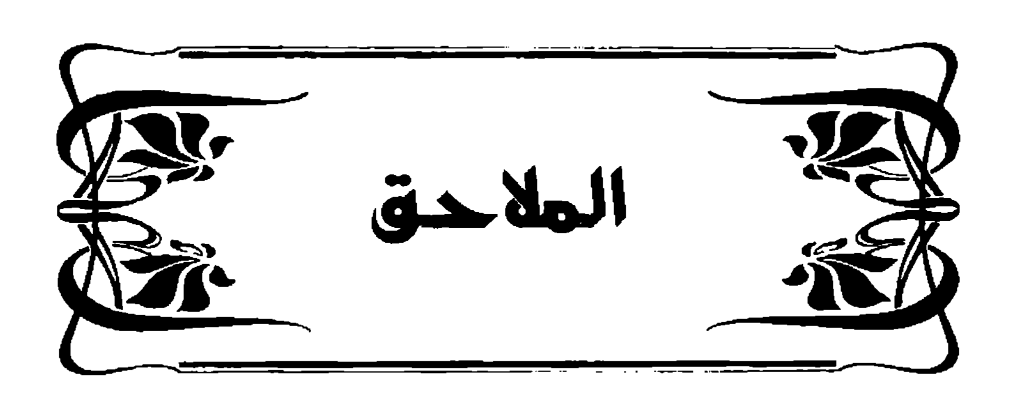
* ARNOUD Luis, "Au temps des mehallos ou le Maroc de 1860 à 1912" Casablanca 1952.

* Baida Jamaâ, "La presse marocaine d'expression français, des origines à 1956" Rabat 1996.

* Simou Bahija, "Les Reformes militaires au Maroc de 1844 à 1912, Rabat 1995.

* VEYRE. Gabriel, Dans l'intimité du Sultan Moulay Abd-el-Aziz" ed. Afrique Orient 2010.

* NEISGERBER, "Au Seuil du Maroc moderne" ed. la porte 1947.
* Miège, (JL), Le Maroc et l'Europe 1813 -1894, ed. la porte Rabat.
* KENBIB Mohamed, "Les portegés étrangers au Maroc"- Rabat.
* Alaoui Abdelhadi, "le Maroc face au convoitises Européen 1830- 1912".
* Henri Terrasse, "Histoire du Maroc" 2 vol.
* OVED-J, "la gauche Français et le nationalisme marocain" 1905- 1955, paris 1988.
* Capitaine breveté H. Rozet :" la bataille d'Isly 14 Aout 1844)" Paris.
* Voinot Louis, "Oujda et l'Amalot", ed la porte 2010.
* Otmain Hamza bendriss, "Kaddour ben ghabarite", ed Marsam 2010.
* Walter B. Harris, "le Maroc disparu", planparis 1929.
* Ghennan (y), "les relations Franco allemandes", Alger 1876.
* Leonhard Krow, "Neuf Années au service du Maroc", ed la porte.
* Bouillon Jacques Anne Marie son, "Avec la collaboration de française Brunel", ed Bordas, Paris 1978.
* Azan Paul, "Souvenirs de casablanca", Paris Hachette 1911.
* Ayache Germain, "les origines de la gumre du Rif", SMER- Rabat 1990.


الملاحق

الحمد لله وحده — وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

خديمنا الأرضى النائب الحاج محمد الطريس وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله و
بعد [illegible]
[illegible] والأمير [illegible]
المعينين المذكورين [illegible] مع [illegible]
[illegible] الشريف [illegible]
[illegible] جنابنا الشريف [illegible] جميع ما
عليه [illegible]
[illegible] المذكور [illegible]
[illegible] مع [illegible] والأمير المذكور [illegible]
بالمرسى المذكورة [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] عليه [illegible]
[illegible]
[illegible] مع [illegible] المذكور [illegible]
[illegible] عليه [illegible]
[illegible]
[illegible] مع [illegible]
[illegible]
[illegible] والسلام [illegible] عام 1312

[illegible]

(101) رسالة من السلطان مولاي عبد العزيز
الى نائبه في الشؤون الخارجية الحاج محمد الطريس.
5 ذي القعدة 1312 (30—4—1895)

الحمد لله وحده   وصلى الله على مولانا محمد وآله [illegible]

(طابع) عبد العزيز [illegible]

يعلم من كتابنا هذا أسماه الله وأعز أمره وجعل في الصالحات طيه ونشره أننا بحول الله [illegible] وقوته وشامل يمنه ومنته [illegible] خليفة بن سويد العين التكني [illegible] وأسدلنا عليه أردية التوقير والاحترام وأجريناه على [illegible] الاحترام [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في 24 شوال عام 1313

ظهير السلطان مولاي عبد العزيز
يسدل به اردية التوقير والاحترام على السيد خليفة بن سويد العين التكني.
24 شوال 1313 (8—4—1896)

الحمد لله وحده

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

خديمنا الأرضى الحاج محمد الطريس أعانك الله وسلام عليك ورحمة الله

وبعد وصل كتابك معلما بما أنهيته بما أشاع بعض كبانيات تجار النجليز

من إبرامهم الموافقة مع جوار أهل الساحل بوادي نون على قبول

ورود التجار المذكورين لأرضنا وتجارتهم معا لهم وعزمهم على التوجه للزريبة

ونهيك زجرهم عن التصميم عليه بعد ما عارضتهم وعارضوهم بالتكذيب

والتخطئة حتى صار الناس يتحدثون بصحة ما شيعوه وعلمنا ما أشرت

به في ذلك وصار بالبال وقد كان بلغ علمنا الشريف الخبر بما ذكرتم مع

زيادة أن زعم المتجول صدور الإذن المخزني لهم في ذلك وكنا نتحير في إصدار

تكذيب ذلك والاستغناء على [illegible] حصول اليقين بتعذر هذا الحديث

وعلى كل حال فها كتابنا الشريف الانشاء يرد عليك صحبته بما تعتمد عليه

في جوابه كفاية فاعمل عليه والسلام في 14 رجب الفرد الحرام عام 1314

رسالة من السلطان مولاي عبد العزيز

الى نائبه في الشؤون الخارجية الحاج محمد الطريس

14 رجب 1314 (19-12-1896)

الحمد لله وحده

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله



[illegible]

رسالة من السلطان مولاي عبد العزيز
الى نائبه في الشؤون الخارجية الحاج محمد الطريس
14 رجب 1314 (19—12—1896)

ظهير السلطان مولاي عبد العزيز
يولي به محمد الامين بن علي التكني الحسني قائدا على قبائل
المويسات وأيت حسن ونصف يكوت من قبائل تكنة
21 رجب 1314 (25ـ12ـ1896)

الحمد لله وحده — وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

خديمنا الارضى القائد البلال بن احمد التكني وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله
وبعد فقد امرنا بتوجيه من يقوم بواجب العمالة هنالكم بمحمد لاية ولما
هو يريد تعمير المحل مع ظاهر المخزن حميا للقبائل فيلزمك ان تكون معه
على بال وتشد عضده وتجري معه على السيرة التي كنت عليها مع المخزن في
القبائل اعانك الله وقد امرنا العامل المذكور بخمس المطارية معكم والاجراء
على المعهود لكم والسلام في فاتح جمدى الاولى عام 1326

رسالة من السلطان مولاي عبد العزيز
الى القائد البلال بن احمد التكني.
1 جمادى الأولى 1326 (1—6—1908)

الحمد لله وحده   وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

خدامنا القبائل ايت موسى وعلي ويكوت واولاد ادريس والركيبات واولاد تدرارين وفقكم الله وسلام
عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد فقد ولينا عليكم خديمنا القائد ابراهيم الخليل بن الحبيب
ابن بيروك الودنوني وامرناه بالنظر في اموركم فنامركم ان تسمعوا وتطيعوا له ولينا له من الامر والنهي
في امور خدمتنا الشريفة اسعدكم الله به واسعده بكم وعلى الكل بالجد في رضاه والسلام في 14 ربيع عام 1327

ظهير السلطان مولاي عبد الحفيظ
يولي بمقتضاه ابراهيم الخليل بن الحبيب بن بيروك الوادنوني
قائدا على قبائل ايت موسى وعلي ويكوت وأولاد ادريس والركيبات وأولاد تدرارين.
14 ربيع الثاني 1327 (5—5—1909)

الحمد لله وحده   وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه

اسعد الله ونا ... محبنا ونائب سيدنا الاسعد سيدي محمد بن محمد الجباص امنك الله وسلام على سيادتك ورحمة الله
ورضى مولانا حفظه الله وبعد فليكن في علمك ان طلب ... الشريف برعيه سيدنا الوزير بارك الله مولاي اولاد ... عبد
الى ... وجميع الذين ... الشيخ ... الذين ... الارض وكلهم ... تابعين
على يد امير ... وهو السيد محمد ... بيع ... ابن ... مؤونة الوصيف ... وبقية
مؤونة الشيخ ... المذكور ... الامير المذكور ... بن ... الامير المذكور
من ... ووقع ... ثم ... الامين الشيخ المذكور ... وطلب من الامير المذكور ... عليه
مؤونته واستقدم الشيخ ... الامير المذكور على يد القائد ... المؤونة ... به
وذمته ... عليه القائد ... الامير المذكور ... الشيخ ... عليه بعض ... عليه
... ثمانية ريال ... الشيخ ... المذكور ... عليه ...
بامكم ... الشيخ ... القائد ... الشيخ واستوى ... الجنيرال
وكتبنا للقنصل ... الشيخ ... لا ... الشيخ ... موضوع ... الشيخ
... لتنبيه ... الله ... والسلام في 2 شعبان
الابرك عام 1327   عامله ... سالم العمراني لطف الله به

رسالة من عامل اسفي سالم العمراني
الى النائب السلطاني في الشؤون الخارجية محمد الجباص.
2 شعبان 1327 (19-8-1909)

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

خديمنا الأرضى القائد ابراهيم ابن بيروك التكني وفقك الله
وسلام عليك ورحمة الله وبعد فنأمرك أن تحمل الأولاد ابن عمنا
مولاي ادريس ابن عبد الرحمن بن سليمان والمصاحبين لهم الكنز تجعل
بمحلهم والسلام في 20 شعبان عام 1327

رسالة من السلطان مولاي عبد الحفيظ
الى القائد ابراهيم بن بيروك التكني
20 شعبان 1327 (6-9-1909)

وداع الوديع

صورة من جريدة السعادة، ودع بوجندار وديع كرم أحد رجال الإعلام الفرنسي بالمغرب جاء بعنوان «وداع الوديع» كما جاء في نص الصورة،

عدد 1888 بتاريخ 26 - 2 - 1919 الموافق ل1337هـ.

بعد كتب ما نقل بسنده من خط الشيخ ابي سعيد مولانا عبد الحي
الكتاني رحمه الله كتب الي ما نصه بالحرف اقول الحمد
قال حفظكم الله وقفنا على تعليق الشاب بعض برجوع — حريث
الملثمين بالاصل الى حمير وهو ما الغرض الذي من حريث ذي [illegible]
وهو ابن اخي النجاشي عن النبي صلى الله عليه وسلم فقال كان الامر في
حمير فنزعه الله منهم فجعله في قريش وسيعود اليهم
قال الحافظ ابن حجر وسنده جيد وهو شاهد قوي لكون حريث
القحطاني ولان حمير يرجع نسبه الى قحطان اهـ انظر
ص سنة ٤٩ من عون الباري المطبوع بهامش ٥ جزء من
[illegible] وانت ان معرفة هذا الحريث في [illegible] دولة
الملثمين المرابطين وغيرهم كالزناتيين ممن ملكوا بالمغرب
وخصوصا دولة الملثمين فانها عزت وحكمت واستولت
على الجزيرة مع [illegible] بالاندلس والسيرة على منهج الخلفاء
الراشدين واذا لم يكن الحريث يشير لهم ويجوز حميرية صنهاجة
ولبيت مصراعه اذ حمير لم يعرف لهم ملك في [illegible] الاسلامي
الا بالمغرب فتامله فانه عجيب اهـ

رسالة الشيخ عبد الحي الكتاني رد فيها على مقال نُشر بجريدة السعادة تحدث فيها، عن كون فريقش الحميري هل غزى افريقية وعن كون صنهاجة من سلالات حمير وقد ناقش الشيخ هذه المسألة اعتمادا على كتابات تاريخية نادرة

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله

الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى أما بعد فهذه رسالة
في تجويز دخول إفريقش الحميري إفريقية وأبنائه أن قبيلة صنهاجة
حميرية عربية النسب كتبناها في نظر الفضلاء الذين المشتغلين
[illegible] جريدة السعادة في عدد [illegible] سنة [illegible] بتاريخ
[illegible] رجب على ٤٠ سؤالا [illegible] المستعار [illegible]
من نفى كون صنهاجة حميرية بناء على نفي كون إفريقش الحميري
غزى إفريقية واستدل على ذلك [illegible]
ولذلك نحو الكلام هنا في فصلين
الأول في كون إفريقش الحميري هل غزى إفريقية
الثاني في كون صنهاجة من سلالة حمير
أما كون إفريقش الحميري غزى إفريقية فهو أمر مقرر معروف عند
الجميع من المؤرخين والمحققين فمنهم [illegible] الأئمة [illegible]
المغرب والمشرق [illegible] بعد أحوال [illegible] في [illegible]
في العبر ص 106 من الجزء السادس في الفصل الرابع [illegible]
[illegible] ما نصه [illegible]

الرسالة التي وجهها قضاة فاس إلى سفير دولة النمسا يخبرونه أن المولى عبد العزيز خلع وأن الملك المولى عبد الحفيظ هو الملك الشرعي وأي تعامل مع المولى عبد العزيز مُلغى.

رسالة من قضاة فاس وعلمائها وأعيانها والمتوظفين بها إلى جناب حضرة سفير دولة بلجيكا يخبرونه أن المولى عبد العزيز خلع وأن الملك المولى عبد الحفيظ هو الملك الشرعي وأي تعامل مع المولى عبد العزيز مُلغى

هذه الرسالة وجهها قضاة فاس إلى سفير دولة بريطانيا ويظهر فيها إمضاء الشيخ عبد الكبير الكتاني من جديد ليظهر تأييده لبيعة المولى عبد الحفيظ سلطان الجهاد، وغيره من العلماء والقضاة والأعيان الذين قاموا بنفس العمل.

الحمد لله وحده   وصلى الله على سيدنا محمد وآله

خديمينا الأرضيين الطالب عبد المالك المتوكي والباشا القايد
ادريس امنوا وفقكما الله وسلام عليكما ورحمة الله وبعد
وصل كتابكما باعلامكما بالحق [illegible] أجمل من سلاح العرب. من
[illegible] عبد السلام [illegible]
[illegible] عليهم [illegible]
[illegible] بالمعقول وصار
[illegible] بحول الله والسلام في 27 قعدة الحرام عام
1329

رسالة من السلطان مولاي الحفيظ
الى القائدين عبد المالك المتوكي وادريس امنوا.
27 ذي القعدة 1329 (19—11—1911)

عن محنة اعتقال الشيخ عبد الحي الكتاني وكتابه الذي كتبه بالمعتقل هذه صورة منه:

ما علق بالبال أيام الاعتقال

ويليه

الاستئناس بشجاعة الرسول صلى الله عليه وسلم

بجمع أربعين حديثا من كلامه

المحبوب المقبول

تأليف

الإمام الحافظ أبي الإسعاد عبد الحي

ابن عبد الكبير الكتاني الحسني

أملاه على ابن أخيه الفقيه العلامة محمد المهدي

ابن محمد بن عبد الكبير الكتاني وهما كانا

معتقلين سنة 1327

عن دور فرنسا التضليلي الذي كان يقوم به "ميشيوبلير" وترويج كذبته التاريخية، أن الكتانيين الأدارسة كانوا يريدون إرجاع الحكم إلى الأدارسة بدل الشرفاء العلويين وهذا مجرد كذب وافتراء، ومؤرخ المملكة عبد الوهاب بالمنصور يؤكد عن ذلك بقوله: «أن الشريف العمراني الذي عقدت له البيعة بفاس بعد قتل عبد الحق المريني لم يطلبها سنة 867 هـ وكذا وقع تاريخيا أن المولى ادريس بويع بفاس ولم تكن له رغبة في ذلك ونادى به البربر ملكا عليهم سنة 172 هـ» والعمراني كما ذكر أبو عبد الله بن الأزرق وهو شاهد عيان أن العمراني عُين ملكا على المغرب ولم يطلبها، ونفس الخبر ذكره أحمد الناصري في الاستقصا، انظر «المفاكهة».

نص الافتراء والتضليل بالفرنسية

Revue du Monde Musulman

2ᵉ Année. JUILLET ١٩٠٨ N° 7.

UNE TENTATIVE DE RESTAURATION IDRISITE A FÈS [1]

I

La révolution qui s'est produite à Fès à la fin de 1907 et qui avait eu pour résultat la proclamation, dans la capitale du Nord, de Moulay Abd El Hafid, déjà proclamé à Marrakech depuis quelques mois, avait été provoquée en grande partie par le Chérif Idrisi Sidi Mohammed bel Kebir El Kittani.

Le secret espoir du Cheikh El Kittani était bien d'être proclamé Sultan lui-même, et on comprend ainsi que l'un des premiers soins de Moulay Hafid, en arrivant à Fès, ait été de le faire arrêter. Son ambition avait tout d'abord failli se manifester franchement, lorsqu'à ceux qui lui opposaient que les conditions qu'il mettait à la proclama-

(1) Cette étude, destinée primitivement aux *Archives Marocaines*, dont elle devait former le commencement du tome XIV, avait été, à ce titre, composée d'avance et tirée à 50 exemplaires, distribués en forme confidentielle. La marche des événements ne s'y opposant plus, nous sommes heureux de pouvoir en faire profiter les lecteurs de la *Revue du Monde Musulman*.

Capitaine breveté H. ROZET

La Bataille d'Isly

(14 Août 1844)

Avec 24 gravures dans le texte et 1 portrait hors texte



Maréchal BUGEAUD



PARIS
HENRI CHARLES-LAVAUZELLE
Éditeur Militaire
10, Rue Danton (Boulevard St-Germain, 118)
—
(MÊME MAISON A LIMOGES)

المعركة التي أظهرت ضعف الجيش المغربي أمام قوة الجيش الفرنسي المستعمل لأحدث الأسلحة آنذاك وأضعفت هيبة المؤسسة العسكرية بحرا وبرا أمام «الماريشال بيجو» وقوته العسكرية انظر ص 29 من كتاب المفاكهة

الحمد لله وحده ‏ ‏ ‏ ‏ وصلاة الله على سيدنا محمد وآله

القصيدة العصماء

التي القاها جلالة مولاي عبد الحفيظ سلطان مراكش السابق في ميدان الاتوال بباريس على قبر الجندى المجهول في حفلات عيد الجمهورية ١٩٢٨

★ الا أيها الجندي لك المدح ينسج ★ ومدح فرنسا في مديحك مدرج ★
★ أراك بقوس النصر قمت مذكراً ★ لكل بأن الصبر للنصر منتج ★
★ وتنفث فيهم روح روح تجددت ★ بها في الوغى بين الورى تتبرج ★
★ نعم لنرى ان الفضيلة ما غدت ★ قرينة من بالموت لا يتزوج ★
★ لئن جهل الاقوام عينك في الورى ★ فنصرك معلوم وفضلك أبلج ★
★ وان كنت فرداً في المشاهد فالذي ★ تمثله جسم به الغير يزعج ★
★ جنود وساسات البلاد وقادة ★ ومن قد علا فوق البروج يبرج ★
★ وحرص وعزم أيدته عصائب ★ من الطير غرثى نارها تتأجج ★
★ وحيتان بحر لا تصاد بحيلة ★ ومن لا يخاف البحر اذ يتموج ★
★ أمن كثرت أوصافه ونعوته ★ له النعت بالمجهول في اللفظ يدرج ★
★ فخذ من محب يا غريب تحية ★ يمازجها ما للقلوب مهيج ★
★ ووداً بشكر لو نأيت وربما ★ أحبك شخص ما عليك يعرج ★
★ فرنسا لقد حق الهنا لك دائما ★ وها جندك المجهول بالشكر يلهج ★
★ لقد خلد الذكر الجميل لجنسه ★ بباهر نصر فيه للكل مخرج ★
★ فرنسا نصرت العدل لما أضاعه ★ هنا وهناك تابع ومتوج ★
★ فكان جزاء النصر نصر ورفعة ★ ومجد مشيد فيه مدحك ينسج ★
★ وملك يدوم في العباد مؤزراً ★ بأنوارة الاذهان بالعلم تسرج ★
★ فرنسا افخري اذ انت أحرزت رفعه ★ على الغير بالخير الذي منك ينتج ★
★ نسيم رضاك للعليل شفاؤه ★ وودك كنز للهموم مفرج ★
★ اتخشى فرنسا الضيم يقرع بابها ★ ومنها علمنا ما به الذل يخرج ★
★ فتيهي دلالا في رفاهية وفي ★ هناء فأنت للمحاسن منهج ★
★ وما قلت إلا النزر مما علمته ★ باخلاص وكاد بالروح يمزج ★

المطبعة الجديدة بطالعة فاس عدد 64

POÈME FRANÇAIS

traduit de la Poésie Arabe

prononcée par Sa Majesté Moulay Abdal Hafid, ex-sultan du Maroc, à l'occasion de la Fête Nationale du 14 Juillet 1928 sur la Tombe du Soldat Inconnu

I

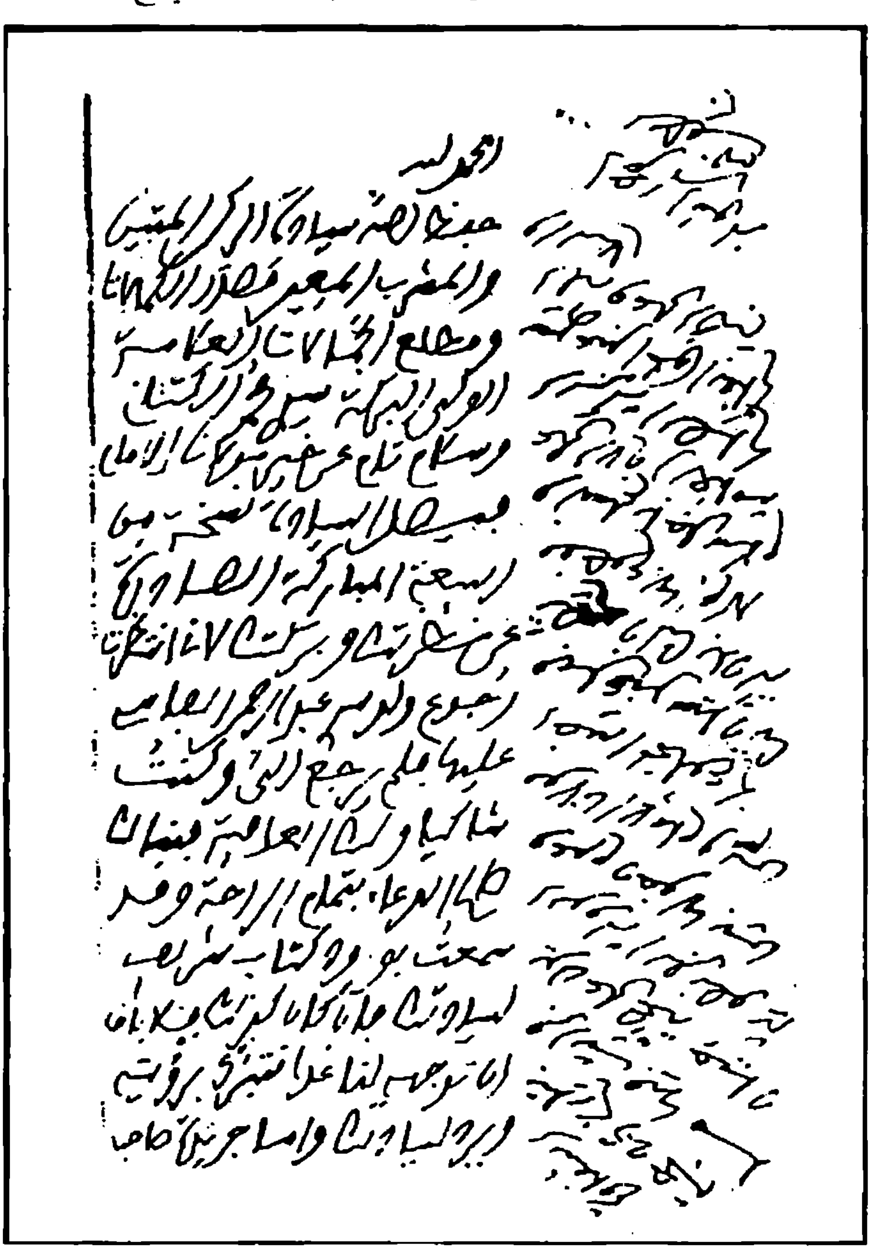
Honneur à toi, héros et sublime salut
Et celui de la France, est dans le tien inclus
Triomphant sous son arc, tu te fais bien comprendre
La Victoire ! C'est la patience qui l'engendre :
Et tu leur communiques, un grand esprit nouveau
Qui dans le vaste monde, élève ton nom haut :
Afin que la vertu, ses périls et ses risques
Se marie avec l'homme au grand cœur et qui risque.
Si ton identité, se voile dans la nuit,
Tes faits sont évidents et ton triomphe luit.
Quoique isolé tu présentes
Une nation bien vaillante
Soldats, Diplomates, Généraux
Engins puissants qui bravent les flots,
Force, tenacité, clémence, grandeur d'âme
Des oiseaux vigoureux, mais qui portent la flamme.
Des baleines impéchables, flottantes
Des bouches à feu, fortes et béantes
Alors ayant ces noms, surnoms, l'a-t-on vu
Par pure aberration, l'appeler inconnu !
Etranger inconnu, reçois d'un francophile
Les plus sincères vœux, de son âme subtile

II

Ses francs remerciements. Et quoique tu sois loin
Il te reste fidèle, en te visitant moins.
Féliciter la France est un devoir suprême
Le soldat inconnu, le répète lui-même
Il sut éterniser, le nom de sa nation
Par la victoire, origine des solutions.
Sujets et couronnés, ont blessé la justice
La France, ça et là, répara l'injustice
Alors la conséquence en couronna l'effort
Et fit de la victoire, un puissant château fort.
Un royaume si grand, sur la terre et sur l'onde
Par l'éclat du savoir, elle éclaire le monde.
Gloire à toi Belle France, et pour toi tout l'honneur
Sublime en proportion, de tes œuvres et faveurs :
Satisfaite ! on le sent ton zéphyr favorable
Et ton amitié, trésor inestimable
Craint-elle la détresse, un instant l'envahir
Elle qui nous apprit, comment la faire sortir.
Gloire à toi Belle France unique et sans rivale
Pour toutes les beautés, c'est toi la capitale.
Et je m'abrège enfin, parlant peu par pudeur
Ma sincère amitié, pour toi du fond du cœur

Imp. Nouvelle — Fès Mellah

من المعلوم أن شروط البيعة الفاسية 1908 كتبها الشيخ الصوفي محمد بن عبد الكبير وأخوه عبد الحي الشاب بعد استشارة كبار علماء فاس وقدمها للعلامة الأديب ابن المواز لكن ابن المواز لم يكتب شروط البيعة التي قدمت إليه، وابن زيدان يشير أن شروط البيعة كانت من إنشاء ابن المواز، والحقيقة أن الذي كتب الشروط هو الشيخ محمد الصوفي ولدينا نسخة تشير أن ابن المواز كتب الشروط الفاسية كما أملاها عليه الشيخ وقد سلمنا هذه النسخة المخطوطة بقلم ابن المواز مشكورا الدكتور الفاضل حمزة بن علي الكتاني قبل أن تنشر في كتاب الشهيد في طبعته الجديدة سنة 2005 بتحقيق الدكتورة الفاضلة نور الهدى الكتاني مع إضافات جديدة)


الحمد لله

رسالة خطية من أحمد بن المواز يذكر فيها أن واضع شروط البيعة الحفيظية هو الشيخ محمد الكتاني الصوفي النوراني

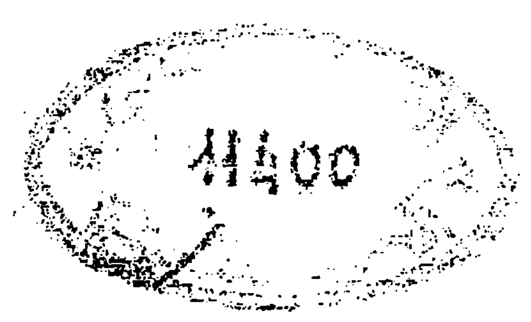
بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله

الحمد لله الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا
وشكر لمن صبر على البلاء [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] كيف يشاء [illegible] من يشاء [illegible]
[illegible]
[illegible] العزيز العليم [illegible]
بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ
بعضهم بعضا سخريا ورحمت ربك خير مما يجمعون [illegible]
[illegible] والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث رحمة
للعالمين [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible]

الصفحة الأولى من النسخة (أ) من مخطوطة "حل المطلب القديم" رقم 11400 ن

ويكفيك منه لا يعلم إلا الحق وما أنا راجيه منك تعول لا عـلى
فضله لا في الدنيا ولا في الآخرة إن شاء الله إذ ذاك لا تعمل
بما ينبغي التحرز منه من علل الجبر والتعويض مما عللناه له من الغني
بالأمور بكتاباته وما تشتمل من تمثيلات النعمة والرياضة عليه
وتفويض ذلك كل الخير وإذا لم تعمل ترى ذلك وجهه وبعد أتى
بتفهيمك ما أدركت منه بذلك الرخص ومعرفة الرخص منا فلا [illegible]
الإعلام من ما رأينا يليق بما في [illegible] ما هو قليل مما أتينا والفقراء
ما طلع منا عليه وتبيين لكم مشكله مما عللناه لا وإلا عرضنا
عليك وتحرير في تقرير كل مسألة مسألة لا تريد الإطالة
وتيسير عبارة أحسن الألفاظ التي [illegible] و[illegible] منها
[illegible] أمرنا [illegible] على [illegible] إليه كل
[illegible] وجهها [illegible] يأتينا [illegible]
كلها [illegible] الله [illegible] آخر [illegible]
انتهى



الصفحة الأخيرة من النسخة (أ) من مخطوطة "حل المطلب قديم" رقم 11400ن


الفهارس العامة

فهرس الآيات القرآنية

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
- «اولائك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون»	المجادلة	22	109
- «ربنا ءاتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا»	الكهف	10	113
- «وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار»	الرعد	42	114
- «إنا لله وإنا إليه راجعون»	البقرة	156	128
- وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل»	الأنفال	60	137
- «قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون»	الزمر	9	139
- «من يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب».	الأنفال	13	145
- «وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين».	العنكبوت	11	145
- إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا»	المائدة	55	166
- «ومن يقتل مؤمنا متعمدا»	النساء	93	168
- «يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم»	النساء	59	168
- «وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل»	النساء	58	169
- «إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون، متاع قليل ولهم عذاب أليم».	النحل	116	170
- «ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين»	آل عمران	61	170
- «ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا»	النساء	52	170
- «كالأنعام بل هم أضل سبيلا».	الفرقان	44	177

فهرس الأحاديث

الآية	الصفحة
- «من يضلل الله فلا هادي له، ومن يهده فلا مضل له»	109
- «إن النبي لا كذب»	115
- «لا يدخل الجنة صاحب مكس»	156
- «ليس على مسلم جزية»	156
- «ألا وكلكم راع ومسؤول عن رعيته»	152
- «حرمة النساء المجاهدين على القاعدين»	166
- «إلا أن يكون كفراً بواحاً»	168

فهرست الأشعار

قافية الباء	
- عبد العزيز لقد ذكرتنا أمما كانت جوارك في لهو وفي لعب	126
قافية الدال	
- أرى العنقاء تكبر أن تصادا فـعانـد مـن تـطـيق له عنادا	159
قافية الراء	
- سيسليك عما فات دولة مفضل أوائـلـه محـمـود وأواخـره	171
- أبي الدين إلا أن يؤيد ناصـره وتشرف من بعد الخلفاء مظاهره	175
قافية الغين	
- خـليـفـة فـي قـفـص بـيـن وصـيف وبـغـا	131
قافية اللام	
- إذا لم تكن مرا لسنين مترجما عن الفضل في الإنسان سميته طفلا	117
قافية الميم	
- الشعر صعب وطـويل سلمه إذا ارتقى فيه الذي لا يعلمه	159
- لعبد الحي فضل ليس يخفـى تـضيء بـه اللـيـالـي المدلهمة	179
قافية النون	
- لا موال الفتاة وما سرت بطبولها إلا لـتـوقـظ أمـة نعـاسة	126

فهرس الأعلام

- ابراهيم بن الحسن (السلطان) 146
- ابراهيم بن اليزيد 186
- ابريشة (السفير) 122
- الأبياري 159
- ابن خلدون (الحاج) 186
- ابن خلدون 185
- ابن زاكور 183
-ابن زكري 183
- ابن الشاط 168
- ابن الصيرفي 154
- ابن عرفة 181
- ابن الغازي الزموري 186
- ابن الهمام 183
- ان واعزيز 186
- ابن وهب 167
- أبو بكر امهاوش 186
- أبو بكر الصديق 183
- أبو بكر بن ادريس بن عبد الرحمان المنجزة 152
- أبو بكر بن زيان الإدريسي 152
- أبو حمارة 123-141
- أبو العباس المقري 153
- أبو عبد الله بن البراء الأندلسي 157
- أبو عبد الله التاودي بن سودة 166
- أبو عمران ابن منظور 156
- أبو الوليد الباجي 158
- الأبي 115-168
- أحمد بن الخياط 187
- أحمد بن محمد المرنيسي 152
- أحمد بن عبد الواحد بن المواز 175
- ادريس بن الوافي الادريسي 187
- اردشير 123
- الأشعري 181-183
- اكنسوس 185
- الآمدي 115
- البقلاني 181-182
- البرزلي 154
- التهامي گنون 187
- التهامي المزواري (الباشا) 186
- الجرجاني 182
- الحجاج 148
- الحسين بن حم 186
- الحسن بن محمد (السلطان) 120-170-179

- الحسين بن علي 128-148
- حميد بن بناني 187
- خالد بن الوليد 138
- الرازي 181
-الزرقاني 158
- الزياني 185
- السعد 184
- سليمان عليه السلام 138
- سليمان بن محمد بن عبد الله (السلطان) 150-185
- السنوسي 151
- الشريف العلمي المجذوب 123
- الطيبي 152
- عبادة بن الصامت 168
- العباس بن احمد بن التاودي بن سودة 152
- العباس بن كيران 152
- العباس بن التازي 179
- عبد الحفيظ (السلطان) 112-118-
139-141-142
- عبد الحفيظ بن الطاهر التهامي 152-177
- عبد الرحمان بن القرشي 187
- عبد السلام بن بوزيد الأزمري (أبو أحمد) 151
- عبد العزيز بن الحسن (السلطان) 109-
114-120-123-126-135-136-
139-143-152-154-168-169
- عبد الملك بن عبد الكبير المري الحسين 152
- عبد الواحد بن أحمد بن سودة 152
- عبد الواحد بن عاشر 161
- العربي بن الهاشمي الزرهوني 152
- العربي الدرقاوي 186
- العربي الفاسي 161
-علي بن أبي طالب 114-138
- علي بن الصديق التوراني 152
- علي بن هاشم العراقي 167
- علي التسولي 152
- عمر بن الخطاب 157-158
- عياض 155-168
- عيسى الماواسي (أبو مهدي) 163
- المجذوب الفاسي 186
- محمد بن ابراهيم الدكالي (أبو عبد الله) 150
- محمد بن أبي بكر بن عبد الكريم اليازغي
(أبو عبد الله) 151
- محمد بن الحسن 167
- محمد بن الحسن بناني (أبو عبد الله) 166
- محمد بن رشيد العراقي 187
- محمد بن حمدون ابن الحاج 152
- محمد بن الطالب ابن سودة 152
- محمد بن الطاهر العلوي 152
- محمد بن الطيب الفاسي 187

- محمد بن عبد الرحمان (السلطان) 186
- محمد بن عبد القادر الفاسي 162-184
- محمد بن عبد الله العلوي 150-165
- محمد علي (حاكم مصر) 125
- محمد داود التطواني 186
- محمد العياشي 161
- المدني المزواري 187
- المراغي 184
- مسلم (صاحب الصحيح) 115-166-168
- المعتمد بن عباد 153-154
- المنجور (أبو العباس) 183-184
- المهدي الوزاني 187
- يزيد بن معاوية 148
- يوسف بن تاشفين 153-155
- الجويني 182
- الناصري 185
- الجنرال منشورات 188
- حميد بناني 187
- المراغي 184

فهرس الأماكن

الاسم	الصفحة
- مدينة فاس	-132-119-90-59-52-31-25-24-15 143-139
- القطانين	15
- مراكش	143-139-136-119-90-47-41-37-25
- طنجة	120-59-36-29
- توات	31
- كوارث	31
- تيدگلت	31
- الجزائر	59-31
- مدينة تازة	35-32
- الناضور	32
- قبيلة بني مستارة	33
- ليبيا	33
- بريطانيا	33
- فرنسا	159-57-47-35-34-33
- اسبانيا	33
- مدينة وجدة	154-140-44-41-37-36-35
- القرويين	52-36
- الدار البيضاء	159-154-147-140-82-51-41-37
- الشاوية	165-82-41
- زمور	47-42
-زعير	47-42

- وادي ام الربيع	47-42
- مشرع الشعير	77-57-51-50-47-45-42
- شنقيط	43
- الحرم النبوي	45
- المدينة المنورة	45
- بني مطير	83-47
- مشرع بن عبو	47
- اولاد عبدون	48
- السنغال	51
- كتنومن	51
- مصر	126-125-55
- سلا	161-141-55
- تونس	59-58
- الحجاز	58
- حلب	58
- الأزهر	58
- الرباط	147-121-120-110-74
- يطو	81
- باب قبسة	87
- البنيقة	87
- الهند	93
- العراق	93
- الحرم الإدريسي	111
- الأبراج	120

- الثغور	160-121
- القلاع	121
- البرج الهائل بالرباط	120
- أندلس	161-143-126
- الاساكل	127
- آسفي	129
- الصويرة	129
- ميناء طرفاية	129
- حاحة	137-136
- السرغنة	137-136
- الجديدة	141-136
- أزمور	141-136
- درعة	136
- صنهاجة	154
- أغمات	155
- بروكسيل	160
- باريس	160

فهرس المحتويات

- لمحة عن السياق التاريخي لشاهد على عصره الشيخ عبد الحي الكتاني الشاب من خلال رسالة «مفاكهة ذوي النبل والإجادة في الرد على مدير جريدة السعادة... 7
- النشأة والمحن التي عقدته واربكته في طور شبابه........................ 9
- الفصل الأول: بوادر ظهور الزاوية الكتانية 1267هـ- 1850م، ومراحل تطورها سنة 1272هـ - 1855م إلى مرحلة تصفية الشيخ محمد الكتاني 1327هـ- 1909 م.. 11
- من هو رائد تأسيس الزاوية الكتانية.................................. 13
- تنظيم الزاوية الكتانية المحمدية....................................... 13
- وفاة الشيخ محمد عبد الواحد وانتقال إدارة الزاوية الكتانية لابنه الشيخ عبد الكبير الكتاني 14
- المرحلة الأولى لبيعة المولى عبد العزيز الشاب ووصاية أحمد بن موسى الحاجب عليه 1894 - 1900م... 14
- كيف تطورت مؤسسة الزاوية الكتانية من المحمدية إلى الأحمدية.......... 15
- الفصل الثاني : كيف طور الشيخ محمد الكتاني مؤسسة الزاوية الكتانية من المحمدية إلى الأحمدية وما هي أسباب إنشائها 17
- توزيع الأدوار بين الشيخين للنهوض بشأن الزاوي دينيا وسياسيا واجتماعيا.. 19
- دور الشيخين محمد وعبد الحي الشاب في نضالهما الديني والاجتماعي والسياسي.. 20
- مولد وتعلم وشيوخ ومؤلفات الشيخ محمد الكتاني بإيجاز.................. 21
- كيف كانت تؤطر الزاوية الكتانية الأحمدية الإبراهيمية مريديها وأتباعها....... 22
- دسائس فقهاء وعلماء المخزن ساهمت في محاكمة الشيخ محمد الكتاني........ 23

- الفصل الثالث: بعد وفاة «ابا حماد» دخل المولى عبد العزيز إلى مرحلة جديدة من حكمه ومواجهة المولى عبد العزيز الاتفاقيات التآمرية وفشل مشاريعه الإصلاحية أدت إلى خلعه سنة 1908 وبيعة أخيه المولى عبد الحفيظ......... 25
- الإصلاح العزيز في المجال المالي والتعليمي والعسكري والإداري.......... 28
- ضريبة الترتيب : اصلاح معاق في مجتمع أمي.......... 28
- التعليم في العصر العزيزي.......... 28
- بوادر ضعف الجيش المخزني.......... 29
- كيف تم تكوين الجيش المغربي..........
- فتنة بوحمارة المدعوم من فرنسا واسبانيا لإضعاف المخزن العزيزي.......... 30
- كيف دخل المغرب في معترك التنافس الاستعماري.......... 31
- المولى عبد العزيز يؤسس مجلس الأعيان لمواجهة الخطر الفرنسي وإفشاله...... 32
- فرنسا تحقق أهدافها الاستعمارية في مؤتمر الجزيرة الخضراء.......... 32
- الفصل الرابع: المولى عبد الحفيظ يحقق غايته بعقد بيعته سلطان الجهاد بمراكش سنة 1325 هـ 1907م.......... 37
- المولى عبد الحفيظ يرسل عدة رسائل لتأييد بيعته سلطانا على المغرب.......... 40
- الشيخ عبد الحي الشاب ينفذ أوامر السلطان المولى عبد الحفيظ لأن بيعته كانت في عنقه.......... 45
- المولى عبد الحفيظ يرفض إدخال نظام الديمقراطية والشورى في سلطته....... 48
- ما هي الأسباب التي جعلت المولى عبد الحفيظ يغير طريقه المؤدية إلى الشاوية والدار البيضاء لتحريرهما.......... 49
- شهادة أجانب حول موقف المولى عبد الحفيظ من فرنسا وكيف تخلى عن شروط البيعة والجهاد.......... 51
- مشاريع دستورية في مطلع القرن العشرين عرفت الفشل الذريع.......... 52

- مشاريع إصلاح من قبل رجال المخزن العزيزي........ 53
- علال الفاسي وسبقه العثور على مشاريع دساتر مغربية........ 54
- تأخر دخول المطبعة إلى المغرب........ 55
- كيف اكتشفت النخبة الوطنية الواعية فكر النهضة المشرقي والغربي........ 56
- كيف كان اتصال رجال الإصلاح المغاربة بالجرائد المشرقية والغربية........ 57
- التواصل الدائم بين المشرق والمغرب خاصة في ميدان الصحافة........ 57
- عن بيعة فاس المشروطة وجمعية الاتحاد والترقي 57
- تأسيس جمعية الاتحاد والترقي........ 58
- إثبات مقرات وأماكن جمعية الاتحاد والترقي بفاس........ 59
- عن صحة وإثبات وجود جمعية الاتحاد والترقي........ 59
- شهادة العروي عن كونه لا يثق أن جمعية الاتحاد والترقي كانت موجودة........ 60
- بديع الزمان النورسي يظهر دور جمعية الاتحاد والترقي الماسوني........ 61
- من الأسباب التي عجلت ببيعة فاس الحفيظية المشروطة وخلع المولى عبد العزيز 61
- هافاس تؤكد أن أول من بايع المولى عبد الحفيظ بشروط البيعة وهو الشيخ الشاب عبد الحي الكتاني........ 63
- الشروط التي وضعها الشيخ محمد الكتاني في بيعة فاس للمولى عبد الحفيظ........ 63
- إجماع علماء القرويين على البيعة المشروطة رغم خلافاتهم في البداية........ 65
- كيف كان دعم مؤسسة الزاوية الكتانية للبيعة الحفيظية المشروطة........ 65
- المولى عبد العزيز يغري الكتانيين بأموال باهضة للتراجع عن البيعة الحفيظية........ 66
- دعم البيعة الحفيظية المشروطة ديبلوماسيا بأدب وحنكة سياسية........ 66
- التجربة الإعلامية الكتانية بوسائل بسيطة تدعو إليها الظروف القاهرة الاستعجالية لمواجهة جريدة السعادة الموالية لفرنسا........ 67

- رد نشره الطاعون بعنف على وديع كرم.......... 68
- رسالة المفاكهة نموذج للخطاب الإعلامي الفريد للرد المتميز ضد تزوير الوعي الديني والسياسي.................................... 70
- كيف بين المؤلف أسباب تأليفه لرسالته «المفاكهة».................... 70
- مسألة السياسة الشرعية في الاستعانة بكافر على مسلم.................... 71
- جمعية الاتحاد والترقي وبيعة فاس الحفيظية المشروطة وجريدة لسان المغرب.... 76
- السياق التاريخي لمحنة الشيخ محمد الكتاني وتصفيته وكيف وقع ذلك.......... 78
- التقاء الشيخ محمد الكتاني مع السلطان مولاي عبد الحفيظ بمنطقة «يطو»..... 78
- أسباب التنافر والكراهية ناتج عن البيعة الفاسية المشروطة بين المولى عبد الحفيظ والكتانين.................................... 79
- شهادة الروندة المدونة في كناشته.................................... 82
- شهادة المشرفي.................................... 83
- نصوص مطوية من محنة اعتقال الشيخ عبد الحي الكتاني.................... 86
- كتاب وسيلة المولد الملهوف إلى جده الرحيم العطوف ألفه عبد الحي الكتاني وهو في المعتقل بفاس بعد قتل أخيه عام 1327-1909م.................... 86
- كيف تأزمت شخصية الشيخ عبد الحي الكتاني.................................... 87
- شهادة الأستاذ محمود محمد شاكر في الشيخ عبد الحي الكتاني حين زاره بمصر في طريقه إلى الحج عام 1352هـ 1933 م وهي أهم ترجمة وردت عنه....... 87
- وصف جسماني للشيخ عبد الحي الكتاني.................................... 88
- أثر الزمن ونوائبه عليه.................................... 88
- الأسباب والبواعث التي تميزت بها شخصيته النيرة.................... 88
- مكانة الشيخ عبد الحي العلمية وعلاقته بالمخطوطات والكتب والمكتبات.... 90
- عن مسألة عداء الشيخ عبد الحي الكتاني للمخزن المغربي.................... 94

- كيف تعاملنا مع إخراج رسالة المفاكهة................................ 94
- كيف تفوقت رسالة المفاكهة من حيث الموضوع والأسلوب على نشرات 1908م 96
- علال الفاسي ينبهنا عن تفوق المفاكهة على غيرها من الكتابات الإعلامية الصحافية التي ألفت في نفس الموضوع سنة 1908.................. 96
- تنويه المولى عبد الحفيظ بالمفاكهة وصاحبها الشيخ الشاب عبد الحي الكتاني.... 97
- مفاكهة ذوي النيل والإجادة حضرة مدير جريدة السعادة.................. 99
- نظرة موجزة عن حياة حافظ المغرب الشيخ عبد الحي الكتاني............ 101
- تصدير الأستاذ جامع بيضا لرسالة «المفاكهة»......................... 105
- نص المفاكهة: حلاوة الصدق وحنظلية الكذب............................ 109
- أسباب تأليف رسالة المفاكهة.. 113
- شروط الإمامة.. 115
- شرح الشروط وبيان نواقضها.. 117
1 - الاجتهاد... 117
2 - البصيرة بأمور الحرب.. 120
3 - قوة النفس.. 122
4 - العدالة والثقة والورع.. 123
- رد على مجموع ما ذكرته الصحيفة..................................... 132
- فتاوى علماء الإسلام في وجوب خلع من هذا حاله....................... 150
- الاستعانة بغير المسلمين على المسلمين ردة وكفر..................... 153
- تبديل معالم الشرع كفر بالإجماع.................................... 155
- حكم خذلان المجاهدين في أهلهم وأموالهم وأنفسهم..................... 165
- التقاريظ.. 174
- تقريظ أحمد بن عبد الواحد ابن المواز............................... 175

- تقريظ عبد الحفيظ بن الطاهر الفاسي.. 177
- تقريظ العباس التازي.. 179
- فتوى لمحمد عبد الحي الكتاني في البيعة وخلع السلطان.................. 181
-المصادر والمراجع.. 191
-الملاحق.. 199
- الفهارس العامة.. 225

«رسالة المفاكهة»

هي رسالة ومدرسة في علم السياسة الإسلامي (الخلع والبيعة) وفن الإعلام والصحافة الوطنية الصادقة، صاحبها عبد الحي الكتاني عالم موسوعي لاشك، في ذلك شاهد على عصره، كان زاخر النشاط لتحرير بلاده متمكنا من العلوم والمعارف المنتشرة في عصره. وهو في عنفوان شبابه كان متميزا في كتابة النشرات في شكل الصحافة الملتزمة الرائدة التي حملت هم الوطن والدفاع عن كيانه وحوزته بأسلوب مستنير بعيداً عن السقوط في الحضيض، فرد عبد الحي على وديع كرم بأصول وضوابط حوار الأقران. نستدل في هذا المضمار ما أجاب به بعض المغاربة بعض أهل مصر حين كتب إليه يسبّه : «أما بعد فإنك قد عرفتنا فهجوتنا ولو عرفناك لأجبناك!!!».

و«المفاكهة» يقول عنها علال الفاسي منبها على أهميتها وتفوقها علميا على نشرتي أحمد بن سودة ونشرة محمد بن يحي الصقلي التي صدرت متزامنة مع «المفاكهة» سنة 1908م يذكر علال بقوله : «إذا أردنا الإنصاف يجب أن نعترف أن الرسالة الوحيدة من بين هذه الرسائل والنشرات التي تستحق الدرس والاهتمام وهي «المفاكهة» التي ألفها السيد عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني لما اشتملت عليه من أفكار حسنة».

والمولى عبد الحفيظ سلطان الجهاد نوه برسالة «المفاكهة» إذ ذكر جلالته بقولة: «الفقيه المحدث... فأصبح لك في مفاكهة الزمان وأضحى بها أبديته في رقيق القول صنفا ونصحا، وعددنا ذلك من إخلاص خدمة الرسول ﷺ».

ومن الشواهد على مكانة عبد الحي العلمية وهو في طور شبابه أنه قد أجاز المولى عبد الحفيظ إجازة علمية عامة سماها بالطنانة جاءت بعنوان : «الدر المنتخب المستحسن فما اسندناه لسعادة السلطان المولى عبد الحفيظ...» وهي مخطوطة موجودة بالخزانة الصبيحية بسلا ونسخة أخرى لدى الدكتورة نور الهدى الكتاني...

ويذكر جامع بيضا أستاذ التاريخ المعاصر عن عبد الحي الكتاني بقوله : «من أولئك الرواد الذين انشغلوا مبكرا بمصير البلاد أمام التهديد الأجنبي، فهو من مشاهير العلماء في عصره، راسخ القدمين في الفقه والأدب والتاريخ... حتى نعت (بالمكتبة المتنقلة) ... كما كان واسع الاطلاع على مجريات الأمور شرقا وغربا بفضل ما كان يستخلصه من المجلات والجرائد العربية الأجنبية».

لقد أخرج المحقق هذا النص «من حالة الغموض إلى حالة السلاسة والوضوح».

ISBN : 978-9954-1-9531-4
9 789954 195314

الثمن : 65 درهما